أسس علم الاجتماع

المفاهيم والقضايا

الأستاذ الدكتور

محمد عبدالسميع عثمان

عميد كلية التربية جامعة الأزهر

أسس علم الاجتماع

المفاهيم والقضايا

الأستاذ الدكتور

محمد عبدالسميع عثمان

عميد كلية التربية جامعة الأزهر



مقدمة:

تعد دراسة مبادئ وأسس علم الاجتماع من الضروريات العلمية لكل طلاب العلم على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم.

وترجع هذه الضرورة إلى التعقيد الذى تشهده الحياة الاجتماعية في العصر الحديث، ولعل هذا التعقيد الشديد يرجع الى التطور الهائل الذى لحق بمختلف جوانب الحياة في المجتمعات جميعا على اختلاف مستوياتها ودرجاتها.

ولسنا بصدد تفصيل خصائص هذا التطور وسماته، وإنما تكفى الاشارة إلى أن هذا التطور استطاع تغيير مجريات الحياة تغييرا جذريا، ولا يعد من قبيل المبالغة القول أن هذا التغيير قلب الأوضاع رأسا على عقب.

وعلى سبيل المثال لا الحصر أن التنميط التقليدى لخصائص المجتمعات والذى كان يعتمد عليه الفكر الاجتماعى في تصنيف المجتمعات في الماضى لم يعد مقبولا الآن، بسبب التدخل الشديد بين

سمات المجتمعات في العصر الحديث، ومن ثم لم يعد للمعايير الصارمة التى تفصل بين حدود المجتمعات من وجود.

وقد ترتب على هذا ضرورة اعادة النظر في دراسة خصائص المجتمعات في ظل التطور الحديث، وحتم ذلك أن تظهر ممرات فكرية جديدة يكون بامكانها تفسير وتحليل هذه المتغيرات تحليلا علميا دقيقا يُمكّن الانسان من السيطرة على هذه المتغيرات لصالحه.

وقد تتطلب ذلك اعادة النظر في دراسة النظريات الاجتماعية القديمة، وذلك من أجل اعادة وبناء وترشيد القيم الانسانية والاجتماعية التى تمكنه من تحقيق الاستقرار النسبى فى حياته الاجتماعية.

وما ظهور جرائم الارهاب والتعصب والأنانية والسطو وغيرها إلا نتائج طبيعية لعدم تمكن القيم الانسانية من مواكبة المتغيرات ألتى طرأت على الحياة الاجتماعية ونالت من خصائصها، وتعبر تلك الجرائم عن انعدام القدرة على التكيف مع تلك المتغيرات نظرا للبعد الشديد عن أصالة القيم الاجتماعية النابعة من الدين الحنيف، وعدم القدرة على الحصول على التبريرات الأصيلة لثبات القيم من خلال مبادئ الدين القويمة.

ومن ثم تتعاظم مسئولية دراسة علم الاجتماع حتى تستطيع القيام بتلك المهام لتحقيق الاستقرار المنشود في الحياة الاجتماعية.

وقد عرض هذا المؤلف لعديد من القضايا الفكرية التى تخدم الأغراض السابقة، وذلك من خلال الاشارة الى تحليل المفاهيم الخاصة بتفسير مفهوم علم الاجتماع وإطار الدراسة في علم الاجتماع، وغيرها من الموضوعات التى تعد دراستها ضرورة للمبتدئين في دراسة علم الأجتماع والخير قصدنا وعلى الله قصد السبيل.

المؤلف

أ.د/ محمد عبد السميع عثمان

المحتويات

الفصل الاول

* مفهوم علم الاجتماع لدى المفكرين الاجتماعيين

* رؤية لمفهوم "علم الاجتماع " في ضوء التعريفات السابقة.

* مفهوم المجتمع

* دراسة لبعض المدلولات العلمية المرتبطة بمفهوم المجتمع.

مفهوم علم الاجتماع لدى بعض مفكرى علم الاجتماع

لعل مفهوم علم الاجتماع من اكثر المفاهيم التى تناولتها أقلام المفكرين الاجتماعيين . فلقد تناول المفكرون الاجتماعيون مفهوم علم الاجتماع بالتحليل من زوايا مختلفة ، ولعل تقديم تعريف لكل منهم يعطى في النهاية مفهوماً متكاملاً عن خصائص علم الاجتماع من حيث وجوده كعلم ونشأته وتاريخه في الماضي والحاضر وذلك بهدف الكشف عن القوانين التى تحكم الحياة الاجتماعية في بنائها ووظيفتها وتطوريها ، وعن القوانين الخاصة التى تحكمك كل جانب من جوانبها على حده ([1])

وعلى سبيل المثال فقد اسهم كل من أسيبوف ، وميلتون بارون ، وبسكوف ، وبارسونز ، وماكس فيبر ، ولندبرج وأروجبران ، وماكيفر ، وجيدنجيز ، وروس وغيرهم في تقديم تعريفات مختلفة لمفهوم علم الاجتماع وذلك كمايلى :

وفى هذا الصدد عرفه أوسيبوف : بانه العلم الذى يدرس البناء الاجتماعي للمجتمع وما يحويه من علاقات داخل الطبقات الاجتماعية ، وكذلك النظم الاجتماعية التى تنظم هذه العلاقات ، الى جانب دراسة تطور وتفاعل الأنساق والتنظيمات داخل المجتمع .

---

[1] - سمير نعيم احمد ، أسس علم الاجتماع ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠ ص ٤٥ .

كما عرفه جونسون: على أنه العلم الذى يدرس الجماعة من حيث نماذج تنظيمها الداخلى والعمليات التى تميل إلى استمرار أو تغيير هذه الصورة التنظيمية للعلاقات الاجتماعية.

وعرفه ميلتون بارون: على أنه اجتماعى يدرس أنماط التفاعل الاجتماعى، وتأثير الإنساق الاجتماعية على الاستجابات العقلية والانفعالية والسلوكية والإنسانية.

وعرفه بوسكوف: على أنه العلم الذى يدرس التفاعل الإنسانى ويهدف إلى الوصول إلى تعميمات عن العلاقات بين الوقائع الاجتماعية.

وعرفه تالكوت بارسونز: على أنه علم دراسة المجموعات البشرية، والعلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية ووظائفهما فى الحياة الاجتماعية.

وعرفه ماكس ڤيبر: على أنه العلم الذى يسعى الى فهم الفعل الاجتماعى وتفسيره لكى يصل إلى تفسير سببى لمساره ولنتائجه.

وعرفه لندبرج: على أنه عبارة عن نسق من التعميمات

المترابطة عن السلوك الاجتماعي للناس يتم التوصل إليه باستخدام المنهج العلمى .

وعرفه أوجبرن ونيمكوف : على أنه الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية .

وعرفه روبرت ماكيفر : على أنه العلم الذى يدرس العلاقات الاجتماعية .

وعرفه هنرى جيدنجز : على أنه الدراسة العلمية للمجتمع .

وعرفه إدوارد روس : على أنه العلم الذى يدرس الظواهر الاجتماعية .

هذه بعض النماذج لتعريف بعض العلماء لعلم الاجتماع والتى اتفقت فيما بينها على أن علم الاجتماع يمثل أحد العلوم الانسانية الذى يدرس المجتمع فى ظواهره المختلفة ، ونظمه ، وبيئته ، والعلاقات بين أفراده دراسة علمية وصفية تحليلية ، وهو علم يدرس الظواهر الكائنة بالفعل ، أو التى موجودة فى الماضى ويهدف إلى استنتاج القواعد والقوانين التى تفسر الحياة الاجتماعية تفسيراً شاملاً وتخضع لها الوقائع الاجتماعية .

ومن خلال التعريفات السابقة التى قدمها علماء الاجتماع لمفهوم " علم الاجتماع " يمكننا التوصل إلى مفهوم عام

لعلم الاجتماع أو مفهوم شامل يحاول أن يجمع بين ما قدمته التعريفات السابقة لهذا المفهوم .

رؤية لمفهوم علم الاجتماع فى ضوء التعريفات السابقة

حيث يشير مفهوم علم الاجتماع إلى ذلك العلم الذى يدرس أنماط التفاعل الحادث بين الناس الذين يعيشون معا فى بيئة واحدة أو بيئات مختلفة ، والناس الذين يعيشون معاً فى صور تفاعل دائم يكونون ما يسمى بالمجتمع ، فالمجتمع يشكل الموضوع الأساسى لعلم الاجتماع .

غير أنه يجب التنوية إلى أنه ليس كل جماعة مكونة الناس يطلق عليها مفهوم "المجتمع" الذى يشكل موضوع الدراسة فى علم الاجتماع وإنما تنصب دراسة علم الاجتماع على المجتمع الذى يتميز بالخصائص التالية :

١- ان يكون مجتمعاً مستقراً أى أنه مرتبط بيئة معينة حتى ولو كان متنقلاً خلال هذه البيئة أو فى عمليات حراك دائم وعدم استقرار فى المكان .

٢- أن يكون مجتمعا دائما ، بمعنى أنه يتمتع بدوام نسبى أى له تاريخ زمنى وذلك حتى يمكن أن تنشأ فى داخل هذا المجتمع مجموعة من العلاقات تربط بين الناس بعضهم ببعض وتتضمن استمرار حياتهم المشتركة .

ولذلك لاتعتبر الجماعات الطارئة أو المؤقتة مثل المارة فى الطريق أو المشاهدين لحفلة أو فيلم سينمائى أو المستمعين لمحاضرة ممثلة المجتمع الذى هو الموضوع الرئيسى لعلم الاجتماع .

٣- أن يكون مجتمعاً تلقائياً أى أن الناس يجتمعون من تلقاء أنفسهم بقصد الرغبة فى المعيشة المشتركة دون أن يفرض عليهم أحد ذلك الاجتماع ولا أن يقيدهم أحد بقيود تضطرهم إلى البقاء معا رغم أنوفهم فالسجن لايعد مجتمعاً تلقائيا ولا المعتقل .

٤- أن يكون مجتمعاً طبيعياً ، أى أن الناس يعيشون فى المجتمع على سجيتهم ويمارسون نشاطهم وفق طبائعهم الخاصة دون تغليف أو أجبار .

ومن اجتماع الناس معا فى جماعات يضمها المجتمع الكبير تنشأ مجموعة من العلاقات تربط الناس بعضهم ببعض وتجعلهم يشعرون بالانتماء إلى مجتمع معين ذى شخصية متميزة .

مفهوم المجتمع :

يشير مفهوم المجتمع إلى تركيب أو تأليف لمجموعة من أفراد ويتميز هذا التركيب أو التأليف بنمط معين من العلاقات التى تربط هذه المجموعة من الافراد وتجعلهم كلاً واحداً متمسكاً

متجهين الى غاية واحدة هى بقاء هـذه المجموعـة مـن الأفـراد فـى المنطقة الجغرافية المحدودة التى تعيش فيها .

وهذا المجموع من الأفـراد يتميز بأنـه " كـل " متفـاعل ، وليس أفرادا متجمعة بهدف التجمع ، وهذا الكل قد تضعف فيـه الـذوات الفرديـة مـن ناحيـة فرديتهـا ، ولكنهـا تقـوى مـن ناحيـة وجودهـا الاجتمـاعى ، الـذى يمنحهـا إالوجـود والحيـاة ، وكـل المقومات الإقتصادية والحضارية .

ومـن ثـم فإن للمجتمـع سـلطان علـى الأفـراد ، منـذ خروجهم أجنة من بطونهم أمهـاتهم ، ويتميز هـذا السـلطان فـى عملية إدخال الأفراد فـى قوالـب النظـم الاجتماعيـة التـى كـونها المجتمع لنفسه .

فالمجتمع هو الذى يعطى كل مقومـات وجـود الفـرد منـذ ميلاده حتى آخر العمر ، فهو الـذى يحـدد اسمـه ولغتـه ، ودينـه ، وتقاليده وقيمة الاجتماعية ، وأخلاقه ، ومهنته التـى يعمـل بهـا ، وأدواته التى يستعملها ، ووسائل الانتـاج ، ونظمـه ، وعلاقاتـه ، طـرق النقـل والاتصـال ، ونمـط السـلطة الحاكمـة ، وعلاقتهـا بالمحكومين .

ويعمل المجتمع على إدماج الأفراد فى وحدة كلية متماسكة تعمل بإرادة واحدة . ذلك عن طريق توحيد القالب الاجتماعى العام الذى يصب فيه جميع الأفراد ، ولكن ليس معنى ذلك أن يكون جميعهم نسخة واحدة لا يتميز فيها فرد ، وإنما يترك المجتمع للأفراد حرية التعبير عن مواهبهم ، وبذلك تظهر فى المجتمع الابتكارات بأنواعها وأنماطها المختلفة ، كما يحدث التطور العام للمجتمع من جهة أخرى .

فالمجتمع يعمل على توحيد الطابع العام دون أن يطمس الطابع الخاص للأفراد ، أى أن يؤكد الجماعية دون أن يقضى على الفردية ، فالمجتمع لا يقيد حرية التفكير والتعبير عن الرأى الخاص إلا فى حدود ما تواضع عليه المجتمع من قوانين أو نظم أو أعراف و عادات أو تقاليد .... الخ .

ويرى بعض علماء الاجتماع أن المجتمع يتكون من مجموعة الأفراد فى بيئة جغرافية معينة ، ولكن مجموع الأفراد لا ينبغى أن ينظر إليه على أنه مجرد مجتمع جمع إضافى للأفراد ، وحسبما يكون العدد يتكون المجتمع ، لأن مجموع الأفراد داخل المجتمع لا ينظر إليه إطلاقا من خلال جمع إضافة الأعداد الحسابية ، بل هو شئ مختلف تماما عن مجرد الجمع الإضافى أو مجرد الأعداد الحسابية .

فالمجموع الاجتماعى يختلف اختلافاً تاماً عن الجمع أو المجموع الفيزيقى ، ففى الجمع الفيزيقى يتم إضافة الأشياء بعضها إلى بعض عن طريق الرص أو الإضافة ، أما المجموع الاجتماعى ، فهو جمع متفاعل تفاعلاً تاماً .

ومن ثم فإن دراسة علم الاجتماع تنصب على الجماعات باعتبارها المصدر الأول لجميع الظواهر الاجتماعية فالجماعة بهذا المعنى هى الحقيقة الاجتماعية الموجودة التى تفرض وجودها على الفرد نفسه وتجعله يتأثر بكل ظواهرها تأثيراً ينعكس فى تفكيره بحيث يأتى هذا التفكير معبراً عن تأثير الجماعة .

والمجتمع بالمعنى العام يعبر عن ذلك الإطار العام الذى يحدد العلاقات التى تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه فى هيئة وحدات أو جماعات : ويرى بعض المفكرين أن هذه العلاقات يجب أن تكون .

أ- مستقرة منظمة .

ب- قائمة بصفة مباشرة .

غير أن هاتين الصفتين لنمط العلاقات التى تسود بين الأفراد ليس من الضرورى أن تنطبق على جميع العلاقات السائدة والموجودة بالفعل .

فثمة علاقات قد توجد بين الأفـراد غير أنها لم يكتسب لها الاستقرار النهائي بعد ، ذلك مثل بعض العلاقات الطبقية والمهنية .

وثمة علاقات أخرى قد تنمو بين الأفراد ولكن ليس بصفة مباشرة ، إنما قد تنمو مثل هذه العلاقات في الخفاء ، وبعيداً عن أعين الناس ، ومع ذلك فإن هذا لايمنع من وصفها بأنها علاقات موجودة وكائنة بالفعل ، غير أنها توجد في الخفاء خشية أن يشعر بها الجميع .

دراسة لبعض المدلولات العلمية المرتبطة بمفهوم المجتمع

هناك العديد من المدلولات العلمية التي ترتبط بمفهوم " المجتمع " ولقد تنوعت هذه المفاهيم في العصر الحديث تنوعاً كبيراً ، ولعل من أهم هذه المدلولات التي ارتبطت بمفهوم " المجتمع " مفهوم من " المجتمع المحلي " ومفهوم " المجتمع القومي " وكذلك مفهوم " المجتمع العالمي ".

ولقد تداولت هذه المفاهيم في العصر الحديث تداولاً كبيراً وبخاصة مفهوم مثل " المجتمع العالمي " الذي أصبح من المفاهيم العامة كبيراً بفضل زيادة وسائل الاتصال وسرعة تقدمها وكذلك تحول النظم الاقتصادية العالمية تحولاً جذرياً في كثير من الأحيان وأصبح العالم كله يشبه وحدة اجتماعية صغيرة كالقرية ، والحي في المدينة كما ظهرت مدلولات ارتبطت بمفهوم " المجتمع العالمي " مثل " العولمة " والاتجاه نحو العولمة أي الأخذ باتجاهات المجتمع العالمي .

وبسبب التحولات الاقتصادية الكبرى حدثت تحولات دولية كبيرة وظهر مفهوماً جديداً مثل مفهوم " النظام العالمي الجديد " ولقد أكدت هذه المفاهيم كلها على أهمية مفهوم " المجتمع العالمي " وسنعرض لهذه المفاهيم في الصفحات التالية :

المجتمع القومي :

إذا أخذنا عن مفهوم " المجتمع " وما يحتوى عليه من دلالة من الزاوية الاجتماعية ، وأضفنا إلى هذا المفهوم كلمة " قومى " اشار المفهوم " مجتمع قومى " إلى دلالة أخرى .

حيث تشير كلمة " قومى " إلى الأهل والعشيرة التى تخص الإنسان الفرد ، فيشعر من ثم بالانتماء إلى هؤلاء الأهل وتلك العشيرة .

ومن ثم فإن كلمة قوم أو قومية تشير إلى نحو اتجاه الشعور بالانتماء إلى فئة معينة من الناس تتميز هذه الفئة بخصائص ثقافية معينة تحددها وتعينها ، بحيث يمكن تمييز هذه الفئة عن الفئات الأخرى .

ومن جهة أخرى فإن القومية عبارة عن شعور الجماعة بأنها تنتمى إلى أمة معينة تربطها بها روابط وعلاقات إجتماعية وثقافية معروفة ، كالملة أو الدين أو التقاليد أو التاريخ المشترك أو المخاوف أو الأمال المرجوة .

ولاشك أن هذا الشعور بالقومية لا تخلقه فى الجماعة عوامل صناعية كالدعاية أو التعليم أو القانون أو الحكومة أو الحزب ، وإنما هو شعور تلقائى ينشأ فى الجماعة ببطء ويتغلغل فى نفوس أبنائها بحكم وجودها فى وسط معين وتفاعلهم مع هذا

الوسط ، واكتسابهم مقوماته الثقافية والحضارية التى تطبعهم بطابع الأمة وتصبغهم بصبغتها فيشعرون نحوها بالولاء ، خاصة بسبب ما يضفيه عليهم هذا الولاء من حماية الأمة لهم وتعبيرها عن آمالهم ، وحرصها على مقدساتهم ، وتطلعها إلى مستقبل أفضل لأبنائهم ، ومن هنا تشعر الجماعة بما يربطها بالأمة أى تشعر بأنها جزء من كل يجمع هذا الجزء جميع صفات الكل وخصائصه المادية والروحية ، وبها يواصل الكل بقاءه واستمراره .

وتفسير القومية بهذا المعنى السابق ماهو إلا تفسير للمجتمع القومي الذى الذى هو عبارة عن :

" مجتمع إنسانى طبيعى مؤسس على وحدة الأرض والأصل والتقاليد واللغة على نحو متكامل متفاعل فى الحياة وفى درجات الوعى الاجتماعى " .

وقد انتشرت فكرة القومية فى جميع أنحاء أوربا ، وظهرت الدول القومية فى أوائل العصور الحديثة نتيجة للحروب الصليبية ، وضعف النظام الإقطاعى ، وظهور الطبقة الوسطى ونمو المدن ، واختراع الطباعة ونمو حركة الإصلاح الدينى .

وكان ظهورها فى انجلترا نتيجة للفتح النورمندى وحرب المائة سنة مع فرنسا ، وبسبب ظروف انجلترا البحرية ، وظهرت فى فرنسا نتيجة لحروب المائة سنة .

وفى بروسيا نتيجة للاصلاح الدينى ، وظروف بروسيا الحربية وصراعها مع روسيا فى عهد فردريك الأكبر .

وهناك دول قومية أخرى أحدث تكوينا من هذه الدول ، وقد نشأت بعد الثورة الفرنسية نتيجة لها ولحروب نابليون ، فقد عملت الثورة الفرنسية على مساعدة الشعوب المغلوبة على أمرها وتحريرها من المستبدين بشئونها ، فظهرت بلجيكا . كذلك ألمانيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ظهرت قبل ألمانيا الولايات المتحدة . ودول أمريكا الجنوبية والوسطى .

كما نشأت فى اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين القومية التركية واليابانية والأندونيسية وكثير من القوميات الأفريقية .

المجتمع المحلى :

وهو عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون فى منطقة أو بيئة محدودة النطاق والمعالم كاجتماع أهل القرية أو القبيلة أو أحياء المدينة .

ومعنى ذلك أن اصطلاح " المجتمع المحلى " ينسحب على المجتمعات القبلية والرعوية ، كما يطلق على المجتمعات المتحضرة فى نفس الوقت .

ومن خلال التعريف السابق لمفهوم " المجتمع المحلى " تتضح ثمة محددات للمجتمع المحلى ، تنحصر هذه المحددات فيما يلى :

(أ) مكان جغرافى محدد .
(ب) تفاعل مجموعة من الأفراد .
(ج) قوة منظمة لسلوك الأفراد .

(أ) المكان الجغرافى :

وهو عبارة عن مكان محدود النطاق والمعالم ، وهذا النطاق يتسع إلى حد ما بالنسبة للجماعات الرعوية ، لأن الأفراد فى حالة الرعى ، ولو أنهم ينتقلون فى جماعات من مكان إلى آخر داخل نطاق البيئة ولكنهم يخضعون جميعا لنظام معين ولمجموعة من القواعد التى تنظم حياتهم .

(ب) تفاعل مجموعة من الأفراد :

لا معنى لوجود مكان جغرافى محدود النطاق والمعالم بدون الأفراد التى تعيش فى هذا المكان ، ومن جهة أخرى لا معنى

لوجود الأفراد بدون تعاونهم واشتراكهم فى إقامة حياة مجتمعية داخل نطاق المنطقة الجغرافية المحدودة .

ومن ثم فإن المجتمع المحلى يتميز بتعاون أفراده ، واعتماد بعضهم على البعض الآخر ، وظهور مبدأ تقسيم العلم ، وتنوع الوظائف ، وتوزيع القوى والجهود ، وعدم وجود فروق طبقية ظاهرة .

(ج) **قواعد منظمة للسلوك :**

يتميز المجتمع المحلى بأنه يتخذ بعض القواعد والمعايير التى تنظم سلوك الأفراد والعلاقات المتبادلة بينهم ، وتتميز هذه القواعد بأنها تعبر عن اتجاه مجموع الأفراد . ويتم الضبط لهذه القواعد وتلك النظم عن طريق هيئات ومؤسسات أنشأها المجتمع خصيصاً من أجل الحفاظ على هذه القواعد والإبقاء عليها .

هذا ويمكن أن يكون المجتمع المحلى جزءاً من مجتمع أكبر وأوسع نطاقاً ، أى أن هناك مجتمعات محلية تقع فى نطاق مجتمعات محلية أخرى . ([1])

---

[1] - مصطفى خشاب : المدخل إلى علم الاجتماع ، الكتاب الثانى ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ ص ١١٧ .

ويولد الفرد داخل المجتمع المحلى فيجد الروابط الاجتماعية قائمة ومستقرة تقوم الجماعة بتشكيله وتنشئته وفقا لمقتضياتهم .

وتعتبر الأسرة من وجهة نظر بعض علماء الاجتماع هى التعبير الأول العام عن حقيقة المجتمع المحلى ، وتمتاز الحياة الاجتماعية فى هذا الشكل بالتضامن وقوة الروابط وسيادة الشعور الجمعى والمشاركات الوجدانية .

المجتمع العالمى :

يطلق مصطلح " المجتمع العالمى " فى أغلب الأحيان ليشير إلى ذلك الكل الاجتماعى الذى يتركب تركيباً صناعياً من أجزاء كثيرة غير متجانسة ، ووحدات عديدة غسر متشابهة .

ومعنى ذلك أن المجتمع العالمى ينقسم إلى مجتمعات كثيرة متنوعة وهيئات ومؤسسات متعددة على أساس ادارى .

وتدور فكرة المجتمع العالمى حول مفهوم العلاقات بين المجتمعات القومية بعضها بالبعض الآخر ، أو ما يطلق عليه اسم " العلاقات الدولية " والتى تربط بين الدول بعضها بالبعض الآخر .

وتشير كلمة " علاقة " إلى فكرة الرابطة الوثيقة التى تجمع بين الدول بعضها بالبعض الآخر ، وتتناول العلاقات الدولية جميع

أنواع الصلات التى تربط بين مختلف الدول ، حيث أنها تشمل كل أنواع الصلات .

ويرى البعض من علماء العلوم السياسية أن المعيار فى تحديد ما يدخل فى نطاق هذه العلاقات هو مدى أثر الرابطة أو العلاقة فى المجتمع الدولى أو العالمى بأسره . فكل علاقة يكون لها أثر فى المجتمع العالمى أو الدولى بصفة عامة تدخل فى دائرة هذه العلاقات .

ووفقا لهذه الأراء يكون مقتضى دراسة العلاقات الدولية فى المجتمع العالمى دراسة كل الاتصالات ، سواء منها ما يتناول الدول أو الشعوب أو السلع ، أو الأفكار ، بشرط أن تتعدى الحدود ، وأن تؤثر فى المجتمع الدولى جميعه .

وقد تضمنت تقارير المؤتمرات العلمية التى نظمتها هيئة اليونسكو لبحث موضوع العلوم السياسية أن العلاقات الدولية تشتمل على ثلاثة فروع متصلة هى :

١- السياسة الدولية :

وتتناول دراسة السياسات الخارجية للدول وتفاعل تلك السياسات مع بعضها ببعض .

٢- التنظيم الدولي :

ويشمل دراسة أهم المنظمات الدولية من عالمية ، مثل الأمم المتحدة ، أو إقليمية مثل جامعة الدول العربية والاتحاد الأمريكى أو فنية مثل هيئة العمل الدولية .

٣- القانون الدولي :

ويتناول دراسة القواعد القانونية التى تنظم علاقات الدول بعضها ببعض ، وعلاقاتها بالتنظيمات الدولية .

الفصل الثانى

دراسة لبعض المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع

١- مفهوم البناء الاجتماعى.

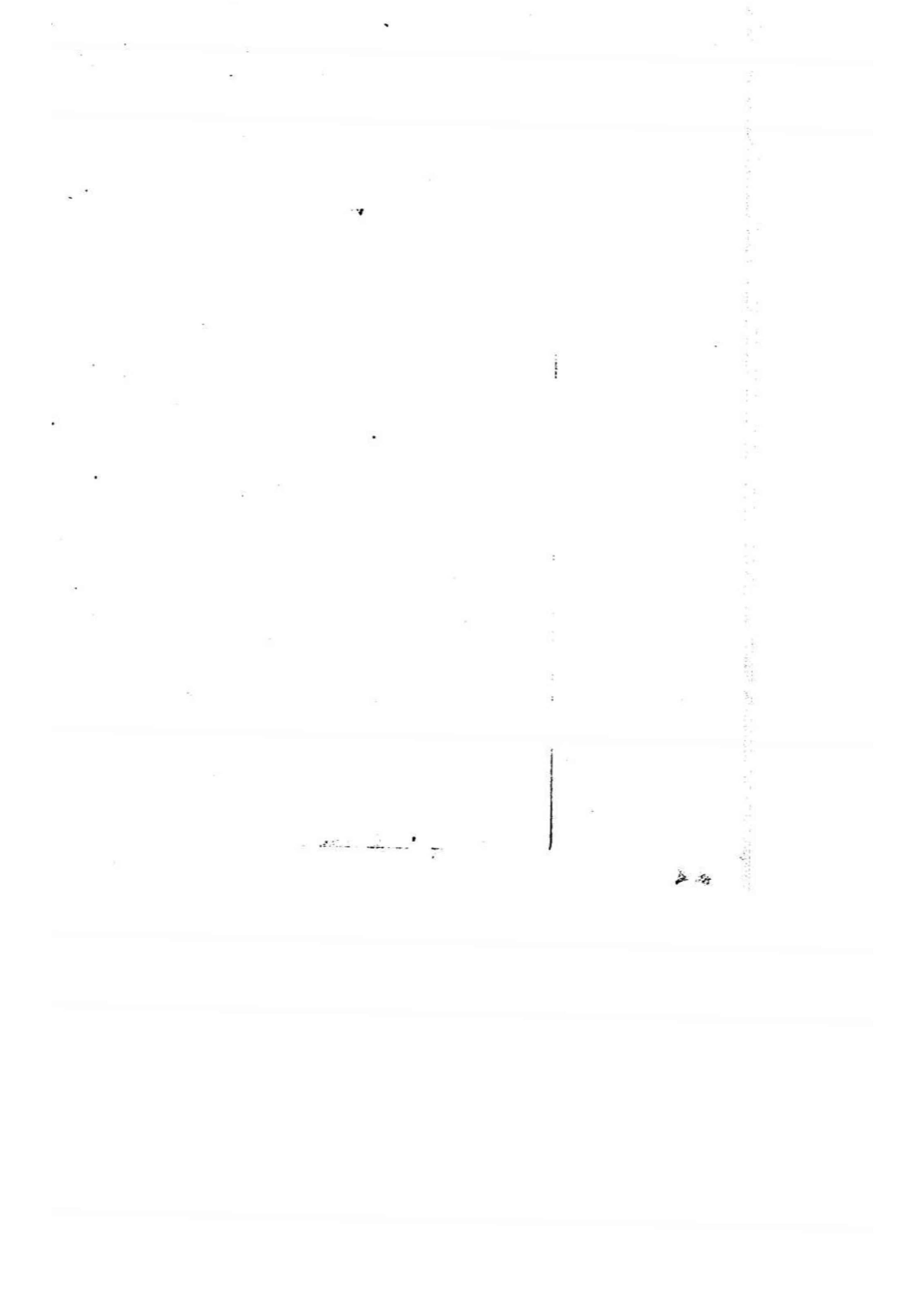
٢- مفهوم الظاهرة الاجتماعية.

٣- مفهوم المورفولوجيا الاجتماعية.

٤- مفهوم الفسيولوجيا الاجتماعية.

٥- مفهوم علم الاجتماع العام.

٦- مفهوم النظرية في علم الاجتماع.



دراسة لبعض المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع

يتناول هذا الفصل بعض المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع والتى تعد دراستها ضرورية اساسية للمبتدئين في الدراسات الاجتماعية ولعل من أهم المفاهيم الذى يتعرض لها الفصل بالتحليل والتفسير مفهوم "البناء الاجتماعى" حيث يعتبر من المفاهيم العامة الأساسية الحديثة في الدراسات الاجتماعية الذى تناولته الأقلام بالتحليل وبخاصة في الدراسات الأنثربولوجية.

وكذلك مفهوم "الظاهرة الاجتماعية" وهو من المفاهيم القديمة في الدراسات الاجتماعية.

كما يشير هذا الفصل أيضاً إلى مفاهيم المورفولوجيا الاجتماعية وكذلك مفهوم الفسيولوجيا الاجتماعية وأهميتهما في تحديد مفهوم "علم الاجتماع العام".

كما ينتهى الفصل باشارة الى مفهوم "النظرية في علم الاجتماع" وأهم العناصر الأساسية التى تكون المكونات الضرورية التى تساعد على صياغة النظرية في علم الاجتماع.

مفهوم البناء الاجتماعى Social Stracture

يعتبر مفهوم "البناء الاجتماعى" من المفاهيم الأساسية في الدراسات الاجتماعية الحديثة، وظهرت أهميته نتيجة اتجاه كثير من علماء الاجتماع والانثربولوجيا إلى الدراسات الحقلية التى يقومون بها في مجتمعات معينة بالذات كوسيلة لفهم المجتمع الإنسانى في عمومه، حيث لاحظ هؤلاء العلماء أثناء دراستهم لتلك المجتمعات التفاعل القائم بين مختلف نظمها الاجتماعية، على أساس أن الحياة الاجتماعية في أى مجتمع عبارة عن نسيج متشابك من العلاقات المتداخلة، ومن هنا أخذ مفهوم البناء الاجتماعى يفرض نفسه بشكل واضح على معظم الدراسات الحديثة، بعد أن كان مجرد فكرة غامضة تراود عقول بعض الكتاب في القرن الثامن عشر.

ويرجع الفضل في انتشار مفهوم البناء الاجتماعى إلى علماء الانثربولوجيا الاجتماعية، خاصة في بريطانيا، ويرجع ذلك الى طبيعة الانثربولوجيا ذاتها كعلم، وطبيعة المجتمعات التى يهتم العلماء بدراستها. فقد كانت الانثربولوجيا في أول نشأتها تهتم بدراسة أنماط الحياة البسيطة الساذجة في المجتمعات المختلفة. وكذلك دراسة المجتمعات المحلية المحدودة المساحة والسكان كالقرية، والقبيلة، حتى تطورت الأبحاث الانثربولوجيا ووسع العلم من ميدان دراساته حتى شملت أنماط الحياة الأكثر تعقداً.

ودراسة البناء الاجتماعي هي في الواقع دراسة العلاقات القائمة بين الناس في المجتمع بالإضافة إلى دراسة العادات والتقاليد الاجتماعية وما إليها من طرائق السلوك وأفعال الناس في حياتهم اليومية، ويتخذ الباحث من النظم الاجتماعية Social institutions كالنظام الاقتصادى والنظام السياسي، والنظام القرابي، والديني... الخ، العناصر البسيطة الأولية التي يبنى عليها تحليلاته للعلاقات الاجتماعية، ومن هنا كانت الدراسات البنائية تقوم على أساس من التجريد، معتمدة في كل تحليلاتها على التصورات الاجتماعية، أى أنها تميل إلى تفسير الظواهر والعلاقات والنظم الاجتماعية في ألفاظ وحدودا اجتماعية خالصة، وهذا يعنى التركيز على معرفة كيفية عمل النظام الاجتماعي، أى وظيفته في البناء الاجتماعي وما يقوم بين هذه النظم من تساند وظيفي، وهذا في مجمله هو مضمون البناء الاجتماعي(١).

مفهوم البناء الاجتماعي لدى بعض علماء الاجتماع:

لقد ساهم كل من "رادكليف براون" Radcliffe-Brown و"ايفانز بريتشارد" Evans Pritchard، و"روبرت ردفيلد" Robert Redfield وغيرهم، في وضع تحديد دقيق لمفهوم البناء

---

(١) أحمد ابو زيد، البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، ط ١، الاسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥، ص ١٢.

الاجتماعى على أنه "مجموعة ثابتة من العلاقات تقوم بين الوحدات والزمر الاجتماعية التى تتمتع عادة بدرجة عالية من القدرة على البقاء والإستمرار في الوجد" أو هو "نسق متكامل من الأبنية المنفصلة المتمايزة التى تقوم بينها، رغم تمايزها وانفصالها علاقات متبادلة مثل البناء الاقتصادى، والبناء السياسى والبناء القرابى، ويضم كل من هذه الأبنية الجزلية عدداً من النظم الاجتماعية التى تؤلف فيما بينها وحدة متماسكة متكاملة، ولن يتيسر فهم البناء الاجتماعى إلا بدراسة هذه الأبنية الجزئية التى تتداخل وتتفاعل بعضها مع بعض، إذ ليس ثمة شك في وجود علاقات متبادلة بين النسق الايكولوجى والنسق الاقتصادى مثلاً، على اعتبار أن الحياة الاقتصادية كلها تتأثر وتتحدد بالشروط والظروف الايكولوجية التى تحيط بالمجتمع[1].

أى أن البناء الاجتماعى يتضمن مبدأين أساسيين ومتكاملين هما:

(١) مبدأ الإستمرار في الزمن سواء على الجماعات أو العلاقات الاجتماعية.

(٢) مبدأ العلاقات الثابتة المستمرة التى بين الجماعات المتماسكة.

وقد يستخدم مفهوم "البناء الاجتماعى" استخدامات مختلفة

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٣٧.

ومتفاوته في بعض الإحيان لدى علماء الاجتماع أنفسهم مما يطلق عليه بعض علماء الاجتماع مصطلح "بناء اجتماعى" يسميه آخرون "نسقاً اجتماعياً" Social System، ويلاحظ أن المصطلحين يتضمنان الفكرة القائلة بأن التفاعل الاجتماعي يقوم على مجموعة مركبة من الأنماط التى تتميز بثبات ودوام، وأحياناً يطلق بعض العلماء على نفس الفكرة مصطلح "التنظيم الاجتماعى" Social Organization الذى يعنى في جانب منه معيشة الناس مجتمعين، وما يترتب على ذلك من تنظيم يؤدى إلى استمرار الحياة الاجتماعية، وقد يعنى من جانب آخر أكثر خصوصية ما يطلق عليه الآن "التنظيم الرسمى"، أو "التنظيم البيروقراطى"(١).

---

(١) سناء الخولى، مدخل إلى علم الاجتماع، . ، ١٩٨٧ . ص ٨٨.
الإسكندرية . دار المعرفة الجامعية .

الظاهرة الاجتماعية

تعتبر دراسة الظاهرة الاجتماعية والتعرف على خصائصها من أهم الأسس التى تستند اليها الدراسة في علم الاجتماع.

حيث أن دراسة المجتمع تكون عن طريق دراسة الظواهر الاجتماعية التى تمثل الوحدة البنائية التى ينقسم اليها موضوع علم الاجتماع مثلما ينقسم موضوع كل علم الى ظواهره.

وتتميز الظاهرة الاجتماعية بعدد من السمات لعل من أهمها مايلى:

١- إن الظاهرة الاجتماعية إنسانية: أى أن الظواهر الاجتماعية لا توجد إلا بين الناس فقد توجد حيوانات وطيور واسماك وحشرات تعيش في جماعات، ولكنها لا تدخل في موضوع علم الاجتماع.

٢- إن الظاهرة الاجتماعية عامة أى أنها موجودة لدى كل أفراد المجتمع أو أغلبهم مثل اللغة أو الدين أو التقاليد أو الزى أو الحرفة.

٣- إن الظاهرة الاجتماعية ذات ضغط أى أن للظاهرة الاجتماعية إلزاما يجعل الأفراد يخضعون له ولا يرضون الخروج عنها.

٤- إن الظاهرة الاجتماعية قاهرة: أى أن من يخرج على حدود الظاهرة الاجتماعية يتعرض لعقاب اجتماعى يتناسب مع الفعل الذى قام به. ويتراوح هذا العقاب بين اللوم الخفيف أو السخرية وبين السجن أو الاعدام.

٥- أنها قوالب للتفكير والسلوك والعمل ، أى أن كل ظاهرة اجتماعية عبارة عن نموذج من الشروط الاجتماعية التى يضعها المجتمع لكى ينطبع الأفراد بطابعها فينشأوا منذ الطفولة وقد شبوا وفق أنماط معينة من السلوك هى مانسميها بالقوالب الاجتماعية ويختص كل منها بناحية من نواحى المجتمع. فأحدها نسميه اللغة والآخر نسميه الزى والثالث نسميه الآداب الاجتماعية ورابع للأخلاق وخامس لسلوك التعامل وهكذا ينشأ كل فرد وقد انطبع بطابع المجتمع فى كل مظاهر الحياة الاجتماعية فى التفكير والسلوك والعمل والمعيشة.

٦- أنها متشابكه أى أن الظواهر الاجتماعية مرتبطة ببعضها مثل النسيج المتشابك بحيث لاتوجد أحدى الظواهر مستقلة عن غيرها ولذلك فان أى تغيير فى أى ظاهرة يؤثر فى الظواهر الأخرى .

٧- أنها تاريخية : فالظاهرة الاجتماعية ليست وليدة اليوم وإنما هى ذات عمر ممتد فى التاريخ فهى لاتأخذ صورة إجتماعية إلا إذا تعاقبت عليها عدة أجيال .

٨- أنها متطورة : أى أن الظاهرة الاجتماعية لاتظل على حالة واحدة طوال التاريخ بل انها تتغير وتتخذ اشكالا مختلفة حسب التغيرات التى تحدث فى الظواهر الاجتماعية الأخرى .

٩- أنها شيئية : أى أن الظـاهرة الاجتماعيـة توجـد متمـيزة عـن الظواهر الأخرى الطبيعيـة والنفسية فتبـدو الظـاهرة الاجتماعيـة وكأنها شىء لـه كيان خـاص بحيث يمكـن تميزهـا بسـهولة عن الظواهر الأخرى. وليس معنى ذلك أن الظاهرة الاجتماعية مادية فإنها قـد تكـون عقليـة أو روحيـة ، ولكنهـا مـع ذلـك تكـون شيئا متميزا بصفات خاصة محددة.

١٠- أنها تنشأ عن المجتمع كله ومعنى ذلـك أن الظـاهرة الاجتماعيـة هى نتاج المجتمع بجميع عناصره ولو انهـا قد تنتمـى الـى نظـام معين من النظم الاجتماعية دون غيره أى أن الظـاهرة قد تكـون اخلاقية أو اقتصادية أو سياسية ومع ذلك فـإن الـذى يوجدهـا هـو المجتمع كله لا النظام الذى تنتمى إليه وحده وذلك بسبب تشـابك الظواهر الاجتماعية .

١١- أنها خارج شعور الافراد ، أى أن الفرد فـى المجتمـع لاينشـىء هذه الظاهر وليس له تدخل فى وجودهـا وانمـا يجدهـا قائمـة فـى المجتمع كامله وهو يتقبلها بصورتها الموجودة بها رغم ضغطهـا عليـه لأنـه لايشـعر بهذا الضغـط بـل لايقبـل أن يرفـع عنـه هـذا الضغط .

ونظرا لأن علم الاجتماع يدرس كل الظواهر التى تنشأ عن طبيعة التجمع فانه قد أصبح علما جامعا لكثير من الفروع التى تشترك فى أنها تدرس الظواهر الاجتماعية الخاصة بجوانب من الحياة الانسانية الجماعية .

ولذلك فقد يسمى علم الاجتماع (علم العلوم) وذلك بسبب شموله لجميع نواحى الحياة الانسانية وقد قسم دور كايم Durkheim موضوع علم الاجتماع إلى الاقسام الآتية :

أولا : المورفولوجيا الاجتماعية Social Morphology

وتشمل مايأتى :

١- دراسة البيئة الجغرافية من الناحية السكانية ومعرفة علاقة هذه البيئة بالتنظيم الاجتماعى وأثره فى وجود الظواهر والنظم الاجتماعية المختلفة .

٢- دراسة السكان من حيث الكثافة والتخلخل والانتقال من مكان الى مكان وتوزيع السكان على المساحات التى يعيشون عليها .

ثانيا : الفسيولوجيا أو الوظائف الاجتماعية . ويشمل الفروع التى تدرس الوظائف التى تقوم بها أبنية النظم الاجتماعية .

ومن هذه النظم التى تكون فروع العلوم الاجتماعية ، النظام الاسرى والاقتصادى والسياسى والأخلاقى والتربوى والقانونى واللغوى والفنى (الاجتماع الجمالى).

ثالثا : علم الاجتماع العام Generai Socioiogy

وهو العلم الذى يجمع النتائج النهائية التى تنتمى اليها فروع علوم الوظائف الاجتماعية والمورفولوجيا الاجتماعية ، لأنه لو تركت نتائج كل علم منفصلة عن نتائج العلوم الأخرى لما أمكن الربط بين هذه النتائج فى نسق واحد يفسر طبيعة الحياة الاجتماعية فعلم الاجتماع العام هو ذلك العلم الذى يقوم بهذا العمل فيعطينا تفسيرا شاملا للحياة الاجتماعية، وهذه ميزة من المزايا التى يتمتع بها هذا العلم .

ويسمى أيضا بفلسفة علم الاجتماع لأنه يمثل الخلاصة الفكرية للتخصصات المختلفة داخل فروع علوم الاجتماع.

ومن ثم فإنه هو الذى يحدد موضوعات العلوم الجزئية وشروطها، ويقنن قوانينها العامة ، وينظر فى مناهج البحث الخاصة بهذه العلوم وبذلك تتكامل أهداف علوم الاجتماع فى صورة متناسقة محققة للغرض ، وهو تفسير الحياة الاجتماعية ، ووضع القوانين المنظمة

لحياة المجتمعات لإمكان التنبؤ المستقبلى لتطور النظم الاجتماعية

وفهم مستقبلياتها .

مفهوم النظرية في علم الاجتماع

يعتبر مفهوم النظرية في علم الاجتماع من المفاهيم الجوهرية حيث احتل موضوع النظرية في علم الاجتماع اهتماما كبيرا من قبل علماء الاجتماع، نظرا لطبيعة الدراسة في هذا العلم. وما يرتبط بها من تغيرات مستمرة. ومن ناحية أخرى يتوقف استقلال علم الاجتماع على وجود نظرية سوسيولوجية متكاملة يعمل العلماء والباحثون في إطارها. وقبل عرض أهم النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، كان من الضروري توضيح المقصود بالنظرية.

ولعل مفهوم النظرية كمفهوم علمى في حد ذاته يقصد به ذلك النسق التصورى الذى تمت صياغته في ضوء الخبرة بالمعرفة العلمية المتاحة، وفي ضوء الخبرة بالواقع التاريخى والمعاصر للظواهر وحركتها يصف هذا النسق ويفسر خصائص الظواهر ومكوناتها وحركتها وعلاقات هذه الظواهر ببعضها، ومستقبل هذه العلاقات، ولهذا يتألف هذا النسق من مفاهيم وقضايا، ومقولات نظرية وقوانين، ويستند النسق بجانب مصادر صياغته المذكورة على فلسفة واضحة أو كامنة، لها رؤيتها للإنسان أو للمجتمع أو للكون أو لها جميعا[1].

---

(١) عبد الباسط عبد المعطى، البحث الاجتماعى، محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧، ص ٥١.

عناصر النظرية:

تعتمد صياغة النظرية على عدد من العناصر لعل أهمها مايلى:

(أ) الملاحظة Observation: تعد الوسيلة الأولى والأساسية للحصول على المعلومات من العالم المحيط بنا، وهى لذلك الأداة الأولية في البحث العلمى، ذلك أن العلم يبدأ من الملاحظة وينتهى إليها.

(ب) صياغة المفاهيم Conceplualisation: وهذه المفاهيم عملية أساسية لتكوين النظرية العلمية، فعن طريق المفهوم يمكن فهم ما هو مكتوب.

(جـ) الفروض Hypothese: وهناك علاقة وثيقة بين النظرية والفرض فالفرض هو تفسير مؤقت للظواهر، لأنه متى ثبت صدقه أصبح قانونا عاما يمكن الرجوع اليه في تفسير جميع الظواهر التى تشبه تلك التى أوحت بوضعه.

علاقة النظرية بالبحث في علم الاجتماع:

أما عن علاقة النظرية بالبحث فإنه يمكن القول بأنه كلما تقدم علم الاجتماع كلما ازداد ارتباط النظرية والبحث، ولقد أصبح هناك شبه اقتناع بأن النظرية والبحث يجب أن يتقدما على طريق واحد لزيادة نمو المعرفة المحققة. فالنظرية والبحث يسيران معاً في تساند

وظيفي، أي أن النظرية توجه البحث، ويؤدي البحث الاجتماعي إلى إعادة فحص النظرية واختبار مدى دقتها، كما أن استمرار البحث يؤدي إلى نظريات جديدة(١).

(١) محمد أحمد بيومي، محاضرات في علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠، ص ١٣.

الفصل الثالث

إطار الدراسة في علم الاجتماع

١- أهمية الدراسة في علم الاجتماع.

٢- أهمية الدراسة في علم الاجتماع من الناحية المنهجية:

أ - الأهمية النظرية لدراسة علم الاجتماع.

ب- الأهمية التطبيقية لدراسة علم الاجتماع.

٣- أهمية الدراسة في علم الاجتماع بالنسبة للمستهدفين:

أ - أهمية دراسة علم الاجتماع بالنسبة للفرد.

ب- أهمية الدراسة في علم الاجتماع بالنسبة للمجتمع.

إطار الدراسة في علم الاجتماع

تشير موضوعات الدراسة في علم الاجتماع إلى عديد من الموضوعات التى تختلف فيما بينها بحسب التخصص الذى يتجه إليه كل فرع من التخصصات المختلفة في علم الاجتماع، ولهذا فانه يلاحظ تنوع الموضوعات وشمولها نظراً لتنواع التخصصات العلمية داخل إطار علم الاجتماع ومن ثم فإن علم الاجتماع يتناول العديد من الموضوعات التى يمكن تحديد أهمها فيما يلى:

(١) يتناول دارسة العلاقات الاجتماعية، وقد نادى بذلك أصحاب مدرسة العلاقات التى تزعمها جورج سيمل الألمانى وماكس فيبر، وغيرهم.

(٢) يتناول دراسة النظم الاجتماعية والتى يدخل في إطارها علم الاجتماع السياسى، وعلم الاجتماعى القانونى، والدين، وعلم الاجتماع العائلى، وسوسيولوجية المعرفة، والعلوم، وسوسيولوجية الفن، وسوسيولوجية الصناعة والعمل، وعلم اجتماع التربية.

(٣) يتناول دراسة الجماعات الاجتماعية الصغيرة منها، والمحلية في المدنية والقرية، والطبقات الاجماعية، وجماعات الأقلية، والجماعات الدائمة والجماعات المؤقته، والجماعة الداخلة والجماعة الخارجة.

(٤) يتناول دراسة التغير الاجتماعى وتطور وتقدم المجتمعات ودراسة الظواهر الاجتماعية وخصائصها.

(٥) يهتم بالبحث في الأسباب الاجتماعية للحروف والثورات وآثارها.

(٦) يتناول دراسة العمل الاجتماعى والسلوك الانسانى وما يحيط بهما من عوامل وظروف اجتماعية.

(٧) يتناول دراسة القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة، أى دراسة التراث الاجتماعى الذى تتوارثه الأجيال من لغة وسلوك وعرف وخلافه.

(٨) يتناول دراسة العمليات الاجتماعية المختلفة ومحدداتها.

(٩) يهتم بالأمراض الاجتماعية وعلاقتها بالظروف الاجتماعية السائدة في المجتمع، وما يتعلق بها من مشكلات اجتماعية.

(١٠) يهتم بالبحث في الجريمة والانحراف وأسباب ذلك وكيفية علاجها.

(١١) يهتم بدراسة الشخصية وهى موضوع التفاعل الاجتماعى في المجتمع.

(١٢) يتناول كيفية استمرار المجتمعات وخصائص الصضراع بين الجماعات المختلفة.

(١٣) السكان والنمو الحضرى وطبيعة الأنشطة والحرفية.

(١٤) أسباب التماسك، والتفكك الاجتماعى والأساليب العلمية لتحليل الثقافات.

(١٥) الروابط والتنظيمات والأنساق الكبرى في المجتمعات.

(١٦) الوظائف الاجتماعية وتنطوى على دراسة الدين، والأخلاق، والقضاء، والاقتصاد، واللغة والجمال.

(١٧) الأجناس والعلاقات العنصرية وأساليب الاتصال الفردى والجمعى.

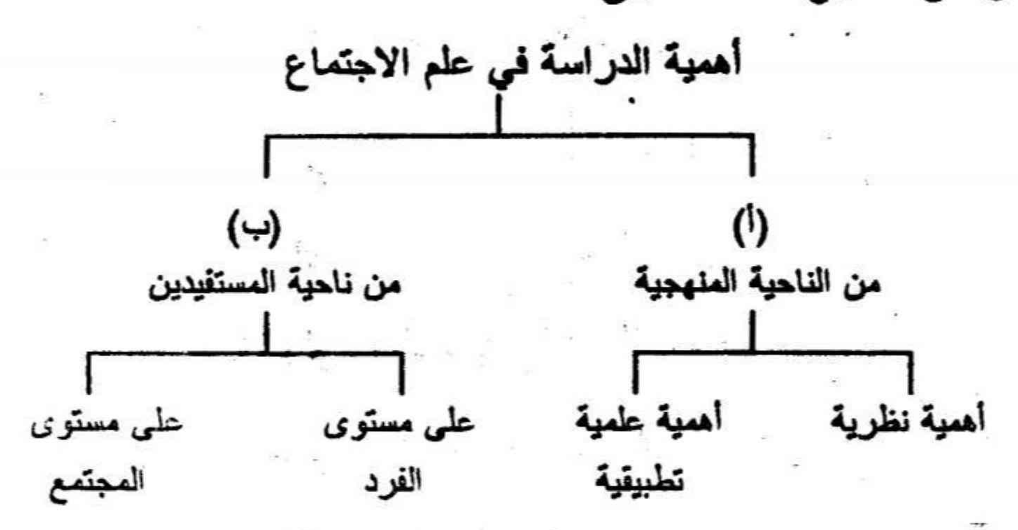
(١٨) الايكولوجيا البشرية والبيئة الاجتماعية.

(١٩) التنظيمات الرسمية وغير الرسمية في الجماعات المختلفة والمجتمعات الصغيرة والكبيرة.

(٢٠) التدرج والحراك الأفقى والرأسى.

أهمية الدراسة في علم الاجتماع

لا شك أن دراسة علم الاجتماع تتمتع بأهمية مزدوجه، فمن الناحية المنهجية نلاحظ أن علم الاجتماع يحظى بأهمية نظرية وكذلك أهمية عملية تطبيقية، ومن ناحية المستهدفين والمستفيدين، فان هناك أهمية على مستوى الفرد وأخرى على مستوى المجتمع، ويمكن التمثيل لذلك كمايلى:



(أ) أهمية الدراسة في علم الاجتماع من الناحية المنهجية

فلما كان علم الاجتماع علما نظريا يتناول بالدراسة ظواهر المجتمع ودراسة نظرية بنفس الطريقة الموضوعية التى تتناول بها العلوم الطبيعية دراسة الظواهر الخاصة بها فانه يتمتع بأهمية نظرية من هذه الزاوية.

ولما كانت القواعد النظرية التى تنتهى إليها الدراسة في علم

الاجتماع تهدف إلى الاستفادة العملية التطبيقية من خلال تحقيق مشروعات الاصلاح الاجتماعى وتخطيط الخدمات الاجتماعية فانه من هذه الزاوية يتمتع بأهمية عملية تطبيقية، وسوف نوضح ذلك من خلال السطور التالية:

أولاً: الأهمية النظرية:

تتركز الأهمية النظرية في دراسة علم الاجتماع من خلال دراسة الحقائق التالية:

(أ) دراسة العلاقات الاجتماعية، والوقوف على مدى التفاعل الاجتماعى بين الأفراد، وبين الجماعات وبعضها، وكذلك علاقات الظواهر وبعضها.

(ب) دراسة الحقائق الاجتماعية، وظواهر المجتمع.

(جـ) دراسة أصل الظواهر والحقائق الاجتماعية والتطورات التى مرت بها على مر العصور، والعوامل التى أدت إلى هذا التطور وساعدت عليه.

(د) دراسة وظائف الظواهر الاجتماعية، وتطور هذه الوظائف مع الزمان واختلافاتها مع المكان.

(هـ) دراسة التأثيرات المتبادلة بين الأفراد والتجمعات الإنسانية وبين الظروف البيئية والطبيعية والجغرافية.

(و) الكشف عن القوانين والنظريات الاجتماعية التى تخضع لها

الظواهـر الاجتماعيـة سـواء في أصلهـا ونشـأتها، أو في تغيرهـا وتطورها.

ثانياً: الأهمية العملية التطبيقية:

تتضح الأهمية العملية التطبيقية فى دراسة علم الاجتمـاع مـن خلال التوصل إلى حقائق يستفيد منهـا المجتمـع في الجوانـب التطبيقيـة العملية المختلفة، وقياس مدى تقدم المجتمعات بامكانية توظيفها لحقائق العلم في خدمة المجتمع، حيث إن نظريات علـم الاجتمـاع، والقواعـد العامة التى يتم التوصـل اليهـا في ميـدان دراسـة المجتمـع تفيـد عمليـاً وتطبيقياً مشاريع الإصلاح الاجتماعى، والتخطيط الاجتماعى، وجميع فروع الخدمة الاجتماعية تقوم على أسس من علم الاجتماع.

فعلم الاجتماع بكشفه عن الحقائق الاجتماعية يساعد بلا شك على توجيه الإصلاح المنشود وفق ما تتطلبـه ظـروف المجتمـع ودرجـة تطوره، ولا شك أن خطـط الإصـلاح والتنميـة القائمـة علـى أسـاس علمى وبحوث مستفيضة تجنب المجتمع من الهزات العنيفة ويوفر كثـيراً مـن المـال والجهـد والوقـت، ولا يـترك مجـالاً للارتجـال في إقامـة المشروعات ..

(ب) أهمية علم الاجتماع بالنسبة للمستهدفين والمستفيدين

تناولنا فيما سبق أهمية الدراسة في علم الاجتماع من الناحيتين النظرية والعملية التطبيقية، ونتناول فيما يلى أهمية الدراسة في علم الاجتماع على مستوى الفرد والمجتمع وذلك حيث المستفيدين أو المستهدفين بالدراسة.

أولاً: أهمية دراسة علم الاجتماع بالنسبة للفرد:

تحقق الدراسة في علم الاجتماع الكثير من الفوائد بالنسبة للفرد ولعل من أهم هذه الفوائد مايلى:

(أ) يجعله يدرك المعانى والقيم والاتجاهات المختلفة المتصلة بالنظم الاجتماعية التى يقوم عليها مجتمعه، الأمر الذى يساعده على تكييف حياته الأسرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وفق مصطلحات المجتمع وقوميته.

(ب) يحيط الفرد علماً بالمشكلات الاجتماعية السائدة ويتفهم دوافعها ونتائجها مما قد يساعده على الإسهام في علاجها بقدر المستطاع.

(جـ) يتعرف الفرد على التغيرات المستمرة في نسبة المواليد والوفيات والزيادة المتوقعة في عدد السكان والتغيرات المضطردة في الموارد الانتاجية مما يجعله يستطيع أن يكيف نفسه وحياته العائلية مع تلك التغيرات حتى يستطيع أن يعيش في مستوى

اقتصادى واجتماعى لائق.

(د) إلمام الفرد بنظم المؤسسات الاجتماعية المختلفة ووظائف وأسلوب عملها وعلاقة بعضها ببعض مما يساعده على معرفة حقوقه وواجباته إزاءها فينتفع بخدماتها ويساهم في أوجه نشاطها.

(هـ) التعرف على النظم والعادات والتقاليد والقوانين السائدة في المجتمعات الأخرى حتى يسهل عليه أن يقارن مجتمعه بتلك المجتمعات الأخرى.

ثانياً: أهمية الدراسة في علم الاجتماع بالنبسة للمجتمع:

تحقق الدراسة في مجال علم الاجتماع كثيرا من الفوائد بالنسبة للمجتمع ولعل من أهم هذه الثمار مايلى:

(أ) تساعد دراسة علم الاجتماع على معرفة عادات وتقاليد المجتمع ثم يقارها بعادات وتقاليد مجتمعات أخرى مع توضيح الأسباب التى كونت تلك العادات والتقاليد.

(ب) يبحث علم الاجتماع في موارد المجتمع الحيوية والطبيعية والمالية وطريق ذلك يتم وضع الخطط اللازمة لرفاهية المجتمع وتقدمه.

(جـ) تحديد المشكلات الاجتماعية أمام المسئولين ومعرفة أسبابها مما يساعد على رسم خطط السياسات الإصلاحية الاجتماعية على اسس علمية مبنية على الحقائق ومدعمة بالإحصاءات.

ومن خلال العرض السابق لأهمية الدراسة في مجال علم الاجتماع من حيث بعد المنهجية وكذلك بعد المستوى تتضح عدد من السمات التى تميز هذا العلم وتحدد موضوعه ولعل من أهم هذه السمات المميزة لعلم الاجتماع مايلى:

(١) إنه علم نظرى يحاول تفسير العلاقات العلمية لموضوع البحث.

(٢) إنه علم تطبيقى في ما هو كائن بالفعل لا كما ينفغى أن يكون لتحقيق أكبر استفادة ممكنة من امكانيات المجتمع.

(٣) إنه علم تراكمى بمعنى أن النظريات الاجتماعية الجديدة تستند على نظرية أخرى قديمة، فالنظريات الجديدة تصحح وتثرى وتوضح النظرية القديمة، ومن ثم فانه علم يتسم بالتواصل الفكرى والتطور العلمى.

(٤) إنه علم تجريبى بمعنى أنه يقوم على الملاحظة والتفكير، لتحقيق استفادة علمية من امكانيات المجتمع وتوجيهها وترشيدها من أجل الوصول الى الحد الأقصى من أهداف التنمية البشرية، ومن ثم فهو علم يهدف في جوانبه إلى نواحى تطبيقية عملية تقوم من خلال الواقع ولا تعتمد على التأمل الفكرى البحت.

الفصل الرابع
مجال الدراسة في علم الاجتماع وعلاقته بطائفة العلوم الانسانية

أولاً: علاقته بطائفة العلوم الانسانية:

١- علاقة علم الاجتماع بالتاريخ.
٢- علاقة علم الاجتماع بعلم النفس.
٣- علاقة علم الاجتماع بالأنثربولوجيا.
٤- علاقة علم الاجتماع بالأنثولوجيا والأنثوجرافيا.
٥- علاقة علم الاجتماع بالعلوم البيولوجية.
٦- علاقة علم الاجتماع بالخدمة الاجتماعية.
٧- علاقة علم الاجتماع بعلم الاقتصاد.
٨- علاقة علم الاجتماع بالعلوم السياسية.
٩- علاقة علم الاجتماع بالجغرافيا.
١٠- علاقة علم الاجتماع بالاحصاء.
١١- علاقة علم الاجتماع بعلم الأخلاق.
١٢- علاقة علم الاجتماع بالقانون.
١٣- علاقة علم الاجتماع بالفلسفة.
١٤- علاقة علم الاجتماع بعلوم اللغة.
١٥- علاقة علم الاجتماع بعلوم اللغة.
١٦- علاقة علم الاجتماع بعلوم الجمال.

ثانياً: اتجاهات التخصصات العلمية في علم الاجتماع.

علاقة علم الاجتماع بطائفة العلوم الانسانية

يرتبط دراسة علم الاجتماع بطائفة العلوم الانسانية ارتباطا وثيقا، ويتسم هذا الارتباط بالتعقيد الشديد، ويرجع هذا التعقيد إلى أن علم الاجتماع يعتبر من أواخر العلوم الانسانية في الظهور، ومن ثم فقد اشتبك بكل من العلوم استباكاً شديداً، ومن أهم هذه العلوم التى ارتبط بها: التاريخ، والانثربولوجيا والانثوجرافيا، والجغرافيا، والبيولوجيا وعلم النفس، والتربية ويرتبط كذلك بالعلوم الاجتماعية الخاصة مثل علم السياسة والاقتصاد، واللغة والدين، والأخلاق وما إليها، وفيما يلى عرض موجز لطبيعة هذه العلاقات التى تربط علم الاجتماع بالعلوم الأخرى:

١- علاقة علم الاجتماع بالتاريخ:

إن علم التاريخ عبارة عن تسجيل لأحداث الماضى الحافل بمظاهر النشاط الإنسانى المختلف، ولا يستطيع عالم الاجتماع أن يقف على حقيقة المسائل الاجتماعية وتطورها عبر الزمان وانتقالها من مكان إلى آخر دون أن يرجع إلى التاريخ ليختار من سجلاته ما يدعم أغراضه، ومن هنا لابد على المفكر الاجتماعى الرجوع إلى مختلف فروع الدراسات التاريخية والتى تعكس حياة الأمم وتصور عادات وتقاليد وأعراف المجتمعات، بل والعبادات والعقائد التى تعتنقها، كما يحتاج إلى الرجوع لتاريخ الثورات والحروب والانقلابات لمعرفة طبيعة

الحوادث السياسية، ومن جانب آخر فالمؤرخ يستفيد من النظريات الاجتماعية ويصحح الوقائع في ضوء ما تقرره القوانين التى تسير عليها طواهر الاجتماع الإنسانى، بل ويستند في دراساته على نتائج العلوم الاجتماعية.

٢- علاقة علم الاجتماع بعلم النفس:

يعتبر علم النفس أحد فروع وأجنحة العلم الاجتماعى، ويبحث في سلوك الإنسان، ودوافع الفرد، وانفعالاته، وميوله الفردية وتفكيره وإحساسه وإدراكه وذكائه وغرائزه، أى دراسة العقل والشخصية الفردية وكلها من الموضوعات التى يهتم بها عالم الاجتماع ولو بصورة غير مباشرة، نظراً لأن الإنسان لا يعيش إلا في وسط بيئة اجتماعية يؤثر فيها ويتأثر بها، ومن هنا كان لابد من الاهتمام بموضوع تفاعل الفرد مع بيئته، أو مع الاخرين، ودراسة العلاقات بين الجماعات وما تنطوى عليه من محاكاة وتقليد ومشاركات اجتماعية ووجدانية وتعاون وغريزة التجمع، والذوق العام، والقيادة والزعامة وتأثيرها على المجتمعات، وكل هذه الموضوعات يشترك في دراستها كل من علم النفس وعلم الاجتماع، خاصة ما تعلق منها بديناميات الجماعة والمجتمعات فردية النزعة، والأخرى ذات نزعة إشتراكية، ومجتمعات باردة الطبع، وأخرى ثائرة، وثالثة اندفاعية.

كـل هـذه الموضوعـات يشـترك في دراسـتها علـم النفـس والاجتماع بالإضافـة الى دراسـة تفـاعل الإنسـان مـع بيئتـه وثقافتـه، وموضوع الشخصية على الرغم من أنه أحد الموضوعات التى يدرسها علم النفس، لكنه في الوقت نفس أحد أبعاد الحقيقة الاجتماعيـة التـى يدرسـها علـم الاجتمـاع، ونفـس الشـئ بالنسـبة للوعـى الجمعـى، والعلاقـات الاجتماعيـة، ونظريـة المحاكـاة، ونظريـة الغرائـز وروح الجماعة والاتجاهات الرأى العام كلها ذات أصول نفس اجتماعية.

٣- علاقة علم الاجتماع بالانثروبولجيا:

إن علم الانثربولوجيا هو ذلك العلم الذى يـدرس الأجنـاس في أصولها وفروعها وعوامل اختلاطها وأنسابها، ودراسة الإنسان الأول ونشأة لغته واساليب تفكيره والعمل والحرف، وتطور عاداته وتقاليده ومدى تأثير البيئة على تركيبه الجسمى ونشاطه الاجتماعى والثقـافى، والبحث في أصـول النظـم الاجتماعيـة وتطورهـا وكلهـا موضوعـات يدرسها علم الاجتماع، بل ويعتبر علم الانثربولوجيا أحد فروع علـم الاجتمـاع العـام، وكلاهمـا يـدرس البنـاء الاجتمـاعى والوظـائف الاجتماعية.

وليس أدل علـى الترابط الشـديد بـين العلمـين حـين يسـتخدم الانـثربولوجيون كلمـة (بدائـى) فـإنهم يقصـدون بهـا الإشـارة الى المجتمعات الصغيرة سواء من ناحية عدد السكان أو المساحة أو تشعب

العلاقات الاجتماعية، والتى تمتاز ببساطة الفنون الآلية والاقتصاد، وقلة التخصص في الوظيفة.

٤- علاقة علم الاجتماع بعلمى الانثولوجيا والأنثوجرافيا:

إن علم الانثولوجيا هو علم دراسة الشعوب، أى دراسة الأجناس البشرية وصفاتها اللغوية والثقافية والسلالية، وعمل تصنيف للشعوب. أما علم الانثوجرافيا فهو الدراسة الوصفية المقارنة لمجتمعات وثقافات الإنسان، مثل مقارنة صناعات وأدوات مجتمع معين ببقية المجتمعات الأخرى والقائمة الآن بالفعل وتلك هى المقارنة الأفقية. وعلى ذلك تنحصر دراسة الانثوجرافيا على الناحية الوصفية الحضارية دون تحليلها أو تفسيرها، أما الانثولوجيا فهى الدراسة الراسية لمظاهر الثقافة بشقيها المادى واللامادى مع محاولة التعرف على ماضى تلك السمات والظاهرات الثقافية، وهذا يعنى أن الدراسة الانثوجرافية إذا كانت مقارنة في المكان، فإن الدراسة الانثولوجية إنما هى مقارنة في الزمان، وكلاهما يعتمد عليهما علم الاجتماع، فمجال الدراسة واحد وهو دراسة المجتمعات والحضارات الإنسانية في أى مكان في العالم.

٥- علاقة علم الاجتماع بالعلوم البيولوجية:

وهى علوم تدرس طبيعة الإنسان كائناً حياً يتكون من خلايا

وأنسجة وأجزاء حية كما تهتم بدراسة أعضاء جسم الإنسان المختلفة وتطورها ووظائفها وأثر هذا التطور في نشاط الإنسان الاجتماعي.

وقد تأثر علـم الاجتمـا ع بهذه الدراسـة خاصـة في إستخدامه لكثير من المصطلحات العلميـة ذات الصيغة البيولوجيـة علـى سبيل المثال: الأسرة أول خلية في المجتمـع، التشـريح الاجتمـاعى، الـتركيب العضـوى، المجتمـع ذات حيـة، وظـائف وبنيـة المجتمـع، المماثلـة البيولوجية.

٦- علاقة علم الاجتماع بالخدمة الاجتماعية:

يشترك علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في دراسة الإنسـان، وتفهم السلوك الانسانى اخل إطار الجماعة، ويدرس علـم الاجتمـاع الانسان في علاقته مع ثقافة مجتمعه وبيئته، ويحلل ذلـك تحليـلاً دقيقـاً، ويوجـد القوانـين أمـا يقـوم بدراسـته بمـا يسـاعد، ويعـين الاخصـائيين الاجتماعيين والخدمة الاجتماعية على رسم خططهم الإصلاحيـة قبـل مباشرتهم الاصلاح، حتى يكـون عملهـم مبنيـا علـى أسـس سـليمة، وبالتالى فالصلة وثيقة بين علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، خاصـة إذا ما تداركنا أن علـم الاجتمـا ع التطبيقـى، وهـو أحـد فـروع علـم الاجتماع الذى يقوم بدراسة المشكلات الاجتماعيـة المترتبـة علـى مـا يطرأ على الحياة الاجتماعية مـن تطـورات وتغيرات، سـواء مـا تعلـق منها بتشابك العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، أو التقدم التكنولوجى

وما له من آثار، أو الهجرة وما تركته من نتائج على القرية والمدينة والطفرات الاقتصادية لبعض الأفراد، وازدياد حركة التصنيع... الخ، وظهرت هذه المشكلات في الأسرة والمجتمع بمؤسساته المختلفة وطبقاته المتعددة... الخ، ومن المعروف أن أهم أهداف الخدمة الاجتماعية هو إصلاح ما يطرأ من خلل في شئون الحياة الاجتماعية والأفراد في اللحظة التى يعد علم الاجتماع خطط الإصلاح للخدمة الاجتماعية، بالأسس النظرية والقوانين العلمية.

٧- علاقة علم الاجتماع بعلم الاقتصاد:

يدرس الاقتصاديون الثروة في طبيعتها، وإنتاجها، وفي تداولها، وتوزيعها، وهي في معظمها عبارة عن أشياء اجتماعية، ولا تنتج إلا عن طريق الأيدى العاملة ولا تتداول إلا بين افراد منتظمين مستقرين، تربطهم نظم وأوضاع اجتماعية وهم الذين يستهلكون المنتجات. ومن ناحية أخرى يهتم علماء الاجتماع بدراسة العلاقات الاقتصادية بين العمال وأصحاب الأعمال، أى العلاقات المنظمة للعمل ورأس المال وكلها موضوعات يشترك فيها كل من علم الاجتماع وعلم الاقتصاد.

٨- علاقة علم الاجتماع بالعلوم السياسية:

لما كان علم السياسة أحد العلوم التى تدرس الدولة وما يتفرع

عنها من نظم سياسية وغدارية وتشريعية، فإننا نجد أن الدولة ما هى إلا مجتمع قطع شوطاً في الاستقرار والتطور الاجتماعى، ولا تدوم الدولة ولا تقوم أنظمتها السياسية وتستمر إلا بفضل قوى ودوافع اجتماعية، لأنها وليدة المجتمع ومظهر من مظاهر سيادته على نفسه.

ومع هذا فعالم السياسة لا يمكن أن يكون ملماً بأبعادها متعمقاً في فهم مسائلها، ما لم يكن عالماً بكثير من الحقائق الاجتماعية التى تساعده على فهم ظواهر السياسة. فمثلاً لمعرفة أسباب انقياد شعب ما لزعيم سياسى، مستحيل فهم ذلك إلا من خلال محيطها الاجتماعى، ومن هنا نشأ علم الاجتماع السياسى الذى يدرس الدولة كوحدة سياسية واجتماعية.

٩- علاقة علم الاجتماع بعلم الجغرافيا:

من المعروف أنه من المستحيل لأى دارس أن ينكر أثر البيئة الطبيعية في حياة الانسان ومدى تفاعله سواء مع غيره أو مع البيئة نفسها، بمعنى آخر أن نشاط الإنسان الاجتماعى والاقتصادى مرتبط أشد الارتباط بنوع البيئة الجغرافية.

ولا شك أن الفيضانات وما تركته من طمى يخصب الأرض، واكتشاف حقول البترول والمعادن، والمناجم، والزلازل والبراكين والسيول... الخ كل ذلك يؤثر في استقرار أو رقى أو هجر الأفراد

لمجتمعهم، بل إن الظروف المناخية من حر وبرد لها تأثير على سلوكيات الأفراد ومن ثم فالصلة وثيقة بين علم الاجتماع والجغرافيا.

١٠- علاقة علم الاجتماع بالاحصاء:

في هذا الشأن يهدف علم الإحصاء إلى تطبيق المناهج الرياضية على الظواهر الانسانية وذلك لأن ظواهر الاجتماع احصائية وعددية يمكن التعبير عنها بالأرقام، بل يعتبر الإحصاء الاجتماعى منهجاً أساسياً من مناهج البحث في علم الاجتماع لأن الباحثين في الدراسات الاجتماعية لا يقنعون الآن بالأوصاف العامة والقوانين الكيفية، لكنهم يطمعون في الوصول الى القوانين الكمية الدقيقة وفي صوغ أحكامهم في صور رياضية ورقمية ورسوم بيانية.

١١- علاقة علم الاجتماع بعلم الأخلاق:

يدرس علم الاجتماع وعلم الأخلاق الظواهر الخلقية في المجتمع دراسة علمية وصفية تحليلية في ضوء المنهج الاجتماعى، والوقوف على طبائع الشعوب ومظاهر الخلق القومى، وأخلاق الطبقات المختلفة ومعايير الخير والشر والفضيلة والرذيلة، ومستويات الجمال والآداب العامة والأذواق والتيارات الأخلاقية التى تسود بيئة معينة. ومستحيل فهم كل هذه الأمور دون الوقوف على مقومات المجتمع

والعناصر الفعالة في النشاط الاجتماعي، والتيارات الاجتماعية المؤثرة في أفراده، ولعلم الاجتماع صلات قوى بعلم الأديان المقارن والتشريع والبحوث اللغوية، وغيرها من الدراسات التى يستعين بها في تحليله لحقائق الحياة الاجتماعية.

١٢- علاقة علم الاجتماع بالقانون:

القانون يدرس القواعد التى تنظم المجتمع والتى تشرعها الدولة وتفرضها لتنظيم العلاقات بين المواطنين مع بعضهم البعض، ومع الدولة والقانون تحدد الجزاءات على الخارجين عن المجتمع، أو الذين يعتدون على قواعد الضبط الاجتماعى السائدة، ويؤدى هذا الاعتداء إلى حالة من عدم الرضا الاجتماعى.

ويرى "دوركايم" أن هذه القوانين لا توجد بذاتها مستقلة عن الأفراد ومظاهر السلوك التى تخلقها هذه القوانين، وهذه القوانين تعم المجتمع لتحقق وحدة السلوك بين أغلبية المواطنين. ولما كان أهم موضوعات علم الاجتماع هو دراسة النظم الاجتماعية والعلاقات بينها، فعلم القانون يساعد علماء الاجتماع على فهم المجتمع والوصول إلى نتائج سليمة، نظراً للتأثير المتبادل بين النظام الأسرى والنظام السياسى، والنظام التعليمى والسياسى. ومن جانب آخر تمارس الظواهر الاجتماعية تأثيرات فعالة على القواعد والنظم

القانونية كالتنشئة الاجتماعية، والتقسيم الطبقى، وانساق القيم والسلوك الجمعى والتيارات السكانية.

وليس أدل على الصلة الوثيقة التى تربط علم الاجتماع بالقانون من دراسة كل منهما لموضوع الملكية، فالقانون يدرسها من حيث أنها حق ينتقل بالبيع والشراء والميراث والهبة والوصية، بينما عالم الاجتماع ينظر إلى الملكية كظاهرة اجتماعية إذ يبحث في نشأتها، وتطورها وأشكالها والآثار الاجتماعية المترتبة على السياسة العامة لتوزيع الملكيات وأثر ذلك على نظم الحكم وعلى انقسام المجتمع إلى طبقات اجتماعية، وما يترتب على ذلك من مشاكل اجتماعية.

أى أن علم الاجتماع والقانون يكمل كل منهما الآخر.

١٣- علاقة علم الاجتماع بالفلسفة:

يدرس علم الاجتماع اكتساب القيم الاجتماعية مؤكداً نسبية القيم، وتأثرها بالتغير الاجتماعى، وأوضح دور القيم كعنصر اجتماعى مشترك يدخل في تركيب البناء الاجتماعى وتكوين بناء الشخصية الاجتماعية، كما أن القيم لا أهمية أو قيمة لها إلا في المجتمع الذى توجد فيه، وأن وظيفة عالم الاجتماع ليس صنع قيم جديدة، بل تناول القيم السائدة بالتحليل والتفسير.

كما يدرس الحكومة وتيساءل هل هى ضرورية رغم أنها تعد شراً، ويدرس عالم الاجتماع أيضاً أهمية العلم والمعرفة في بناء الإنسان والمجتمعات وهو الذى يساعد على تطور وتقدم البشرية، كما يبحث في أخلاقيات البشر وآثارها على المجتمع. وكل هذه الموضوعات يشترك في تناولها الاجتماعى والفيلسوف. أضف إلي ذلك أنه إذا كانت الفلسفة تهتم بالغايات فعلم الاجتماع يضع الضوابط الاجتماعية لهذه الغايات. فالصلة وثيقة بين العلمين.

١٤- علاقة علم الاجتماع بالتربية:

ينظر علم الاجتماع إلى التربية والتعليم على إعتبار أنها تمثل ضرورة اجتماعية لابد منها في المجتمعات البشرية، بل هى كظاهرة اجتماعية تؤثر وتتأثر بغيرها من النظم والظواهر الاجتماعية الأخرى، وهى نتيجة التفاعل الاجتماعى في الماضى والحاضر، وهى سلطة اجتماعية تتمثل في تربية شاملة عقلية وجسمانية وأخلاقية، وهى تهدف إلى ربط الفرد بالمجتمع حتى يشعر بالتضامن والتماسك مع مجتمعه، ويعرف أنه مرتبط مع أقرانه في المجتمع بتراث اجتماعى واحد، وهى تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن عصر إلى عصر في المجتمع الواحد، وعليه تعتبر التربية إحدى الظواهر الاجتماعية، وهى فرع من فروع علم الاجتماع بل ومن أقدم فروعه.

١٥- علاقة علم الاجتماع بعلوم اللغة:

يهتم علـم اللغويـات بتحليـل اللغـات في زمـن معين، ويـدرس النظم الصوتية وقواعد اللغة والمفردات، ومن المعروف أن اللغة خاصة بالجماعات وهى موجودة قبل وجود الفرد، والفرد يولد بـلا لغـة ثـم يكتسبها من الجماعة باعتبارها تراثا جماعيا وليـس في هـذا الـتراث أى نوع من الاختيار، فهو لا يملك التدخل في اختيار مفرداتهـا أو تنظيـم قواعدها، وهى وسيلة من وسائل تنظيم المجتمع الانسانى، وتقوم بدور فعال في تماسك المجتمع، وهى الوسيلة التى مكنت الانسـان أن يحتفـظ بأجزاء من التراث الاجتماعى.

ومع هذا فلا يمكـن للبـاحث الاجتمـاعى أن يـدرس أى جماعـة دون أن يفهـم لغتهـا بـل ولهجتهـا، لأن اللغـة وسـيلة التفـاهم أو التوصيل، بل وجزء من السـلوك الانسـانى، وكلهـا مـن الموضوعـات التى يدرسها علم الاجتماع.

١٦- علاقة علم الاجتماع بعلم الجمال:

لا شك أن الفن - بأشكاله - تعبيرا عن المعتقدات، والعادات، والعواطـف، والأفكـار التـى خاضتهـا التجربـة الانسـانية، وذلـك في صورة جماليـة، تخاطب الحواس والعقـل. سـواء كـان هـذا الفـن والتعبيرات الجماليـة متمثلـة في الفنـون التطبيقيـة كالخزف والرسـم

وتصميم النسيج، أو في المسرح والأوبرا أو الموسيقى أو السينما أو حتى في التمثيليات الأذاعية والتلفيزيونية وقصص المجلات، أو في فن الشعر والرواية والقصة القصيرة.

وتعتبر النواحى الفنية عن المعانى والرموز الاجتماعية سواء القائمة بالفعل أو التى كانت سائدة في الماضى. بل إننا نرى بعض اللوحات الفنية تحكى وتعبر بصدق عن تاريخ شعب، أو تعرض مشكلة اجتماعية، أو ظلماً اجتماعياً، أو رؤية لإصلاح اجتماعى لأوضاع مترديه في المجتمع، أو تغرس قيمة اجتماعية في نفوس الأفراد، بل ويستخدم الفن كثيراً كوسيلة من وسائل الاتصال الاجتماعى. ومن جانب آخر لا يمكن للفن والتذوق والجمالى أن يؤدى دوره كاملا دون الإلمام التام بالأوضاع الاجتماعية السائدة سواء بين الأفراد، أو الجماعات، أو المجتمعات أو حتى الدول، أو بمعنى آخر لكى تكتمل رسالته لابد أن يكون فناناً اجتماعياً، والفنان لابد له من جمهور يخاطبه ويكتب له ويؤثر فيه.

والفنان من وجهة نظر علم الاجتماع يولد في مجتمع ذى ثقافة خاصة وينشئه مجتمعه تنشئة اجتماعية بطريقة تؤثر في شخصيته، كما تؤثر بوجه خاص في اتجاهاته إزاء الفن، بل كثيرا ما تؤثر قيمه الاجتماعية التى تربى عليها في نشاطه الفنى، وهذا يؤكد التصاق علم الاجتماع بالفن والجمال.

اتجاهات التخصصات العلمية في علم الاجتماع

تعددت اتجاهات التخصصات العلمية في علم الاجتماع نظراً للاتجاه الشديد نحو التخصص في سائر العلوم.

ونظراً لأن علم الاجتماع كان من أواخر العلوم في الظهور حديثا. ومن ثم فقد كان من أعقدها أو أكثرها تعقيدا. لأنه عبارة عن ذلك العلم الذى أرسى قواعده على ما انتهت اليه العلوم السابقة عليه.

وقد أدى هذا التعقيد الذى يشهده ذلك العلم الى أن ينحل هذا العلم نفسه إلى عديد من الفروع العلمية التى تكون هذا العلم ومن أهم هذه الفروع مايلى:

١- علم الاجتماع العام.

٢- علم الاجتماع الثقافى.

٣- علم الاجتماع الريفى.

٤- علم الاجتماع الحضرى.

٥- علم الاجتماع السرى.

٦- علم الاجتماع الاقتصادى.

٧- علم الاجتماع السياسى.

٨- علم الإجتماع القانونى .

٩- علم الإجتماع الاخلاقى .

١٠- علم الإجتماع اللغوى .

١١- علم الإجتماع التربوى .

١٢- علم الإجتماع الدينى .

١٣- علم الإجتماع الصناعى .

١٤- علم الإجتماع العسكرى .

١٥- علم الإجتماع التطبيقى .

١- علم الإجتماع العام.

ويتناول دراسة الظاهرة الإجتماعية من حيث فلسفتها ونشأتها وخصائصها ومكوناتها والعوامل المؤثرة فيها كما يتناول الفكر الإجتماعى وتطوره والفلسفة التى يقوم عليها .

كما يتناول المقومات الأساسية للحياة الإجتماعية بصفة عامة . وكذلك دراسة طبيعة المجتمع ونظمه وأهم العلاقات التى تسود بين الأفراد . وأهم الأنماط المجتمعية السائدة بين الجماعات والبيئات المحلية داخل المجتمع .

٢- علم الإجتماع الثقافى

ويتناول هذا الفرع من العلوم الإجتماعية دراسة ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقيدة والفن ، والأعراف والعادات الإجتماعية ، وجميع القدرات الأخرى التى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا فى جماعة .

٣- علم الإجتماع الريفى .

ويتناول هذا الفرع من علوم الإجتماع دراسة المناطق الريفية وخصائصها الإجتماعية ، وأهم المشكلات التى تواجه المناطق الريفية ، والتعرف على أهم احتياجاتها . والعمل على استبعاد مايسمى بظاهرة الثنائية الإقليمية ، والتى تعنى سد الفجوة الإجتماعية بين مايسمى بالمناطق الريفية والمناطق الحضرية.

٤- علم الإجتماع الحضرى .

يرجع الإهتمام بذلك الفرع من علوم الإجتماع إلى ماشهده القرن الثامن عشر وكذلك القرن التاسع عشر من سرعة نمو المدن الصناعية وزيادة مؤسساتها وتعقد العلاقات الإجتماعية وتغير انماط الحياة الإجتماعية بصفة عامة بسبب الثورة الصناعية وما صحبها

من نحـولات إجتماعيـة ، ومـاترتب عليهـا مـن هجـرة جماعيـة مـن الريف إلى المدن وارتفاع مستوى المعيشـة وزيـادة الدخـل ، وتفكك الروابط الأسرية .

كما ظهرت فى المدن الصناعية مشكلات إجتماعية ناتجة عن عـدم كفايـة الخدمـات وبصفـة خاصـة مـايتعلق منهـا بالإسـكان والمواصلات والتعليم والصحة والترويح إلى غير ذلك من مشكلات كل هذا أدى إلى الإهتمـام بالناحيـة الإجتماعيـة التـى تخـص المنـاطق الحضريـة فـى ظـل الظـروف الجديـدة ممـا أدى الـى ظهـور علـم الإجتماع الحضرى .

٥- علم الإجتماع الأسرى .

إذا كانت الأسرة تمثـل الخليـة الإجتماعيـة التربويـة الأولـى التـى تتلقى الطفل منذ ولادته وحتى التحاقه بمراحل التعليم المختلفـة التـى نظمها المجتمع وإذا كانت الأسرة هى أصلح نظام إجتماعى ارتضـاه المجتمع للحفاظ على وظائفه وتجديد بنيانـه ، فإنـه مـن ثـم كـان مـن الضـرورى أن يظهـر ثمـة فـرع مـن فـروع علـم الإجتمـاع كيمـا يتخصص فى دراسـة الأسـرة كنظـام إجتمـاعى ومـايتصل بهـا مـن ظواهر ونظم .

٦- علم الإجتماع الإقتصادي.

لاتقوم الأوضاع والنظم الإقتصادية فى المجتمع من فراغ ، وإنما ترتبط إرتباطا شديدا وثيقا بالأوضاع والنظم الإجتماعية ، والإحالة متبادلة دائما بين الأوضاع الأقتصادية وكذلك الأوضاع الإجتماعية نظرا للتأثير المتبادل بينهما، ومن ثم كان من الضرورى أن ينشأ فرع من فروع علم الإجتماع يتخصص فى دراسة الظواهر والنظم الإقتصادية وماترتبط به من أوضاع إجتماعية وسمى هذا الفرع باسم " علم الإجتماع الإقتصادى "

٧- علم الإجتماع السياسي.

ويتناول علم الإجتماع السياسى دراسة الظاهرة الإجتماعية فى علاقتها بالنظرية السياسية وكذلك دراسة أهم خصائص الظاهرة السياسية من حيث كونها ظاهرة تعيش فى حياة مجتمعية، وتنشأ من خلال أوضاع إجتماعية معينة ، وأهم المؤثرات المتبادلة بين الظاهرة الإجتماعية والظاهرة السياسية فى المجتمع ، وأهم العوامل والظروف الإجتماعية التى تساعد على ظهور نظرية سياسية معينة فى ظل اوضاع مجتمعية معينة .

٨- علم الإجتماع القانونى.

ويرتبط علم الإجتماع القانونى بعلم الإجتماع السياسى ، من حيث أن علم الإجتماع القانونى يحاول دراسة الأسباب الأجتماعية التى تؤدى إلى أوضاع قانونية ودستورية معينة فى بلد ما .

ومن ناحية أخرى فإن علم الإجتماع القانونى يدرس الناحية القانونية والنظم الإجتماعية والمرتبطة بالمسئولية والجزاء والإنحرافات ، وأهم العوامل الإجتماعية المؤدية إلى السلوك الإجرامى وسوء التكيف الإجتماعى وأهم السنن والقوانين الإجتماعية التى تساعد على بناء بيئة إجتماعية صالحة خالية من الأمراض الإجتماعية .

٩- علم الإجتماع الاخلاقى.

وترجع محاولة تأسيس هذا العلم إلى " ليفى بريل " حينما حاول تأسيس علم الأخلاق على نمط الروح الوضعية ، فاقترح لها إسما جديداً هو "علم الإجتماع الأخلاقى" .

ويتناول هذا العلم دراسة المعايير الأخلاقية ، وأهم المظاهر الأخلاقية فى التراث الإجتماعى.

١٠- علم الإجتماع اللغوى .

اللغة تنشأ من خلال الحياة الإجتماعية ، ولايمكن للغة أن تقوم من فراغ ، بل لابد من تنمو من خلال البيئة الإجتماعية التى تولد بها ، وتقع مهمة علم الإجتماع اللغوى فى دراسة اللغة ونشأتها من خلال الحياة الإجتماعية وتطورها وتشعبها ، وكذلك صراعها مع اللغات الأخرى ، وكذلك نشأة اللهجات المحلية ، واللغات العالمية التى يمكن أن تستخدمها كل الشعوب .

١١- علم الإجتماع التربوى .

إذا كانت النظرية الإجتماعية تهدف إلى إيجاد صيغة إجتماعية ملائمة لتفسير الظاهرة الإجتماعية ، فإنما هى تسعى إلى ذلك يهدف تطويع هذا الفهم والتفسير للإستخدام البشرى فيما يمكن تسميته بالمبادئ التربوية التى يمكن تطبيقها فى الواقع لصالح البشر .

ومن ثم فإن العلاقة جد وثيقة بين النظرية الإجتماعية والنظرية التربوية ، فلا ريب فى أن بناء النظرية الأولى هو القاعدة فى صياغة النظرية الثانية ، ولايمكن بحال من الأحوال أن تقوم النظرية التربوية من فراغ ، بل تنبع من الفلسفة الإجتماعية السائدة فى المجتمع ، ولذلك فإن الأمر يتطلب قيام ذلك الفرع المتخصص

من علم الإجتماع ، كيما يتولى الجانب التربوى فى الحياة الإجتماعية ، وسمى هذا العلم بعلم الإجتماع التربوى .

١٢- علم الإجتماع الديني .

ويتناول هذا الفرع من علم الإجتماع دراسةُ النظم الدينية السائدة فى مختلف المجتمعات ، وتشمل هذه النظم المعتقدات الدينية ، والطقوس والمراسيم الدينية، والأساليب المختلفة للعبادات فى مختلف المجتمعات .

١٣- علم الإجتماع الصناعي .

يشير علم الإجتماع الصناعى إلى ذلك الفرع المتخصص من العلوم الإجتماعية ، والذى تناول خصائص الظاهرة الإجتماعية فى البيئة الصناعية ، وهو من ثم يتناول دراسة أهم المشكلات الإجتماعية الخاصة بعمليات التصنيع والبيئة الصناعية .

كما يتناول مشكلات العمل والعمال فى البيئة الصناعية ، والأسباب الإجتماعية وراء تأخر العمال أو غيابهم عن العمل ، وأهم العوامل المؤدية إلى ارتفاع الإنتاجية ، والأساليب العلمية للتكيف الإجتماعي السليم مع البيئة الصناعية .

١٤- علم الإجتماع العسكرى .

ويطلق عليه اسم علم الإجتماع العسكرى أو علم الإجتماع الحربى ، أو سسيولوجيا الحرب، وقد نشأ هذا العلم نتيجة الكشف عن أن الظروف والأوضاع المادية والفنية وحدها ليست هى المؤثرة فقط فى الأوضاع العسكرية والحربية ، حيث أن قوة الدفاع لاتتوقف فقط على القوة المادية للعتاد والجيوش المحاربة وإنما تتدخل عوامل إجتماعية وظروف مجتمعية أخرى لاتقل أهمية عن العوامل المادية .

ومن ثم فقد نشأ علم الإجتماع العسكرى أو الحربى .

١٥- علم الإجتماع التطبيقى .

ويتناول هذا العلم الأساليب العلمية لتطبيق الحقائق النظرية النى انتهى إليها التنظير فى علم الإجتماع للإستفادة منها فى الواقع بطريقة إجرائية عملية ، ومن ثم فإنه يخرج من ذلك تخصصات أخرى مثل التخطيط الإجتماعى والهندسة الإجتماعية ، تلك التخصصات التى ترعى الواقع الإجتماعى وتحاول الإستفادة من الحقائق النظرية التى توصل عليها علم الإجتماع العام ، أو علم الفلسفة الإجتماعية .

الفصل الخامس

تطور نشأة علم الاجتماع عند المفكرين الاجتماعيين

أولاً: في العالم العربى.

ثانياً: في فرنســـا.

ثالثاً: في انجلترا.

رابعاً: في اسكتلندا.

خامساً: في ألمانيا.

تطور نشأة علم الاجتماع

عند المفكرين الاجتماعيين

جاء الفكر الاجتماعى نتيجة لجهود عدد من المفكرين الاجتماعيين الذين أثروا موضوع علم الاجتماع بجوانبه المختلفة وترتب على ذلك ظهور عدد غير قليل من المدارس الفكرية فى مجال علم الاجتماع ، وذلك فى أوربا والعالم العربى ، بفضل هؤلاء الرواد الاجتماعيين ، ولعل من أهم هؤلاء الرواد مايلى :

١- ابن خلدون "العالم العربى".

٢- جان جاك روسو - "فرنسا".

٣-أوجيست كونت - "فرنسا".

٤-اميل دور كريم - "فرنسا".

٥- هربرت سبنسر - "انجلترا".

٦ آدم فيرجسون - "اسكتلندا".

ونظرا لتعدد الريادة لعلم الاجتماع فى بلاد العالم المختلفة ، فقد تنازعت الدول فضل انشاء علم الاجتماع فأصبحت كل دولة تدعى أن الفضل فى نشأة علم الاجتماع يرجع اليها .

وقد تطورت الدراسات الاجتماعيـة فـى كـل دولـة حسـب المصـدر الذى أنشأها والظروف الاجتماعية التى احاطت بهـا ووجهتهـا ، ومـن ثم فقد ظهرت عدة مدارس لعلم الاجتماع متأثرة بخطى الرواد الأوائل فيها ومحتفظة بالطابع المميز لهذا العلم يميزه عن غيره مـن العلـوم . وكذلك السمات لكل مرحلة من المراحل التى اجتازها علـم الاجتمـاع حتى الآن، كما اجتازها كل علم فى مرحلة تكوينه .

ابن خلدون

هو عبد الرحمن ولى الدين بن خلدون ولد بتونس ٧٣٢هـ-١٣٣٢م من أسرة أشتهرت بالعلم والسياسة .

ويرجع أصل هذه الاسرة الى حضرموت باليمن ودخل جده (خالد بن عثمان) الأندلس مع الذين دخلوها بعد اتمام الفتح ، وكعادة الأندلسيين فى تعظيم الناس جعلوا أسمه ' خالدون' مثل زيدون وحمدون وسعدون.

ثم رحلت الأسرة إلى تونس واستقرت بها قبل مولد عبد الرحمن بنحو قرن من الزمان وأشتغلت بالعلم والسياسة .

وتثقف عبد الرحمن بثقافة عصره فدرس العلوم الرياضية والدينية والأدبية والفلسفية وكان محبا للاطلاع فقرأ كتبا كثيرة وتطلع إلى المزيد ، الا أن الطاعون الذى انتشر فى العالم ٧٤٩هـ حرمه من والديه وجميع اساتذته لأن من نجا منهم من الوباء هرب الى المغرب الاقصى، فاكتفى ابن خلدون بما حصل من العلم واشتغل بالسياسة فى شمال افريقيا التى كانت ميدانا للصراع كبير بين الأسر الحاكمة فقد كانت الحروب والمؤامرات هى الطابع الغالب على المجتمعات فى تلك المنطقة وانغمس ابن خلدون فى المعترك السياسى انغماسا تاما

فقبض عليه فى مؤامرة سياسية وسجن فى قلعة بالصحراء وسمح له بالقراءة والكتابة فألف حينئذ كتابه (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) قاصدا أن يؤلف تاريخا للعالم يخلو من أخطاء المؤرخين وخرافاتهم ولذلك كتب له مقدمة تكشف عن أوضاع المجتمعات والظروف التى تحكم حياتها وتطوراتها فى مختلف الشئون السياسية والاقتصادية والعلمية والدينية والخلقية واللغوية وقال فى نهايتها أنها تصلح أن تكون علما جديدا لم يُسبق عليه واقترح له إسم ' علم العمران ' ومن هنا اعتبره العلماء منشىء علم الاجتماع.

علم الاجتماع عند ابن خلدون :

عزم ابن خلدون أن يؤلف كتابا فى تاريخ العالم يتميز بصحة الوقائع ودقة النظر وسلامة التعليل ، ذلك لأنه رأى ماكتبه المؤرخون قبله فوجده حافلا بالاخطاء والخرافات وذلك لأسباب كثيرة أهمها الجهل بطبائع الاحوال فى العمران .

فرأى أنه من الأفضل أن يقدم للتاريخ بمقدمة تبين للمؤرخين ماينبغى أن يحصلوا عليه قبل الاقدام على كتابة التاريخ من (العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعمار فى السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال) أى

أن يلم المؤرخ بنشأة المجتمعات وطـرق المعيشـة فيها ، وقيام النظم الاجتماعية وتغيرها ومايحكم ذلك من قوانين اجتماعيـة تـدل علـى أن المجتمع محكوم عليه بقواعد تنبع من طبيعة التجمـع الإنسـانى ، وأنـه ليس مسيرا بقوى خارجية تفرض عليه تحركاتـه ، وهـو مـايعبر عنـه بتلقائية الظواهر الاجتماعية ، ولكنه أدرك فـى نفس الوقـت أنـه بهـذه المقدمة أنشأ علما جديدا لم يُسبق اليه ' فإنه ذوموضوع وهو العمـران البشـرى والاجتمـاع الانسـانى، وذو مسـائل وشـى بيـان مـايحققـه مـن العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد الأخرى).

وانحصر موضوع علم الاجتماع عند بن خلدون فىدراسة الحقـائق الآتية :

١- العمران البشرى على الجملة وأصنافه وقسطه من الارض (الاجتماع العام).

٢- فـى العمـران البـدوى وذكـر القبـائل والأمـم الوحشـية (الأنثروبولوجيا).

٣- الدول وخلافه والملك والمراتب السلطانية (النظام السياسى).

٤- العمـران الحضـرى والبلـدان والأعمـار(الاجتمـاع الريفـى والحضرى)

٥- الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه (الاجتماع الصناعى والاقتصادى).

٦- العلوم واكتسابها وتعلمها (النظام التعليمى والتربوى).

ومن هذا يتضح أنه ذكر أغلب النظم الاجتماعية وفروع علم الاجتماع تفسر نشأة المجتمع .

يرى ابن خلدون أن الاجتماع الانسانى ضرورى ، وهذا معنى قول الحكماء أن الإنسان مدنى بالطبع ، أى لابد له من الاجتماع الذى هو المدينة فى اصطلاحهم وهو معنى العمران وذلك للأسباب الآتية :

(أ) حاجة الانسان إلى الغذاء .

(ب) عجز الفرد عن الوفاء بحاجته فى الطعام .

(ج) حاجة كل فرد فى الدفاع عن نفسه إلى الإستعانة بأبناء جنسه .

ومن ثم فإن هذا الاجتماع ضرورى للنوع الانسانى ، وإلا لن يكتمل وجودها وما أراده الله من اعتماد العالم بهم واستخلافه إياهم . فإذا تم هذا الاجتماع إحتاج المجتمع إلى الحكومة والعلم والصناعة والقضاء والدين والتجارة والنقل .

ويشيرماسبق إلى أن بن خلدون يفسر نشأة المجتمع تفسيرا فلسفيا وبيولوجيا ودينيا فى آن واحد ، وهكذا شأنه فى أغلب موضوعات علم الاجتماع الذى ابتكره ، فإنه رغم تأكيده أن المجتمع هو مصدر جميع النظم والظواهر الاجتماعية وأنها تصدرعنه تلقائيا ، فإنه ينساق لثقافة عصره واتجاهه العقلى ويلجأ الى تفسيرات الظواهر الاجتماعية مستعينا بظواهر أخرى نفسية وجغرافية وأسطورية ، فيتحدث كثيرًا عن الظواهر البشرية مثل تأثير الهواء (المناخ) فى أخلاق البشر ويصنف الناس حسب مواقعهم الجغرافية فيرى فى أهل الشمال أن المناخ البارد هو السبب فى بياض جلودهم وزرقة عيونهم وميلهم الى الحكمة والصناعة ، بينما كان المناخ الحار فى الجنوب هو السبب فى سواد بشرة السودان والحبش وميلهم إلى الخفة والطيش وخلو بلادهم من الصناعة والحضارة والأديان السماوية ، إذ يعيشون عراة بيوتهم أكواخ من الغاب وطعامهم من ثمار الاشجار .

وفى الدين يقتبس أقوال الفلاسفة الدينين دون أن يعرض لاثر المجتمعات فى الاديان مع أنه قد اطلع على ماكتب عن أديان الفرس والهند والصين .

وفى السياسة يرى أن عمر الدولة يقدر بأربعة أجيال على نحو ماعاين من ظواهر فى شمال افريقية من انقلابات وارتقاء أسر حاكمه

وسقوط أخرى وفى الفلسفة يخصص فصلا عن (أبطال الفلسفة وفساد منتحلها) يردد فيه أقوال خصوم الفلسفة مع أنه أفرد فصولا" لعلوم خرافيه مثل علم الطلسات وأسرار الحروف وغير ذلك .

إن ابن خلدون كان واعيا بضرورة اقامة علم على أساس ان المجتمع هو مصدر الظواهر والنظم الاجتماعية ، ولكن ثقافة عصره وماكان لديه من معلومات لم تكن كافية لتقديم الحقائق الكفيلة بإقامة العلم على هذا الأساس ، ولذلك إستعان بأقرب الآراء إلى ثقافته لتفسير الوقائع الاجتماعية ولهذا لم يستطع أن يفى بشروط العلم التى تحدد منهجه .

إن مقدمة ابن خلدون أساس التاريخ وحجر الزاوية في كتابة كما يقول ماكدونالد وهى مقدمة تاريخية فلسفية لم ينسج أحد على منوالها من قبل ، حتى علماء اليونان والرومان وغيرهم . وهناك من علماء اوربا من خرج بتصريح خطير بعد دراسة المقدمة ، فاعترف بأثر هذه المقدمة فى التاريخ وفلسفته، قال روبرت فلنت : "... من جهة علم التاريخ وفلسفته يتحلى الأدب العربى باسم من المع الأسماء ، فلا العالم الكلاسيكى فى القرون القديمة ، ولا العالم المسيحى فى القرون الوسطى يستطيعان أن يقدما اسما يضاهى فى لمعانه ابن خلدون ...) ويتابع كلامه فيقول : "... إن من يقرأ المقدمة بإخلاص ونزاهه

لايستطيع إلا أن يعترف بأن " ابن خلدون" يستحق لقب مؤسس علم التاريخ وفلسفته..." وفى هذه المقدمة يتجلى اتساع أفق تفكير " ابن خلدون" وغزارة علمه، فقد اتخذ من المجتمع كله ومايعرض فيه من الظواهر مادة لدرسه . وحاول أن يفهم من هذه الظواهر وأن يعللها على ضوء التاريخ ، وأن يرتب من سيرها وتفاعلها قوانين اجتماعية عامة ، وهذا ماجعل الباحثون يقولون بتفوق " ابن خلدون " على " ميكافللى" تفوقا عظيما فى التفكير ونوع النتاج العلمى ، وفى نظريات العصبية وأعمار الدول وخواصها ومعالجتها من النواحى الاجتماعية، مما حدا بالعالم الاجتماعى ' جمبلوفتش" أن يصرح بأن فضل السبق يوجه الى العلامة الاجتماعى العربى " ابن خلدون " فيما يتعلق بكثير من النظريات والآراء التى وردت فى كتاب (الأمير) لميكافللى .

وقد قارن " كلوزيو" بين " ابن خلدون" وميكافللى فقال فى هذا الصدد :

".. إذا كان ميكافللى يعلمنا وسائل حكم الناس فإنه يفعل ذلك كسياسى بعيد النظر . ولكن العلامة التونسى ابن خلدون استطاع ان ينفذ إلى الظواهر الاجتماعية كاقتصادى وفيلسوف راسخ ، مما يحملنا بحق على أن نرى فى أثره من سمو النظر والنزعة النقدية مالم يعرفه عصره .."

وقد درس كثير من العرب([1]) المقدمة دراسة وافيه وقارنها بمؤلفات " فيكو" و" مونتسكيو" وغيرها ، فجاء كتابه "... دراسات فى مقدمة ابن خلدون ، من أروع الكتب الحديثة وأنفسها التى كشفت نقاطا كانت غامضة عن " ابن خلدون" وآثاره وقيمته العلمية والتاريخية ، ويرون أن نزعة " ابن خلدون" الفكرية كانت أقرب من نزعة " فيكو" إلى مناحى البحوث العلمية بوجه عام وإلى أصول البحث العلمى فى مجالات التاريخ والاجتماع بوجه خاص .

ويتعرض بعض المفكرين بعد ذلك الى سعة النظر وشمول البحث وعمق الفكير وطريق البحث والاستقراء فى المقدمة وفى كتاب " العالم الجديد " لدى فيكو " فيجد أن كفة المقدمة ترجح على كفة " العالم الجديد " رجحانا كبيرا جدا فى ذلك . وهم يقررون أن مقدمة ابن خلدون كانت أقرب من كتاب (فيكو) الى اسس علم التاريخ وفلسفته وعلم الاجتماع وفلسفته ، وانها تقترب من طرق البحوث العلمية الحديثة بوجه عام وطرق البحوث التاريخية والاجتماعية بوجه خاص اقترابا كبيرا .

أما " مونتسيكو " فهو من أشهر رجال الفكر والقلم الذين نبغوا فى القرن الثامن عشر فى فرنسا . وقد شغل مكانا ممتازا فى مجال تاريخ

---

[1] - درسها الاستاذ ساطع الحصرى على سبيل المثال .

فلسفة التاريخ وعلم التاريخ ، ومن جراء الأهمية التى يعزوها الى العوامل الاقتصادية فى تكوين طبائع الأمم وتسيير وقائع التاريخ ، حتى إن بعض الباحثين يرى أن " مونتسيكو " أول من ربط علم الاقتصاد بعلم التاريخ ، وأنه أول من شارك هذين العلمين فى تفسير الظواهر الاجتماعية وتعليلها .

ولكن بعض الدراسات العربية تشير إلى أن ابن خلدون قد سبق " مونتسيكو " فقد جاء فى المقدمة مايشير الى العلاقات القوية التى تربط الأحوال الاجتماعية بالحياة الاقتصادية ، وإلى أهمية العوامل الاقتصادية فى تطور الدول وتقدم الحضارة . وقد ظهرت هذه الآراء فى ثنايا المقدمة بعبارات صريحة لاغموض فيها . ومن ثم فإن القول: ... بإدخال عنصر الاقتصاد فى علم التاريخ يرجع إلى جهود مونتسيكو فقط يعتبر تجاوزا من الواقع والحقيقة ، وأن بناء هذه العلاقة يرجع إلى جهود ابن خلدون الذى سبق مونتسيكو فى هذا الشأن مدة تزيدعلى ٢٥٠ سنة ... " فقد امتاز " ابن خلدون " بعمق التفكير ودقة النظر التى اظهرها فى دراسة علاقة التاريخ بالاقتصاد ، وهو يدرك التطورات والتقلبات التى تصيب المجتمع، وأن أهم عامل فى هذه التطورات والتقلبات هو الاقتصاد قال إن الفقر هو الذى يؤدى بالناس إلى النهب والحرب ، بل إن الآراء التى أظهرها المفكر العربى فى هذا الصدد تقربه كثيرا من مبادئ المذهب الاقتصادى

الاجتماعى الذى عرف فيما بعد باسم " المادة التاريخية " منذ عهد كارل ماركس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر للميلاد .

ويلاحظ مما سبق أن ابن خلدون قد خاض غمار السياسة وتعرض لمحنتها وتقلباتها ، وانه اعتكف ورغب عن الناس إلى العلم والدرس فى أواخر حياته ويرى كثيرون أن هذه الحالة التى نشأ عليها قد أكسبته خبرة ، وبصرته بتجارب الحياة الخاصة والعامة .

كان " ابن خلدون يرى أن الأقيسة المنطقية لاتتفق مع طبيعة الاشياء المحسوسة ، ذلك لأن معرفة هذه لاتتسنى إلا بالمشاهدة ، وهو يدعو العالم أن يفكر فيما تؤدى اليه التجربة الحسية ، وأن يكتفى بتجاربه الفردية بل عليه أن يأخذ مجموع التجارب التى انتهت اليها الانسانية و" ابن خلدون " مفكر متزن التفكير ، فقد حارب الكيمياء وصناعة النجوم بالأدلة العقلية وعقد لكل منهما فصلا فى إبطاله وعدم الأخذ به .

لقد وضع قواعد الطريقة التاريخية (Historical Method) ، ويرى أن الاخطاء التى وقع فيها الكثيرممن سبقوه ترجع الى أسباب أهمها : تشيع المؤلفين وتصديقهم لكل مايرى دون الفحص ، وجهلهم بطبائع العمران وأحوال الناس . وهو لايقف عند هذا بل نراه يضع القوانين لدراسة التاريخ كربط الحوادث بعضها ببعض ارتباط العلة

بالمعلول، وقياس الماضى بمقياس الحاضر، ثم مراعاة البيئة واختلاف تأثيرها باختلاف الأقاليم ، والحالة الاقتصادية والوراثية وماشاكل ذلك.

والمقدمة تحتوى على ملاحظات نفسية وسياسية دقيقة يرى " دي بور " أنها فى جملتها عمل عظيم مبتكر . و يرى (دى بور) أن المؤرخين القدماء لم يورثونا التاريخ علما من العلوم يقوم على اساس فلسفى على الرغم من جمال اسلوب بعضهم ، وان القدماء كانوا يعللون عدم بلوغ الإنسانية منذ زمان بعيد درجة أعلى مما بلغته فى المدنية بالاستناد الى حوادث أولية كالزلازل والطوفان ، وإلى ان المسيحية كانت تعتبر التاريخ بوقائعه تمهيدا لمملكة الله على الأرض، أما ابن خلدون - كما يقول " دى بور " ، - فكان أول من حاول أن يربط بين تطور الإجتماع الأنسانى من جهة ، وبين علله القريبة مع حسن الإدراك لمسائل البحث وتقريرها مؤيدة بالأدلة المقنعة . فقد نظر فى أحوال الجنس والهواء ووجوه الكسب وعرضها مع بيان تأثيرها فى التكوين الجسمى والعقلى فى الانسان وفى المجتمع .

ويرى " ابن خلدون " أن حوادث التاريخ مقيدة بقوانين طبيعية ثابتة، وأن ظواهر التاريخ هى التى تحدد شكل الدولة . أما باطنه فهو

نظر وتحقيق وتعليق للكائنات ومبادئها . وكذلك هو علم بكيفيات الوقائع وأسبابها .

وهناك من علماء الغرب من يعتبر " أوجست كونت " مؤسسا لعلم الاجتماع وأنه أول من نظر لى المجتمع ككل ، إذ اتخذه موضوعا لعلم مستقل قائم بنفسه . غير أن الكثير من علماء الاجتماع يرون ابن خلدون أجدر بلقب مؤسس علم الاجتماع أكثر من غيره مثل " كونت " ذلك بأنه كان قد قدم تفسيرات للظواهر الاجتماعية قبل ' كونت ' بمدة تزيد على٤٦٠ عاما.

لم تكن المقدمة تلمسا بسيطا لعلم الاجتماع ، بل كانت محاولة ناجحة لاستحداث علم الاجتماع ، لقد قال ابن خلدون بوجوب اتخاذ " الاجتماع الإنسانى " موضوعا لعلم مستقل ، واعتقد تماما بأن الأحوال الاجتماعية تتأتى من علل وأسباب . وقد أدرك أن هذه العلل والاسباب تعود فى الدرجة الأولى إلى طبيعة العمران ، أو طبيعة الاجتماع ، وقد درسها دراسة مستفيضة وخرج منها بكشف بعض القوانين المتعلقة بها مما ينم عن تفكير عبقرى يستحق كل تقدير واعجاب من جانب المشتغلين بعلم الاجتماع .

وبالنسبة لمفهوم " العقل " عند ابن خلدون . فنجد أن مقدمته تدل أولا على انه كان مؤمنا بالله ، وراسخ الإيمان بالإسلام .

ويرى أن العقل من نعم الله ، ميز بـه الانسـان علـى المخلوقـات ، وأن الانسان يستطيع أن يستنبط سنة الله فى خلقه بقوة هذا العقل ، كما أنه يستطيع ان يستفيد من تلك السنن الثابتة فى " جلب المنـافع ودفع المضار " فى حياته الشخصية وفى تقرير سياسة عقليـة . ولهذا يمكن القول إن " ابن خلدون " مـن الذيـن يعتمـدون علـى العقـل استرسالا كليا ، بل إنه يرى أن نطاق مدركـات العقل محدود بحـدود طبيعـة لاسـيل إلـى اجتيازهـا بالمحاكمـات النظريـة وحدهـا إذ العقـل البشرى عاجز عن إدراك مايقع وراء المحسوسات من أمـور التوحيـد وحقائق صفـات اللـه وسـائر الأمـور الروحانيـة وغيرهـا مـن الأمـور المشابهة .

وفى المقدمة تشبيهات مادية يمكـن الخـروج منهـا بـأن عقليـة "ابن خلـدون " تمتـاز بصفـات أبرزهـا؛ شـدة التشـوق إلـى المعرفـة العلميـة اليقينية ، ودقة الملاحظة ، ونزعة البحـث ، والتعميـم ، والقـدرة علـى الاستقراء .

علم الاجتماع فى فرنسا

جان جاك روسو (١٧١٣ - ١٧٧٨)

يعد جان جاك روسو أحد المفكرين البارزين الذين أثروا موضوع علم الاجتماع فى اوربا بصفة عامة وفرنسا بصفة خاصة ، وقد ولد بجنيف فى سويسرا من أسرة فرنسية الأصل تعتنق المذهب البروتستانتى بمنهج علمى موضوعى هو " قانون الأطوار " الذى يستطيع العقل بواسطته أن يربط بين الحالات العقلية البدائية والحالات العقلية الراقية وأن يقيس درجات النمو التى قطعها البناء الاجتماعى فى طريق تقدمه .

ويتم التقدم عندما تتحقق حالة الإنسجام التام والتناسق الكلى فى الحياة الاجتماعية فتقوم حالة يمكن تسميتها " الخير العقلى " وهى تشبه حالة العدالة عند افلاطون والسعادة عند ارسطو والتقدم الاجتماعى باعتباره غاية التطور الاجتماعى يتمثل فى زيادة تكيف الأفراد حيال المجتمع وتناسق المجتمع مع البيئة . والعقل الجمعى هو الذى يشهد بصحة هذا التقدم .

ويرى فى دراسته للاجتماع السياسى ان التطور السياسى سار فى ثلاثة أشكال هى :

١- القرابة وهى العلاقة الغالبة على النظام السياسى فى الجماعات البدائية .

٢- السلطة وهى المظهر الغالب على الدول والإمبراطوريات القديمة حيث كان الدين والسيادة الشخصية يسيطران على النظام السياسى.

٣- المواطنة أو الرعوية وهذا يقوم على قوتين المسئولية الفردية بالنسبة للحقوق والواجبات المدنية ، والمسئولية الحكومية المعبرة عن ارادة مجموع أفراد المجتمع وتتمثل فى القانون والإدارة .

ولكن يمكن تقليل مساوئ الحياة الاجتماعية عن طريق تربية الأطفال تربية طبيعية ليستعيدوا أخلاق الفطرة الخيرة ، وجعل السيادة فى يد الشعب فذلك مايسوغ وجود الحكومة ، لأن الناس تعاقدوا على أن يعيشوا حياة آمنة فتنازلوا عن أنانيتهم وحريتهم الطبيعية للملك الذى يضمن لهم أن لايعتدى القوى على الضعيف وأن لايظلم الغنى الفقير ، وأن يأمن كل فرد على حياته وماله وأسرته، وأن يتمتع بحرية مقيدة بحرية الآخرين .

فالحكومة تستمد سلطتها من تفويض الشعب ، وعليها أن تعمل لمصلحته ، ورفع المظالم عنه ، وأن لاتشرع قانونا إلا إذا أجازه

التصويت المباشر للمواطنين ، وإلا فمن حق الشعب أن يثور على الحكومة ويخلعها ويعهد بحكمه إلى من يرعى أمانة العقد الاجتماعى.

وميز رسو بين " الارادة العامة " للمجتمع وبين " إرادة الجميع " والأولى هى ارادة طائفة من المواطنين تتجه نحو اغراضها المشتركة والثانية هى حشد من الإرادات الفردية الخاصة . وقد أثارت هذه التفرقة جد لافلسفيا كبيرا عن مشروعية سلطة الدولة ، فإنه إذا كانت الدول تعبر عن الارادة العامة فإنها بذلك تكون حائزة لمشروعيتها ، لأنها تكون عندئذ مسئولة عن تحقيق ارادة الشعب فى حكم نفسه أى انها ترمز إلى حرية الناس فى ضبط سلوكهم وفق تصورهم بما يجب أن تكون مصلحته أ ما إذا كانت الدولة تعبر عن ارادة الجميع فإنها بذلك لاتبرر مشروعية السلطة لأنها تفرض ارادةالأنانية الخاصة على المجتمع .

وقد نقد المؤرخون جان جاك روسو والقائلين بنظرية التعاقد الاجتماعى بأن هذا التعاقد لم يحدث تاريخيا ، ولكن اصحاب العقد الاجتماعى لم يقولوا إنه حدث فعلا فى التاريخ . ويقول جروتيوسى عالم القانون الحديث إن أى علاقة للتعاون بين طرفين هى علاقة تعاقد اجتماعى ، وليس من الضرورى أن يكون التعاقد صريحا فقد يكون ضمنيا .

وقد علمته أمه ثم ارسله والده الى احد الحفارين ولكن روسو هرب من الرجل بسبب قسوته وهام على وجهه شريدا في سويسرا ثم في ايطاليا يحترف حرفا بسيطة فاشتغل مساحا وبناء . وفي سن ٢٤ تعرف في "سافوى" على سيدة تبنته وعطفت عليه واتاحت له الحياة المستقرة فأستغل فراغه في القراءة وتعلم الموسيقى حتى استحوذ على معرفة كبيرة بالعلوم في عصره وبعد خمس سنوات ذهب الى باريس ثم اشتغل سكرتيرا لسفير فرنسا في البندقية . وفي سن الثلاثين عاد إلى باريس واتصل بالفلاسفة وخاصة ديدرو .

ثم اشترك في مسابقة نظمتها أكاديمية ديجون عنوانها " هل عاونت العلوم والفنون على تصفية الأخلاق " وظفر بالجائزة الأولى ثم نشر البحث في كتاب جلب له شهرة كبيرة . ثم اعلنت الأكايمية عن مسابقة أخرى عنوانها " منبع تفاوت المراتب بين الناس وهل يقره القانون الطبيعي" فدخل المسابقة ولكنه لم يفز فنشر بحثه في كتاب عنوانه " مقال في أصل التفاوت بين الناس " وفي سنة ١٧٦٢ نشر كتابين أحدهما " العقد الاجتماعي " والثاني " أميل أو في التربية " لاصلاح المجتمع في عهده .

رأى روسو أن الإنسان خير بطبيعته بوصفه فردا وأن الناس كانوا في الماضي يعيشون حياة حرة في الطبيعة لايعرفون الشرور والمظالم، وأن نشأة المجتمعات الحضرية هي التي أفسدت الأخلاق ،

فالمجتمع نظام غير طبيعى ولايتفق مع فطرة الانسان الخيرة وأن النظام الاجتماعى بما فيه من طبيعية واستبداد حكومى وتحكم اصحاب الأموال فى العمال ، ومن قيود تفرض على الفرد من مولده إلى وفاته، وسلب الإنسان حريته ونشر البؤس والمرض والجهل والانانية وسائر مساوئ المدينة . ولكن ذلك لايسمح لنا بالعودة إلى الطبيعة وهجرة المدن ، فإن المدن هى التى انشأت الحضارة ومأأفاءته على الإنسانية من علم وفن وتقدم صناعى .

أوجست كونت (١٧٨٩ - ١٨٥٧)

لايستطيع أحد أن ينكر فضل أوجست كونت - كواحد من مؤسسي علم الاجتماع الحديث فى فرنسا ، وقد ولد فى مونيلييه بفرنسا وتعلم بها وعندما التحق بمدرسة الهندسة تعرف على المصلح الاجتماعى الاشتراكى "سان سيمون" الذى قربه اليه وجعله سكرتير جلساته يسجل مناقشاته التى كانت تدور بينه وبين طلبة الهندسة وغيرهم من المستمعين فى داره .

ثم اختلف الاستاذ وتلميذه بسبب ان الاستاذ كان يرى ضرورة إصلاح المجتمع الفرنسى بإنشاء علم للاجتماع تطبق قوانينه فى إصلاح المجتمع ، فافترقا . وبعد أن توفى "سان سيمون" نشر أوجست كونت آراء استاذه فى كتاب سماه " الفلسفة الوضعية " ونسبه إلى نفسه ، ثم أخرج كتابا فى " السياسة الوضعية " ثم كتابا ثالثا فى الفلك.

علم الإجتماع عند أوجست كونت :

استعرض اوجيست تطور الفكر البشرى فوجد أنه يمكن تحديد ثلاثة مراحل متميزة هى :

١- **المرحلة اللاهوتية** : حيث كان الفكر يفسر كل الظواهر بإرجاعها الى الآلهة .

٢- **المرحلة الميتافيزيقية** : أضحى الفكر فيها يفسر الظواهر بمفاهيم عقلية مجردة مثل الصورة والمادة والعلة والغاية . وكان يبحث عن جوهر الأشياء أو كنهها.

٣- **المرحلة الوضعية** : وهى مرحلة العلم الحديث التى اقتنع فيها الفكر بخطأ التفسيرات اللاهوتية والميتافيزيقية وعدم جدوى البحث عن جوهر الأشياء ، فلجأ إلى الطبيعة مباشرة عن طريق الملاخظة والتجربة لاستقراء الواقع كما هو كائن عن طريق معرفة العلاقات الثابتة بين الظواهر واعتبارها اسباب ونتائج والتعبير عنها بالقوانين.

وبناء على ذلك رأى ان العلوم يمكن أن تصنف طبقا لما فيها من مادة وحياة وفقا لهذا الترتيب:

الرياضة ، والفلك ، والطبيعة ، والكيمياء ، وعلم النبات ، وعلم الحيوان ، وعلم النفس .

وهنا اكتشف انه لكى تكتمل سلسلة التصنيف يجب إضافة علم يدرس " المجتمع الإنسانى " الذى هو غاية مافى الطبيعة من مادة حية، وسماه " علم الطبيعة الاجتماعية " لأنه من جهة يدرس طبيعة الاجتماع، ومن جهة أخرى يشير باختياره هذا الإسم إلى رغبته فى تطبيق منهج العلوم الطبيعية على المجتمع أى أن تكون دراسته عن طريق استقصاء الواقع كما هو كائن مثلما تدرس ظواهر الطبيعة

والكيمياء عن طريق الملاحظة والتجربة ، ثم اختصر الاسم فيم بعد إلى سوسيولوجى **sociology** أى علم الاجتماع مكونا اللفظ من مقطعين : لاتينى هو **socio** أى اجتماع ويونانى هو لوجوس أى علم.

وقد استعان أوجيست كونت بدراسات اصحاب ' التفسير الحضارى ' الذين قالوا بأن المجتمع يسير متقدما نحو الحضارة . وأنه فى مسيرته تخلى عن كثير من أنواع الشقاء الإنسانى واكتسب كثيرا من المكاسب الإنسانية فرأى أوجست كونت أن من الأسلم منهجيا أن يدرس أى مجتمع بمنهج ينقسم قسمين هما :

١- **Social dynamic** : ويشير إلى مفهوم الحركة الاجتماعية أو التحرك الاجتماعى الذى يدرس تطور المجتمع تاريخيا لمعرفة الأدوار التى مرت فيها الظواهر والنظم الاجتماعية والتغيرات التى حدثت فيها والربط بين تلك التغيرات والظروف التى حدثت فيها وبذلك نكشف عن اسباب التغير وظهور التحولات الاجتماعية.

٢- **Social Static** : ويشير الى مفهوم الثبات الاجتماعى أو الاستقرار الاجتماعى ، وهو دراسة الظواهر والنظم الاجتماعية فىحالتها الراهنة الواقعية باعتبرها عناصر الحياة الاجتماعية

الثابتة اى التى تشكل سلوك النـاس فـى المجتمـع ، وتكشـف عـن العلاقات بين الظواهر .

وبهذه الدراسـة نستطيع الوصـول الـى القوانيـن التـى تحكـم تلـك الظواهـر ونستطيـع تطبيقهـا فـى الإصـلاح الاجتمـاعى ومـن أجـل هـذا الإصلاح دعا إلى انشاء ديانة جديدة سماها " الإنسـانية " ودعـا النـاس إلى اعتناقها لكى يتخلصوا من التعصـب الدينـى السـائد حينئذ وتسـود المحبة والمساواة بين الناس .

ونلاحظ أن أوجيست كونت قد اتبع نفس الأساليب المنهجيـة لـدى ابن خلدون فى تفسير الظواهر الاجتماعية بتفسيرات فلسفية وبيولوجية ونفسية وأخلاقية فقد رأى أن المجتمع ينشأ عـن غريـزة اجماعيـة وأن الإنسـان مثلمـا قـال ارســطو مدنـى بـالطبع . ونسـى أن الإصــلاح الاجتماعى لايتم عـن طريق الدعـوة الـى ديـن جديـد لأن الديـن نظـام اجتماعى وأنه سيخضع لثقافة المجتمع .

صياغة قانون المراحل الثلاثة عند كونت :

لقـد رأى كونـت أن المجتمعـات تمـر بثـلاث مراحـل فـى التفكـير الاجتماعى وفقا لقوانين التطور وهذه المراحل الثلاث هى :

أ – مرحلة الاسلوب الدينى التخيلى : وهـى المرحلـة التـى كـان فيهـا النـاس يفسـرون الظواهـر عـن طريـق قـوى تحـت سـيطرة روح

الآلهـة، مثل تفسير ظـاهرة نمو النبـات بنسبتها الـى أرواح فـى النبات .

ب- مرحلـة الأسـلوب الميتـافيزيقى : وهـى التـى كـانت تفسـر فيهـا المجتمعات الظواهر بنسبتها الى معانى ميتافيزيقى .

ج- مرحلة الأسلوب الوضعى : وهى تلك المرحلـة التـى كـانت تفسر فيها المجتمعات الظواهر بالرجوع إلى اسبابها العلمية ، وقوانينهـا التى تتفق مع الطبيعة .

أميل دوركايم (١٨٥٨ – ١٩١٧)

يعتبر دوركايم من منشئ علم الاجتماع الحديث فى فرنسا والذى حدد موضوعه ومنهجه وصاغ بعض اقوانينه . ولد دوركايم فى فرنسا وعاش فيها وأنشأ بفضل تلاميذه مدرسة اجتماعية متميزة وقد رأى دوركايم أنه لكى يقوم علم الاجتماع على اساس سليم ، يجب أن يدرس الظواهر الخاصة به دون غيرها ، وأن يدرسها بوصفها أشياء مثل كافة العلوم المادية ، لأن العلم إنما يسير من الاشياء الى الأفكار لاالعكس ، وهذا يقتضى أن يكون لعلم الاجتماع طائفة خاصة من الظواهر (الأشياء) التى تكون ذات طابع معين تستوجب قيام علم خاص لدراستها. ومن هنا كان من الضرورى أن تكون هذه الأشياء ظاهرة اجتماعية لايمكن ردها إلى أى نوع آخر من الظواهر ، وبذلك يمكن أن ندرسها من الخارج أى بطريقة موضوعية .

تصنيف المجتمعات عند دوركايم:

ويعتمد دوركايم فى تصنيفه للمجتمعات على أساس درجة التركيب المورفولوجى ، ويضيف إلى الأساس المورفولوجى مدى تماسك المجتمع وأساليب تأديته لوظائفه ، وفى ضوء ذلك قسم دوركايم المجتمعات الى قسمين :

١- مجتمعات بسيطة :

ويقصد بها المجتمعات غير معقدة التركيب محدودة النطاق غير مميزة الوظائف وغير خاضعة لمبدأ تقسيم العمل ، وذلك مثل الترابطات الاجتماعية البدائية والبدوية والقبائلية التى تنحصر فيها الوظائف وتتحدد في حدود ضيقة جداً.

٢- **مجتمعات معقدة التركيب** : ويقصد بها المجتمعات معقدة التركيب المورفولوجي والديموجرافى ، من ناحية البنية والتوزيع السكانى والطبقى ، ويسودها مبدأ تقسيم العمل وتعدد الوظائف والمهن، وذلك مثل المدن والعواصم وماشابهها .

تفسير الظاهرة الاجتماعية عند دوركايم:

إن الوقائع الاجتماعية تشبه الظواهر المادية فى انها تضغط علينا وتقاومنا ، فلا نملك معها تغييرا ولاتعديلا مالم يعرف قوانينها .كما تتميز الوقائع الاجتماعية فى أنها ذات صفات خاصة غير فردية تجعلها تتطلب علما خاصا لدراستها هو " علم الاجتماع " ، إذ هى لاتتفق مع صفات الظواهر النفسية أو الحيوية أو الطبيعية التى تدرسها علوم النفس أو الحياة الطبيعية .

ولكن الظواهر الشيئية فى علم الاجتماع تتصف ايضا بأنها بشرية، وبالتالى فإنها عقلية لأن وراء كافة الوقائع الاجتماعية يوجد

العقل الانسانى بوصفه العنصر المشترك فى الجماعات البشرية، فكما يقول دور كايم " كل ماهو اجتماعى فقوامه التصورات ، وهو إذن حاصل تصورات " .

فكل ماهو اجتماعى يرجع عند دور كايم إلى حالات ذهنية يرى أن تدرس كأنها اشياء لأنها ليست موجودة بتمامها فى اى شعور فردى إذ تتجاوز الافراد وتصبح عامة فى الجماعة ، فيلزمنا إذن أن نتخصل لها حقيقة نفسية من نسق جديد لايقتصر على مسلمات الشعور الفردى، إذ هى تصورات تسمو فوق الفردية . ولكنها يجب أن تدرس كأشياء (أى من خارج الفرد) حتى يمكن أن تكون دراستها واقعية ، فلا يصح تعليل الحقائق الاجتماعية بمفاهيم نفسية كالغرائز والميول والعواطف ، لأن التصورات الجماعية التى تطابقها الوقائع الاجتماعية ليست مشابهة للحالات الذهنية التى نعرفها ، فإن التصورات تعرض على العقل الفردى من الخارج ، فالعقل فى اوضاع ونظم اجتماعية ضاغطة على الفرد ، ومفروضة عليه ، بحيث ينزع احيانا إلى مقاومتها .

ومن ثم فإن دور كايم بذلك أراد أن يلحق بعلم الاجتماع موضوعات كانت تعد من اختصاص علم النفس ، وحجته فى ذلك أن علم الاجتماع لن يصل إلى مرتبة العلم الصحيح إلا إذا تخلى عن

المنهج التأملى وتمسك بالمنهج الموضوعى الذى ينظر الى وقائع الشعور من خارج الفرد .

وإذا كان علم النفس مستقلا عن الفسيولوجي ، فيجب ان يستقل علم الاجتماع عن علم النفس فكل من الحياة الفزيولوجية والنفسية والاجتماعية لاينحل بعضها إلى بعض . فليس ثمة مايدعو إلى الاعتقاد بأن التصورات الجماعية ، وهى قوام الوقائع الاجتماعية ، لاتختلف عن الأحوال الذهنية التى ترسم تلك التصورات فى المشاعر الفردية .

فتميز الواقعة النفسية يحتم استقلال علم النفس كما يحتم استقلال علم الاجتماع الذى يدرس ايضا ظواهر اجتماعية متميزة فانه " إذا كنا لانرى غرابة فى اعتبار التصورات الفردية الناشئة عن تفاعل العناصر العصبية مستقلة عن تلك العناصر ، فلماذا نستنكر الا تكون التصورات الجماعية الناشئة عن تفاعل المشاعر الفردية التى تصنع منها المجتمع مشتقة من هذه المشاعر الفردية ؟ ولماذا نتسنكر ان تكون متجاوزة لها؟ إن العلاقة التى تصل بين الأساس الاجتماعى والحياة الاجتماعية مشابهة من كل الوجوه للعلاقة التى يجب التسليم لها بين الأساس الفيزيولوجى وحياة الأفراد النفسية .

ولكن هذه العناصر كانت مختلطة بسبب تعقد النظام الإجتماعى وغموضه ، ثم تميزت هذه العناصر وتألفتهما بينها بأشكال كثيرة . ولما نما المجتمع واتضحت عناصره تميزت النظم الاجتماعيــة وتشكلت فــى اشكالها المحددة من أخلاق وقانون ومنطق وعلم .

فالمجتمع هو مصدر جميــع المقولات ، وليس العقل المجرد إلا التفكير الاجتماعى ، فالعقل ثمرة الجماعة ، وفكر مستمد من فكر الجماعة .

ويرى دور كايم أن المجتمع نشأ بطريقة تلقائية دون دوافع من أحد سوى رغبة الافراد فى الائتناس ببعضهم فالانسان ينفر من العزلة والانفراد . وقد نشأ فوجد نفسه ضمن أفراد أسرة ، ولمس الفائدة الاجتماعية من هذه الحياة الاسرية .

والحياة الاجتماعية ليست ذات طبيعة واحدة بل من طبائع مختلفة يميز كل منها مجتمعا عن غيره.

ومن حيث أن حياة المجتمعات تنشأ تلقائيا فهى إذن من طبيعة خاصة مخالفة لطبائع الافراد وهى فى ظهورها بهذه الصفة تشبه من بعض الوجوه نشأة الكائنات الحية من مواد عضوية . وتختلف طبائع المجتمعات باختلاف نوعها :

فالمجتمعات البدائية ذات طبيعة مشاعية يسيطر النظام التوتمى على جميع نظمها .

والمجتمعات التاريخية وتتميز بطابع دينى يسوده العرف والتقاليد والأوضاع والسنن الاجتماعية التى خففت من سطوة الطقوس القديمة.

نماذج التضامن الاجتماعى عند دوركايم:

حاول دوركايم البحث عما إذا كان هناك نماذج متعددة للتضامن الاجتماعى ، وانتهى الى وجود نموذجين أساسيين للتضامن هما :

أ - التضامن الآلى **Mechanical Solidarity** .

ب- التضامن العضوى **Organic Solidarity**

والتضامن الآلى ينتج عن التماثل أو التشابه بين الناس بصورة ملحوظة ، وهو تماثل يعبر عن وجود عواطف ومشاعر مشتركة ، وعن مشاركة عامة فى القيم والمعايير السائدة فى المجتمع .

أما التضامن العضوى فهو يرجع إلى أن التناسق الظاهر بين الناس يصور التباين والاختلاف بين الأعضاء ، مثل الكائن الحى ، فإن أجزاء الحى لاتشبه بعضها البعض . إنما كل عضو يقوم بوظيفة مختلفة عن الآخر ، ويؤدى الأعضاء جميعا وظائفهم فى تناسق تام حتى يعيش الكائن الحى فى سلامة .

وارتبط كل نموذج من النموذجين السابقين بتنظيم معين ، فالتضامن الآلى يسود فى المجتمعات البدائية أو التقليدية ، حيث يسود فى المجتمع شعور جمعى قوى ، بينما يرتبط التضامن العضوى بالمجتمعات الحديثة التى يزداد فيها تقسيم العمل ، ويتميز المجتمع الذى ينتشرفيه التضامن الآلى بالتجانس الاجتماعى ، الذى يظهر فى تجانس الأفكار والمعتقدات والعادات والآراء، وطرائق السلوك الفردى والجماعى ، أما من حيث القانون والأخلاق والضبط الاجماعى ، فهناك ولاء ملحوظ للضمير الجمعى ، الذى يعنى مجموعة المعتقدات والعواطف العامة بين أعضاء المجتمع والتى تكون نسقا خاصا ، ومثل هذا الضمير العام له وجوده الخاص المتميز ، فهو يعمل على توحيد الأجيل ، ويعيش بين الأفراد ، لكنه يتميز بالقوة والاستقلال وبخاصة حينما تزداد درجة التشابه من الأفراد .

علم الإجتماع فى انجلترا

هربرت سبنسر

١٨٢٠ - ١٩٠٣

يرجع الفضل الى هربرت سبنسر بإعتباره من مؤسسى النظرية البيلوجية فى علم الاجتماع ، وهو من الذين وجهوا النظرالى اهمية دراسة التطور الاجتماعى وهو عالم اجتماع وفيلسوف إنجليزى من فلاسفة العصر الحديث ، ولد فى بلدة دربى بانجلترا من أسرة فقيرة تنحدر من أسلاف إنشقوا على المذهب الدينى السائد فى بريطانيا وكان أبوه مدرسا فى مدرسة إبتدائية شديد الإعتداد بتفكيره العقلى الحر ولذلك علم اينه "هربرت" فى منزله تعليما حرا، ودربه على التفكير الذى لايعتمد على التفسير بخوارق الطبيعة فنشأ هربرت سبنسر حر التفكير مستقل الشخصية ، لايجعل لما يقرأ التاثير الأول على أفكاره ، بل يختبر بفكره كل مايقرأه فيقبل منه مايقنعه ويرفض مالا يقنعه وقد أظهر منذ حداثته ميله إلى العلوم الطبيعية والتاريخ ، وكان يستمع بإهتمام شديد إلى المناقشات الدينية والسياسية والعلمية التى كان والده يشارك فيها ، وكان يعجب بجرأة والده وقوة حجته واستقلال فكره عما يعتنقه معا مما يسود من أفكار سائدةوكثيرا ماكانت نظريات "لامارك" فى التطور هى محور المناقشة .

واشتغل "هربرت سبنسر" بـالتدريس ، ثم تركـه واشـتغل بالهندسـة مهندسا بالسكك الحديدية حيث كان مد القضبان الحديدية فى ذلك الحين عملا جديدا واستقال من منصبه هذا فـى عـام ١٨٤٨م ليعمـل مسـاعدا لرئيس تحرير مجلـة الأيكونوميست ،وكـان كثـير القـراءة فـى أوقـات فراغه حتى استوعب قدرا كبيرا من العلم فـى شـتى فـروع المعرفـة ، فأقبل على التأليف ، ولما وجد إقبالا على مؤلفاته تفـرغ للتـأليف وقـدم كتبا كثيرة فى الفلسفة والعلم والاجتماع تدور كلها حول نظرية التطور فـى الاحيـاء التـى سبق داورن فـى تقريرهـا . وتقـوم فلسـفته علـى الفروض الآتية :

العالم فى تغير مستمر فى كفاية مجالاته ، ويرجع هذا التغير إلـى التفاعل مين النشوء والارتقاء.

والقوة لاتفنى لأنها ثابته ، ولكنها تتغير من صورة إلى أخرى .

وكذلك المادة لاتفنى ولاتتجـدد ولكنهـا تتشكل فـى صـور مختلفـة والحركة دائمة وهى تسير فى أقل الإتجاهات مقاومة .

ومن هذه الشروط ينتهى سبنسر إلى تقرير أمرين :

أن فى الحياة ميلا إلى التفرد وذلك أنه كلما ازداد المركب الحيوى تعقيدا إزداد إختصاصا وتفردا .

وأن التخصص هو غاية كل تطور وارتقاء فى الموجودات ، فإنه كلما إزدادت الاعضاء تخصصا إزدادت إستقلالا .

وقد الف سبنسر كتابا بعنوان " مبادئ علم الاجتماع" فى ثلاثة مجلدات طبق فيه تلك المبادىء البيولوجية على الحياة الاجتماعية ، فرأى أن المجتمع يتطور طبقا لأساسين :

التباين : أى الانتقال من التجانس إلى اللا تجانس .

والتكافل: فالتفرد والتخصص لايؤدى إلى الإستقلال الذاتى ولكنه يؤدى إلى التضامن والتناسق واعتماد الأجزاء ووظائفها بعضها على بعض .

مفهوم المجتمع عند هربرت سبنسر :

ويستند إطار المعرفة عند سبنسر إلى اعتقاده بأن التطور هو المفهوم الرئيسى لفهم العالم ككل ، ومكانة الانسان فيه ، ومن ثم يصبح من الضرورى البدء باستيعاب هذا المفهوم لكى يتم فهم نسق التفسير الذى وضعه سبنسر لكافة العلوم بما فى ذلك علم الإجتماع .

والمجتمع عبارة عن كائن مثل الكائنات العضوية ذات الجسم الحى ، لأنه جزء من النظام الطبيعى للكون ، ويتطور المجتمع كما تتطور الكائنات الحية الطبيعية ، ولكنه تطور فوق العضوى يوجد

بصورة أقل وضوحا فى المجتمعات الحشرية والحيوانية مثل خلايا النحل والنمل .

ويمثل لهذا التطور الاجتماعى بقوله : إن حجم الوحدة السياسية النامى من العائلة فالدولة والحلف أو العصبية ، وحجم الوحدة الاقتصادية النامى من الصناعة المحلية البسيطة إلى الاحتكارات والشركات الكبرى ، وحجم وحدة السكان النامى من القرى إلى البلدان فالمدن ، كلها ترينا عملية التكامل ، بينما أن تقسيم العمل وتعدد المهن والحرف ونمو التوافق الاقتصادى بين الريف والمدينة ، وبين أمة وأمة، كلها تصور موضوع تطور التلاحم .

النظرية البيولوجية فى علم الإجتماع:

ارتبطت النظرية البيولوجية فى علم الاجتماع بصفة اساسية "بهربرت سبنسر" وغيره من أصحاب المدرسة التطورية التى اشتهرت فى القرن التاسع عشر .

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الأصل فى نشأة المجتمع الإنسانى هو حاجة كل من الجنسين إلى الآخر واستمرار هذه الحالة مما أدى إلى ارتباطهما معا وما يترتب على هذا الارتباط من نسل وبذلك نشأت الأسرة ومن اجتماع الأسر تكون المجتمع.

ويصور أصحاب هذا الرأى المجتمع بأنه جسم حى مثل الجسم الإنسانى وأنه يخضع للقوانين نفسها التى يخضع لهـا الجسم الإنسانى كما أن الجسم الحى يتكون من أعضاء لكـل منهـا وظيفة خاصة بـه إن لجسم المجتمع أعضــاء ولكل عضو وظيفة معينة وذلك أن فـى المجتمع وظائف تقابل الوظـائف الموجـودة فـى الجسم الإنسانى ففـى المجتمع توجد الحكومة وهى تقابل الجهاز العصبى فـى الجسم الحـى والثروة فــى المجتمــع تقـابل القلــب والــدورة الدمويــة . والطبقــات الاجتماعية تقابل الأعضاء والعقل وهو وظيفة الجهـاز العصبى يقـابل السلطة فى المجتمع ووظيفة العقل وهى التفكير تقابل السياسة التى هى وظيفة السلطة ولكل طبقة من الطبقات مايقابلها من أعضاء الجسم كما رأينا وتقابل طبقة العمل الجهاز الإخراجى والفـرد فـى المجتمـع يمثـل الخلية فى الجسم .

ويمر المجتمع بنفس الأدوار التى يمر بها الكائن الحى وهـى دور النشأة (الطفولة) ودور النضج (الشباب) ودور الهرم (الشيخوخة) وتعترى المجتمع نفس المظاهر التى تعـترى الجسم فـى كل دور من هذه الأدوار .

ويخضــع المجتمــع للوراثــة الاجتماعيــة التــى تقــابل الوراثــة البيولوجية فتنتقل فى الأجيال المتعاقبة الصفات التى كانت موجودة فى أجيال المجتمع السابق ولذلك يتميز كل مجتمع عن الآخر بهذه الطبيعـة

مثلما يتميز المجتمع الفرنسى أو غيره عن المجتمع الإنجليزى أو غيره وكذلك تخضع المجتمعات مثل الأفراد لمبدأ تنازع البقاء فهناك صراع دائم بين المجتمعات وفى داخل المجتمع الواحد صراع بين الأفراد والنتيجة مثلما هى الطبيعة يكون البقاء للأصلح ، فالمجتمعات التى تستطيع أن تنمى نفسها وتكون مرنه فى عاداتها وتقاليدها بحيث تتمكن من مواجهة مشاكل العصر الحديث وتحديات المجتمع الأخرى تستطيع أن تبقى أما المجتمعات التى تعجز عن ذلك فإنها تتخلف ومالتبث أن تفنى وتنقرض مثلما إنقرضت فى الماضى كثير من الحيوانات الضخمة والمجتمعات الكبيرة التى لم تستطيع أن تكيف نفسها وفقا للتغيرات التى طرأت على البيئة الطبيعية أو الاجتماعية .

ومثلما يكون بين الأعضاء تآزر لكى يتم الانسجام بين وظائفها جميعا لمصلحة الجسم كله يحتاج المجتمع إلى تآزر عناصره التى تقابل الأعضاء فى الجسم الحى من أجل أن تؤدى الوظائف الخاصة بهذه العناصر فى المجتمع إلى انسجام الحياة الاجتماعية لمصلحة المجتمع كله .

وبهذا يكون المجتمع عبارة عن جسم كبير لايختلف عن الجسم الحى إلا فى حجمه وكونه مترابط الاعضاء ترابطا لا ماديا بعكس الجسم ، إذ أن أعضاء المجتمع تترابط بشكل معنوى ولكنها تحقق نفس الغرض فى ذلك الجسم الكبير .

النقد التحليلى للنظرية البيولوجية فى علم الاجتماع:

١- تقوم هذه النظرية على أساس التشبيه بين المجتمع والجسم الحى ومقابلة مافى الجسم الحى بما فى المجتمع ومن المعروف أن التشبيه لايجوز إلا بين شيئين من طبيعة واحدة وتختلف طبيعة الجسم الحى عن طبيعة والمجتمع من حيث البناء والتركيب .

وعلاوة على ذلك فإن التشبيه نفسه يؤدى إلى المبالغة فى ايجاد أوجه الشبه مما يضطر القائل به أن يتعسف إيجاد هذه الأوجه من الشبه رغم أنها قد لاتكون متطابقة تماما ولذلك لايوافق العلماء على إدخال التشبيهات فى العلم لأنها تؤدى إلى إغفال حقائق علمية فى سبيل تأكيد التطابق المطلوب بين الشيئين موضع التشبيه ويرى هؤلاء العلماء أن التشبيه أجدر بالعلوم الأدبية وأدبيات اللغة منه بالعلوم الطبيعية .

٢- أن الأخذ بهذه النظرية يجعل الإنسان متساويا بالحيوان . ومن المعروف أن الناحية البيولوجية لم تخلق مجتمعات بين الحيوان تسيطر عليها الثقافة العقلية مثلما قد حدث عند الانسان فالمجتمع الإنسانى هو الوحيد الذى أنشأ الحضارة وأنماها وتغلب بها على عوامل الطبيعة . وإذا كان البقاء للأصلح وتنازع البقاء قانونين ساريين على عوامل الطبيعة . فإن الانسان إستطاع أن يتحرر من

سيطرة هذين القانونين ويجعل المجتمع مجتمعا صالحا لمعيشة جميع الأفراد سواء كانوا ضعافا أم مشبوهين أم عاجزين .

٣- الاجتماع الإنسانى يقوم على أساس من الثقة لا على أساس من الحاجات العضوية مثل الحيوان ولذلك نشأ فى المجتمع الإنسانى النظام الأخلاقى الذى لا يخضع لمبادىء البيئة والطبيعة مثل التنازع والبقاء العضوى والبقاء للأصلح وكذلك النظام الدينى والثقافى والفنى.

٤- لايتمثل تشبيه الجسم بالمجتمع فى حالة الإجتماع البدائى إذ لاتمايز فى هذا الإجتماع الوظائف الاجتماعية للنظم التى يقوم بها كلها المجتمع فى مجموعة سواء كان الأسرة أم العشيرة أم القبيلة . وإنما ظهر التمايز فى المجتمعات الحديثة عندما ظهر تقسم العمل .

هوبهاوس

(١٨٦٤-١٩٢٩)

هوبهاوس عالم اجتماع انجليزى ، شغل كرسى الاجتماع فى جامعة لندن من ١٩٠٧ الى ١٩٢٩ وألقى كثيرا من المحاضرات فى جامعات انجلترا ، وله عديد من المؤلفات العلمية فى مجال علم الاجتماع وكذلك فى الفلسفة ، ولعل من أشهر هذه المؤلفات مايلى :

١- الحضارة المادية والنظم الاجتماعية فى الشعوب البسيطة .

٢- التطور الاجتماعى والنظريه السياسية .

٣- الأخلاق فى تطورها .

٤- التطور الإجتماعى .

٥- الذهن فى تصوره .

٦- التطور والغرض .

ومن هذه المؤلفات يتضح أن هوبهاوس أسهم بنصيب كبير فى فروع كثيرة للبحث الإجتماعى . كما أسهم فى علم الاجتماع العام واتصفت أبحاثه بالمزج بين المنهج التجريبى والمنهج العقلى ، وقد ابتدأ هوبهاوس من حيث انتهى هربرت سبنسر إذ أنه اعتنق آراءه عن التطور العضوى وطبقها على المجتمع ولذلك اهتم بوجه خاص بالبحث فى دلالة تطور المعانى الاجتماعية والأخلاقية . والتطور عنده هو أساس العلوم الحديثة بما فيها الاجتماع . والمثل الأعلى لعلم الاجتماع فى نظره ، كما يقول تلميذه جنزبرج ، هو أن يكون مركبا من دراسات اجتماعية متعددة .

أما المهمة المباشرة التى يتعين على عالم الاجتماع أن يحققها فهى مهمة مزدوجة .

فأولا :عليه بوصفه عالما متخصصا أن يتابع دراساته فى الجزء الذى تخصص فيه من المجال الاجتماعى . ولكننا إذا وضعنا أعيننا ما بين العلاقات الاجتماعية من تداخل وجدنا أن عليه أن يدرك العلاقات البينية التى تؤكد هذه العلاقات الاجتماعية وتفسرها .

ثانيا : أن يمهد الطريق للتركيب النهائى عن طريق مناقشة المفهومات المركزية التى يمكن أن تكون نقطة بداية للمركب . وعن طريق تحليل الطابع العام للعلاقات الاجتماعية الانتاجية، ودراسة عوامل الثبات والتغيير وطبيعة النمو الاجتماعى وشروطه .

والمجتمع فى نظر هوبهاوس وحدة عضوية لعملية التطور . وكانت هذه العملية تسير سيرا تلقائيا فى المجتمعات البدائية كما فى حالة تطور الحياة الحيوانية ولكن التطور الإنسانى إجتاز هذه المرحلة وأصبح خاضعا للعقل والشعور بالذات .

وكان ارتقاء القدرات العقلية للإنسان تعويضا عما أصابه من ضعف نتيجة التطور البيولوجى لأن نمو العقل البشرى وقوة ضبطه وسيطرته على ظروف الحياة هو المبدأ الأساسىفى عملية التطور التى ستمضى بفضل العقل إلى تحقيق التقدم الإجتماعى الكامل للإنسان .

ومن هنا رأى هوبهاوس أن التقدم الإجتماعى هو الموضوع الأساسى لعلم الاجتماع ولكن ليس على أساس أن هذا التقدم فرض فلسفى مثلما فعل أوجست كونت بل حقيقة إجتماعية واقعة تحدث بسبب التطور الذى يمكن قياسه علميا .

آدم فيرجسون

(١٧٢٣-١٨١٦)

آدم فيرجسون اسكتلندى الأصل ، وقد ألف العديد من الكتب فى مجال علم الاجتماع ولعل أهمها كتاب" مقال فى تاريخ المجتمع المدنى أو السياسى " ١٧٦٧ وكتبا أخرى ناقش فيها نشأة المجتمع الإنسانى ورأى أنها ترجع إلى الغريزة الإجتماعية التى تدعمها المنفعة .

ويرى فيرجسون أن دراسة المجتمع يجب أن تقوم على إستقراء الواقع الإجتماعى كما هو من الناحية المنهجية ولذلك رفض الآراء التى تقوم على فروض فلسفية مثل فكرة الحياة الطبيعية التى كان يعيش فيها الانسان فى بداية الحياة متحررا من كل القيود ، كما رفض نظرية التعاقد الإجتماعى وكلتاهما تنسب إلى جان جاك روسو . وقال

فرجسون أنهما مثل كل الآراء السابقة على التجربة ليس هناك محك للتأكد من صحتها طالما أنها خبرات عقلية لم تدعم بالتجربة الاجتماعية ، ولذلك نادى بضرورة دراسة المجتمع كما هو فى الواقع، وعلى هذا الأساس درس طبيعة المجتمع السكانى ، والأسرة والقرابة ، وتباين المراتب ، والملكية والحكومة ، والعادات الإجتماعية والأخلاق والقانون وربط بين الوقائع الاجتماعية ، وحدد مراحل النمو الاجتماعى وهى الفكرة التى كانت موضع إهتمام المفكرين وقتئذ .

وأدرك أن المجتمع يمتاز بالديناميكية وأنه لاثبات للأوضاع الاجتماعية وقد أثرى بدراساته تلك التفكير الإجتماعى ، ولذلك يعتبره الكثيرين واحد من منشىء علم الاجتماع .

علم الإجتماع فى المانيا

ماكس فيبر Max Weber

(١٨٦٤-١٩٢٠)

يعتبر " ماكس فيبر " أحد علامات علم الاجتماع الألمانى البارزة فى العصر الحديث وهو عالم اجتماع كبير ولد فى قرية ارفرت فى شرق ألمانيا ١٨٦٤ لأب عالى الثقافة وعضو فى البرلمان الألمانى ، وأم متدينة من سيدات المجتمع الألمانى الرفيع ، فنشأ ماكس متأثرا بثقافة أبيه العالية ومركزه السياسى العظيم وبتدين أمه ومكانتها فى الهيئة الاجتماعية السامية .

وقد تخصص ماكس فى القانون ووالاقتصاد وتولى تدريسهما فى الجامعات الألمانية ، وأشترك فى النشاط السياسى فى عصر قيام القومية الألمانية بقوة وذكاء بسمارك العظيم .

علم الاجتماع عند " ماكس فيبر " :

اهتم " فيبر " بتحديد الخصائص المميزة لهذا العلم ، الذى اطلق عليه مفهوم " العلوم الثقافية" واعتقد أن الوقوف على هذه الخصائص بوضوح وتميز هى بمثابة حجر الأساس فى وضع قواعد منهجية ملائمة للدراسة الاجتماعية ، والخاصية المميزة لعلم الاجتماع هى أنه

يدرس " المدخل الاجتماعى " بهدف فهمه وتفسيره ، ولاتتعلق الدراسة فى علم الاجتماع بالمظـاهر الحسـية الخارجيـة للسلوك فحسـب ، وإلا اصبحت دراسة قاصرة كل القصور ، وإنما يتعين على علم الاجتمـاع لكى يكون جديرا بهذا الأسم أن يدرك المعانى التـى تنطـوى عليهـا الأفعال والصلات المتبادلة بين الناس ، وهكذا حدد فيبر بؤرة الدراسـة السوسيولوجية فـى طائفـة مـن الظواهـر وأنمـاط السـلوك والعلاقـات الاجتماعية التى يمكن أن تفهم فهما ذاتيا

درس ماكس تاريخ الإمبراطورية الرومانية وألف كتابا فى أسباب انهيارها بوساطة القبائل الجرمانيـة ، كمـا درس القوميـات الأوربيـة . ومن ذلك تأدى إلى دراسـة تـاريخ العـالم وعلاقتـه بالسياسـة والديـن ، فرأى أن التـاريخ هـو المنهـج الملائـم لدراسـة النظـم الاجتماعيـة مـن قانونية وسياسية وتعليمية واقتصادية .

وتأثر بفلسفة الكانتيين الجـدد الذيـن كـانوا يـرون أن العقـل يـدرك الظواهر الحسية عن طريق وضعها فى القوالب العقلية للفكـر المجـرد التىيسميها كانط بالمقولات ، وهى قبيلة فى العقل أى أنها قبل التجربة وليست مستمدة منها.

واهتـم مـاكس فيـبر بإنشـاء منهـج لعلـم الاجتمـاع يتلافـى نقـص المناهج فى العلوم الإنسانية ويرتفع بها إلى منزلة العلوم الطبيعية فقال

أن الخطوة الأولى فى ذلك هى رفع التعارض بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ويتم ذلك عن طريق فهم وظيفة كل منها .

فوظيفة العلوم الطبيعية أنها علوم ضابطة بمعنى أنها تقوم بضبط الظواهر الطبيعية بالنسبة إلى بعضها فتدرك عامل الاطراد فيها .

بينما يتمثل وظيفة العلوم الإنسانية فى فهم الدوافع التى تحرك السلوك الإنسانى . ومن الجلى أنها دوافع ثقافية ، والثقافة قيمة إنسانية وبذلك تتحل القوانين الطبيعية والإنسانية إلى قيم إجتماعية .

وأهم القيم الإجتماعية هى القيم الدينية التى تتمثل فى السلوك الأخلاقى :

وأنه بمراجعة الظروف والإحصائيات الخاصة بقيام الرأسمالية الحديثة تجلى لماكس فيبر أنها كانت ثمرة من ثمار البروتستنتينية الكالثينية ، فإن قول كالفن بالخلاص يعنى أنه إذا كان الإنسان مقدرا عليه أن يسعى إلى الخلاص ، فهو من ثم محكوم بقدرية تحتم عليه مجاراة السلوك الاجتماعى الذى يقوم على اساس أن كل سلوك اجتماعى يكون مفهوما من خلال الاستجابة عليه المتوقعة من الآخرين .

وهذا هو الفرق بين الفعل الطبيعى والفعل الاجتماعى : فالأول يحتاج إلى التفسير فقط . أما الثانى فيحتاج إلى الفهم ، أى استعمال العقل فى إدراك نوع السلوك المتوقع .

وقد وضـع العقل أنـواع السـلوك الاجتمـاعى فـى أنمـاط معروفـة ويقوم العقل فى كل مرة يتلقى فيها سلوكاإنسانيا بمقارنـة ذلـك السـلوك بنمطه المثالى المتضمن فى العقل .

ومن ثم فقد كان ماكس فيبر معارضـا للماركسيين الذيـن رأوا أن الظـروف الإقتصاديـة التـى تتمثـل فـى الصـراع الطبقـى هـى الدوافـع الاساسية للسلوك الاجتماعى وقيام النظم الاجتماعية وتغيرها .

وقد تـأثر دور كـايم (١٨٥٨-١٩١٧) بمـاكس فيـبر عندمـا زار ألمانيا إذ كانا متعاصرين .

وتوفى ماكس فيبر ١٩٢٠.

الفصل السادس

دراسة النظرية في علم الاجتماع وأهم القواعد المنهجية في الدراسات الاجتماعية

١- النظرية في علم الاجتماع وأهمية دراستها للباحثين في الدراسات الاجتماعية.

٢- أهم الشروط الواجب توافرها في النظرية الاجتماعية.

٣- أهم النظريات الاجتماعية:

أ - النظرية المادية التاريخية.

ب- النظرية البنائية الوظيفية.

٤- المدخل المنهجى للدراسة في علم الاجتماع.

النظرية في علم الاجتماع وأهمية دراستها للباحثين في الدراسات الاجتماعية

يعد الرجوع الى دراسة النظرية في علم الاجتماع له أهمية خاصة حتى يتمكن الباحثون من تقديم اطار منهجي جيد في أبحاثهم ودراساتهم ويعتبر اللجوء لدراسة النظرية له أهمية كبيرة للاعتبارات التالية:

١- تتألف النظرية الاجتماعية أساسا من مجموعة من القضايا المتناسقة والمستمدة في الغالب من واقع التجربة الاجتماعية بالاستقرار والقياس وهذا يزيد من المعرفة البشرية للشئون الاجتماعية، حيث يتمكن للباحثون الاجتماعيون من استخلاص مزيد من الملاحظات تضيف مادة علمية جديدة إلى المقررات والمواصفات الاجتماعية الحالية، أو تفيد في اعادة صياغتها وتطويرها.

٢- إنها تساعد الباحث على تنظيم نتائجه وملاحظاته في صورة متناسقة مما يتيح له إضافات جديدة في ميدان عمله وتطبيقات مفيدة لخدمة المجتمع.

٣- إن النظرية الاجتماعية تهدى إلى المنهج العلمي الذى يناسب طبيعة ومجالات بحثه، واهتماماته وتمده بالفروض والاحتمالات النظرية والممكنات التأويلية.

٤- النظرية الاجتماعية في صياغتها تكاملية تنير الطريق أمام الدراسات والأبحاث الحقلية والتجريبية بما ييسر الامكانيات العملية للإنجازات والمشروعات والسياسات الاجتماعية.

أهم الشروط الواجب توافرها في النظرية الاجتماعية:

١- ينبغى أن تكون المصطلحات أو الرموز المعبرة عن النظرية واضحة ومحددة تحديداً داقيقا، ومن أجل هذا ينبغى استبعاد كل المصطلحات التى قد تبدو ساذجة أو غير واضحة.

٢- يمكن اثبات العبارات التى تشير إلى الاحتمالات والممكنات النظرية بطرق متعددة. فمن الناحية المنطقية القياسية الصورية فإنها قد تبدو في صورة ظنون أو دعاوى. كما يمكن أن تظهر في صورة قضايا أو فروض ومهما كانت الصورة التى تظهر بها ينبغى أن تكون الممكنات النظرية مرتبطة منطقيا الواحدة بالأخرى ومثل هذا الارتباط لابد أن يكون واضحا بقدر الامكان لأن عدم الاهتمام بالترابط المنطقى للنظرية هو الذى يؤدى إلى الاختلاط عند الباحث أو من يسيرون وراءه في اتجاهه النظرى.

٣- إنها توفر الجهد والوقت، لهذا ينبغى أن يكون النسق النظرى بسيطا كلما أمكن ذلك، وأن يكون متسقا مع تحليل المسألة التى يعبر عنها.

٤- ان تكون قابلة للاختبار في الواقع عن طريق الوقائع التى يمكن الحصول عليها باستخدام الحواص الانسانية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[١].

٥- ان تكون شاملة بقدر الامكان، بالقدر الذى يصف ويفسر الظاهرات وعلاقاتها.

٦- ان تكون منفتحة على الوقائع الجديدة بشكل يساعد على تجدد النظرية.

٧- ان تكون حاملة لرؤية منهجية تنظم اجراءات وأساليب البحوث التى تعتمد عليها.

٨- ان تتمتع باتساق فكرى بين مكوناتها.

٩- أن تحمل رؤية لاستشراق مستقبلات الظواهر التى تركز عليها.

١٠- ان تتضمن مبادئ للتحكم في الظواهر أو احداث تغيرات فيها.

١١- ان تسهم في إثراء وعى الانسان بالظواهر التى تركز عليها[٢].

---

(١) محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤، ص ١٢.

(٢) عبد الباسط عبد المعطى، البحث الاجتماعى، محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده، مرجع سابق، ص ٥٢.

والمتتبع لحركة النظرية السوسيولوجية في العقدين الأخيرين يتضح له وجود بل وسيطرة فكرة تصنيف الاتجاهات في ضوء ثنائية واضحة تختلف في مسمياتها، لكنها تتقارب وتتشابه في مضمونها، الأول يتحدد في الإتفاق والاستقرار والثاني يتحدد في الصراع أو بمعنى آخر النظام والاتفاق مقابل الصراع وعلى وجه الدقة المادية التاريخية والبنائية الوظيفية.

أهم النظريات الاجتماعية:

أولاً: النظرية المادية التاريخية Historical Materialism:

تعتبر المادية التاريخية احدى المكونات الأساسية للنظرية الماركسية، بالاضافة الى المادية الجدلية والتى تشكل المكون الثانى للماركسية وهى تعبر عن العلاقة بين الوعى الاجتماعى والوجود الاجتماعى، ودراسة القوانين العامة للتطور الاجتماعى وصور حدوثها وتحققها من خلال النشاط الاجتماعى التاريخى للانسان.

وتهتم المادية الجدلية بالوجود الموضوعى المستقل عن الوعى وبتطور العالم وقوانينه، بينما تهتم المادية التاريخية بالوجود الاجتماعى كواقع اجتماعى موضوعى مستقل عن الوعى الاجتماعى للإنسان وبتطور المجتمع وقوانينه(١).

---

(١) عبد الباسط عبد المعطى، في نظرية علم الاجتماع، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٣، ص ٧١.

(١) أهم مقومات المادية التاريخية:

بإيجاز شديد سنعرض أهم الدعائم التى تستند عليها النظرية المادية التاريخية:

أ- التكوين الاجتماعى الاقتصادى:

Socio - Economic Formation

ويقصد به المجتمع في مرحلة معينة من مراحل تطوره، ويحوي هذا المجتمع في ضوء هذا المفهوم الظاهرات الاجتماعية في وحدتها العضوية وتأثيرها المتبادل فيما بينها علي اساس اسلوب الانتاج. ويعد التكوين الاجتماعى الاقتصادى نسقاً اجتماعياً دينامياً متطوراً حسب قوانينه النوعية الخاصة به.

ب- أسلوب الانتاج Mode of Production

ويقصد به الطريقة التى تفرضها وتحددها الظروف التاريخية للمجتمع للحصول على ضرورات الحياة وأدوات العمل. أو بمعنى آخر التعبير عن وحدة قوى الإنتاج، وعلاقات الانتاج، أى وحدة جانبى الانتاج المعبرين عن نوعين من العلاقات: علاقة الإنسان بالطبيعة، وعلاقة الإنسان بالإنسان. أى أن الناس من خلال الإنتاج يتشكلون ككائنات اجتماعية، ومن هنا فأسلوب الإنتاج يعد صورة محددة لنشاط الناس وصورة محددة للتعبير عن حياتهم.

جـ- القوى المنتجة Productive Forces:

ويقصد به علاقة الناس والمجتمع بالطبيعة والتى تتحدد بوسائل الإنتاج والناس ذوى الخبرة الانتاجية والذين يقومون بالدور الحاسم في الإنتاج.

د- علاقات الإنتاج Relation of Production:

وتعكس هذه العلاقات طبيعة العلاقات المادية الموضوعية التى توجد في أى مجتمع من المجتمعات مستقلة عن الوعى الإنسانى، وتتكون هذه العلاقات بين الناس بفعل عملية الانتاج، وأما عن أساس علاقات الإنتاج فهو يأتى من علاقات ملكية وسائل الإنتاج وتوزيع هذه الملكية على أعضاء المجتمع، فإذا كانت الملكية مثلاً ملكية خاصة فلا مناص من قيام علاقات السيطرة والتبعية بين الناس. وعلى ذلك وفقاً لأساس الملكية يظهر الشكلان الرئيسيان لعلاقات الإنتاج: الاشتراك والمساعدة في حالة الملكية الجماعية، والخضوع والسيطرة في حالة الملكية الخاصة.

وثمة علاقة وطيدة بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، حيث أن قوى الإنتاج تعد العامل المحدد والأكثر ثورية، فتطور الإنتاج يبدأ من تغير القوى المنتجة ويصاحبه تغير علاقات الإنتاج.

هـ- الوجود الاجتماعى والوعى الاجتماعى:

Social being and Social Conciousness

يقصد بالوجود الاجتماعى الحياة المادية للمجتمع، أى أنه العلاقات القائمة بين الناس والطبيعة وبين الناس أنفسهم، تلك العلاقات التى تتكون في عملية الإنتاج وتجديد انتاج الحياة، أما الوعى الانتاجى فيقصد به الأفكار ووجهات النظر والتصورات والمشاعر الاجتماعية التى تساعد الإنسان والجماعات والمجتمع على تمثل العالم واستيعابه.

و- الأساس والبناء الفوقى **Basic and Uuper Structure**

ويعنى به توضيح تأثير أسلوب الإنتاج في جوانب الحياة الاجتماعية، حيث يمثل محصلة العلاقات الإنتاجية في نطاق الإنتاج والتبادل والتوزيع أما البناء الفوقى فهو مجموعة من العلاقات الأيديولوجية والمشاعر والميول والنظم ووجهات النظر السياسية والتشريعية والجمالية والدينية والفلسفية التى تؤثر في صور الوعى الاجتماعى وأشكاله. أى أن المادية التاريخية تركز على علاقات الإنتاج التى تسهم في تشكيل وعى الإنسان[١].

---

(١) غريب سيد أحمد وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٥، ص ١٣٤.

ثانياً: النظرية البنائية الوظيفية Structural Functionalism

لقد ارتبطت النظرية البنائية الوظيفية بعلم الاجتماع منذ بدء ظهوره حتى وقتنا الحاضر، وتجسدت في معظم أعمال علماء الانثربولوجيا والاجتماع، واتخذت صورة التحليل المنهجي المنظم للوقائع الاجتماعية والنظم، لكنها ما لبثت بعد ذلك أن تحولت إلى أيديولوجيا تسعى الى المحافظة على الأوضاع القائمة، وصيانة الوظائف التى يؤديها النسق الاجتماعى على مختلف مستوياته.

ولقد ظهرت النبائية الوظيفية في أعمال كل من: "أوجست كونت" (الإنسان والنظام العام)، و"هربرت سبنسر" (المماثلة العضوية)، و"اميل دوركايم" (نظرياً ومنهجياً وتطبيقياً)، و"باريتو" (التوازن الاجتماعى)، و"راد كليف براون" في مؤلفه (البناء والوظيفة في المجتمعات البدائية)، و"تالكوت بارسونز" في مؤلفه (النسق الاجتماعى)، و"روبرت ميرتون" و"ماريون ليفى" وغيرهم.

والنظرية البنائية الوظيفية في أبسط معانيها تقوم على افتراض مبدئى مؤداه: أن المجتمع هو نسق مؤلف من مجموعة نظم اجتماعية، وأنماط محددة للثقافة، وأن النظم الاجتماعية خاضعة لتنظيم محدد، وأنماط الفعل الاجتماعى مبنية في هيكل خاص بها، وتضرب بجذورها في الحاجات والمصالح الإنسانية، وترتكز على عواطف قوية، وتمثل تجسيداً للقيم الاجتماعية، والثقافة هى الجهاز المادى والعقلى

والروحى الذى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظم الاجتماعية. أى أن أنماط الثقافة مرتبطة بالصياغة النظامية للمجتمع، ومن ثم يمكن تحليل البناء الاجتماعى للمجتمع في ضوء المضمون النظامى الثقافى للمجتمع ككل. ومع أن هذا الكيان الكلى هو نسق يضم أجزاء مترابطة، فإن هذه الأجزاء ذاتها متفاعلة ومتداخلة من حيث الأدوار التى تؤديها في إطار الكل، واستخدام منهج التحليل البنائى الوظيفى ضرورة لفهم هذا التفاعل والتساند والاعتماد المتبادل بين مختلف مكونات المجتمع والثقافة(١).

أى أن البنائية الوظيفية تتمثل في قضية النظام العام في المجتمع، مع الاتساق والاستقرار على المستوى المجتمعى، بمعنى آخر ترى أن الجزء يقوم بدور ويؤدى وظيفة من أجل الكل ومن مجموع وظائف الأجزاء يستمر الكل في البقاء ويظل محتفظاً بنظامه واستمراره بالضبط كما ذهب "هربرت سبنسر" حينما شبه المجتمع بالكائن الحى، فنجد أن الجزء في الكائن الحى – وليكن القلب مثلاً – يؤدى وظيفة محددة له يسهم بها في استمرار الكل (ضخ الدم إلى كافة أنحاء الجسم) وأن استمرار وجود الكل يتوقف على العلاقات الوظيفية بين الأجزاء، فالبناء والوظيفة والعملية هى الجوانب الثلاثة المرتبطة للنسق الاجتماعى ككل.

---

(١) محمد على محمد، تاريخ علم الاجتماع، ص ٤٤٥.

هـذا وتقـوم البنائيـة الوظيفيـة بتحقيـق مجموعـة مـن الوظـائف لاتساق المجتمع وهى:

١- التوافق مع البيئة.

٢- تحقيق الهدف.

٣- تدعيم النمط وضبط التوتر.

٤- التكامل.

المدخل المنهجي للدراسة في علم الإجتماع

يقصد بالمدخل المنهجى فى الدراسات الإجتماعية الأساليب والطرق العلمية التى يسلكها الباحثون حين سعيهم للكشف عن الحقائق العلمية ، وتهدف هذه الأساليب إلى إرساء قواعد معينة ، ومبادئ خاصة يتبعها الباحثون حين محاولتهم الكشف عن تلك الحقائق العلمية .

وتعتبر هذه الأساليب والطرق العلمية نوعا من النشاط الإنسانى الهادف الذى تستخدم فيه هذه الطرق وتلك الأساليب العلمية بغرض التوصل إلى حقائق وعلاقات جديدة تسهم فى نمو المعرفة العلمية فى مجال معين ، أو فى إيجاد تفسيرات وحلول علمية لمشكلات وظواهر وأحداث معينة .

وهناك عدد من المبادئ العلمية التى يجب أن يعيها الباحثون فى مجال الدراسات الاجتماعية يمكن أن تلخص فى النقاط التالية :

١- الحتمية .

٢- الواقعية .

٣- التعميم .

٤- الإتصال

٥- التحليل والتركيب .

٦- الصياغة الكمية .

٧- الموضوعية .

١- الحتمية :

يقوم مبدأ الحتمية فى التفكير العلمى على اساس أنه من المحتم أن يكون لكل شئ سببا أحدثه ومعنى هذا المبدأ أن جميع الظواهر الإجتماعية التى تقع فى الحياة الإجتماعية تحكمها عديد من الأسباب والعلاقات المتشابكة ، ويمكن إخضاع هذه الأسباب للدراسة العلمية.

وقد عرفنا مبدأ الحتمية ، كمبدأ من مبادئ التفكير المنهجى فى العلوم الإجتماعية ، من خلال مايلى :

- الملاحظة .

- واضطراد الأحداث فى الطبيعة .

ويقصد بالملاحظة أننا يمكن أن نحكم بأنه من المحتم أو يوجد تغيرا عن طريق الملاحظة ، فثمة علاقة يمكن أن تكشف بين ظاهرتى التغير الإجتماعي والنقل التكنولوجى ، ومن ثم يمكن أن نحكم بانه من المحتم أن يوجد تغيرا اجتماعيا إذا سبقه نقل تكنولوجي .

وأما اضطراد الأحداث فى الطبيعة فمعناه ، أن التطـور الطبيعـى فى حياة المجتمعاتٔ يمضى وفق قواعد اساسية يمكن الإستفادة منهـا فى التنبؤ بالتطور الذى تمر به المجتمعات المختلفة .

٢- الواقعية :

يقصـد بالواقعيـة ارتبـاط التفكير العلمـى فـى المجـال الإجتمـاعى بالواقع والإبتعاد عن الخيال الجامح .

ومعنى ذلك أن البحث العلمى فى المجـال الإجتمـاعى لايمكـن أن يستعين بفروض خيالية بعيدة عن الواقع تماما ، بحيـث يبعد البحـث العلمى عن الحقائق الإجتماعية الموجودة بالفعل .

االإرتبـاط بـالواقع يجعل البحـث العلمـى متحفـزا دائمـا لملاحظـة الظواهر التى يقصدها بالفعل قادرا على تمييزها ، عارفـا بصورهـا المختلفة ، متنبها إلى دورها فى كل مجال تظهر فيه ، حتى يستطيع أن يصل إلى إدراك العلاقات الثابتة التى تربطها ببعضها ، ومن ثـم يتمكن من الوصول إلى القوانين الإجتماعية التى تحكمه .

٣- التعميم:

من المبادئ الهامة التى تقوم عليها الدراسات والبحـوث المنهجيـة فى العلوم الإجتماعية مبدأ التعميم . ويقوم مبدأ التعميـم علـى اسـاس تشابه الظواهر الإجتماعية التى يقوم الباحث بإجراء الدراسـة عليهـا

مع تلك التى لم يتم دراستها أو بحثها . ومن ثم فإن نتائج البحث العلمى فى المجال الإجتماعى طبقا لهذا المبدأ لا تنطبق على ظاهرة واحدة بل يجب أن تتعداه إلى جميع الظواهر الإجتماعية والحالات المتشابهة معها .

ومن أهم مايميز التعميم فى منهج البحث الإجتماعى مايلى :

(أ) أنه ليس تعميما متعجلا سريعا ، بل هو تعفيم يعتمد على التأنى والروية.

(ب) أنه يعتمد على فرضين هما : تماثل الجزئيات وتشابه الظروف.

٤- الإتصال

من المبادئ الأساسية فى منهج البحث الإجتماعى مبدأ " الإتصال " ومعنى هذا المبدأ أن التفكير الإجتماعى لايبدأ عند مرحلة معينة لينتهى عندها ، بل إنه على العكس من ذلك تماما ، أنه حينما يبدأ مرحلة معينة إنما يبدأ هذه المرحلة تمهيدا للدخول فى مرحلة جديدة، فهو لايعرف التوقف أو الإنتهاء ، أو الجمود عند حقيقة معينة أو نظرية خاصة .

ومن ثم فإن منهجية البحث فى العلوم الإجتماعية تتطلب المرونة، وتستبعد الجمود ، وذلك ناتج عن قبول الفروض العلمية

فى مناهج البحث الإجتماعى ، وكذلك قابلية النتائج العلمية للمراجعة والتحقيق وإعادة الدراسة .

فالنتائج التى تنتهى إليها دراسة الظاهرات الإجتماعية قابلة للتطوير ، فهى ليست ثابتة صادقة على وجه الإطلاق ، بل هى قابلة دائما للإختبار والإمتحان، فإذا ثبت فى وقت ماعدم صلاحيتها حاول المنهج العلمى أن يطور نفسه ، وأن يستخرج المبادئ التى لم تعد موائمة ليحل محلها أفكار جديدة .

٥- التحليل والتركيب :

تقوم الدراسات المنهجية فى البحوث الإجتماعية على مبدأى التحليل والتركيب حيث يبدأ العالم فى العلوم الإجتماعية والدراسات الأنثربولوجية بتحليل الظاهرة الإجتماعية إلى عناصرها البسيطة ، والعالم إذ يقوم بتحليل الظاهرة إلى أبسط العناصر انما يقوم بذلك بهدف فهمها ، ومعرفة العلاقات التى تقوم بينها ونسبتها بعضها إلى بعض .

هذا فضلا عن أن التفكير المنهجى فى البحوث الإجتماعية يقوم ايضا على التركيب ، وهو صفة مكملة لعملية التحليل ، فبواسطة التحليل يستطيع الباحث التعرف على البسائط التى تتكون منها الظاهرة الإجتماعية ، والعلاقات التى تربط بينها ، كما يستطيع

الباحث إعادة تركيب العناصر البسيطة الموجودة فى الظاهرة ، بنفس العلاقات والنسب بينها وذلك بعد مراجعة تحليله السابق والتثبت من صحته ، فإذا حصل الباحث الإجتماعى على المركب الأصلى للظاهرة الإجتماعية قبل التحليل كان تحليله صحيحا ، وإذا لم يحصل عليه كان تحليله غير صحيح سواء من حيث عدد البسائط التى تحتوى عليها الظاهرة الإجتماعية والتى انتهى اليها من قبل ، أو من حيث العلاقات التى تقوم بينها أو نسبة بعضها إلى بعض .

٦- الصياغة الكمية :

من أهم مايميز منهجية البحث فى العلوم الاجتماعية هو الإستعاضة عن الطابع الكيفى بالطابع الكمى ، وذلك عن طريق استخدام لغة الأرقام فى وصف الظاهرات الإجتماعية المختلفة ، ويتم التعبير عن هذا الطابع الكمى بلغة إحصائية رياضية دقيقة .

إن من شأن التعبير الكمى الدقيق أن يجمع مايبدو لنا مشتتا ومختلفا تحت قانون واحد ، فقد يبدو للرجل العادى مثلا أن طبيعة الظواهر مختلفة عن بعضها البعض اختلافا تاما ، وبالرغم من ذلك فقد تكشف اللغة الرقمية عن تشابه هذه الظواهر مع بعضها البعض.

٧- الموضوعية :

يقصد بالموضوعية فى مجال البحث العلمى بصفة عامة أن يتناول الباحث موضوع بحثه دون ماتدخل من ذاتيته فى الموضوع بحيث لايؤثر هذا التدخل على نتائج بحثه ، فحينما يحاول الباحث أن يدرس أية ظاهرة إجتماعية فإنه يتحتم عليه أن ينحى ذاتيته أثناء البحث والدراسة فلا يحاول أن يصبغ البحث بانطباعاته وآماله وأمانيه الشخصية .

ويقدم لنا برتراند راسل مثالا يوضح فيه معنى الموضوعية والذاتية فى انطباعاتنا الحسية التى هى مصدر معارفنا العلمية ، فيقول : إفرض أن مجموعة من الناس يشاهدون منظرا معينا وليكن فى مسرح مثلا ، وهناك فى نفس الوقت آلات تصوير تقوم بتصوير نفس المنظر ، فلا شك فى أن جوانب معينة فى انطباع معين تكون واحدة عند جميع المشاهدين وعدد آلات التصوير فى نفس الوقت . وثمة جوانب أخرى سوف يختلف الإنطباع بين الناس بالنسبة لها .

وبالنسبة للإنطباع الواحد عند المشاهدين فإنه يعبر عن الموضوعية .. وإما الإنطباعات المختلفة فإنها تعبر عن الذاتية .

بعض الأساليب المنهجية

فى دراسة علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية :

يقصد بالعلوم الإجتماعية طائفة العلوم التى تتناول الظواهر الإنسانية ، أى الخاصة بالإنسان، من حيث انه كائن يعيش فى مجتمع ومن حيث أن المجتمع هو مصدر كثير من الظواهر التى يتميز بها السلوك البشرى ، وأهم هذه العلوم ، علم الإجتماع ، وعلم الأنثربولوجيا ، والجغرافيا والتاريخ وعلم النفس وعلم الحضارة . وعلم النفس الإجتماعي والتربية ، وعلم الأيكلوجيا الذى يدرس صلة الإنسان بالبيئة ، وتتطلب طبيعة هذه العلوم مناهج خاصة .

وقد اعتمد العلماء فى بحث ودراسة هذه العلوم على عدد من الأساليب العلمية والطرق البحثية للكشف عن طبيعة الظواهر الإجتماعية والتى يمكن أن تشير إلى ثمة إختلافات بين المجتمعات سواء أكانت مجتمعات عالمية أو محلية ، وتجتمع هذه الطرق وتلك الاساليب تحت منهج واحد هو منهج التحليل الإجتماعى ومن أهم هذه الأساليب مايلى :

(أ) أسلوب التغير النسبى :

(ب) الفوارق القياسية .

(جـ) الوثائق .

(د) المسح الاجتماعى .

(هـ) دراسة الحالة .

ويمكن الإشارة إلى كل أسلوب من أساليب التحليل الإجتماعى فى إشارة خاطفة كما يلى:

(أ) أسلوب التغير النسبى :

يرجع الفضل فى استخدام هذه الطريقة فى المعالجة المنهجية للظواهر الإجتماعية إلى عالم الإجتماع الفرنسى " أميل دروكايم " فقد إعتبرها من أفضل الطرق فى دراسة العلاقة بين ظاهرتين إجتماعيتين .

وانتهى إلى هذا الرأى عندما قرر أن طبيعة الظواهر الإجتماعية لاتسمح بإجراء التجارب الحقيقية ، وعندما أشار بضرورة الإعتماد على منهج المقارنة كأسلوب أساسى فى دراسة الظواهر الإجتماعية.

وفى هذه الطريقة يقارن الباحث بين التغيرات التىتطرأ – على ظاهرتين إجتماعيتين بصورة مطردة لكى يحكم بوجود علاقة بينهما.

ويحاول الباحث فى هذه الطريقة أن يسجل التغير الذى يطرأ على الظواهر الإجتماعية ، كل ظاهرة على حدة ، وبعد أن يطمئن الباحث على الثبات النسبى لكل كمية من التغير للظاهرة الإجتماعية موضوع الدراسة ، تأتى المرحلة الثانية، وهى تقوم على المقارنة بين الظواهر من حيث كمية التغير التى طرأت على كل ظاهرة ، ومن خلال هذه المقارنة يستطيع الباحث أن يحكم عما إذا كان هناك علاقة ارتباط سببية بين الظاهرات الإجتماعية موضوع الدراسة أم لا ومدى هذه العلاقة ونسبتها .

وتفيد هذه الطريقة فى دراسة كل من المجتمعات المحلية والعالمية فى آن واحد .

(ب) الفوارق القياسية .

وتتجه هذه الطريقة على عكس الطريقة السابقة إلى قياس الفوارق بين الظواهر الاجتماعية موضوع الدراسة ، وبالتالى يمكن الكشف عن الفوارق بين المجتمعات المختلفة سواء أكانت مجتمعات محلية أو عالمية أو مجتمعات قومية أو مجتمعات بدائية أو قبلية .

ويحاول الباحث فى هذه الطريقة أن يقيس جوانب الأختلاف ومداه بين الظاهرات الاجتماعية ، وذلك حتى يستطيع الحكم بوجود علاقة من عدمه ، فإذا كانت الفوارق كبيرة بين الظاهرتين

الإجتماعيتين فى مجتمعين مختلفين ، استطاع الباحث أن يحكم بعدم وجود علاقة ، وأن ثمة اختلاف بين الظاهرتين، وكذلك المجتمعين موضوع الدراسة ، وأما إذا كانت الفوارق غير كبيرة فإن الباحث يستطيع أن يقرر تشابه الظاهرتين الإجتماعيتين ، ويحكم بوجود علاقة وثيقة بينهما .

(جـ) الوثائق.

وتعتمد هذه الطريقة على جمع الوثائق والملاحظات المتصلة بحياة الأفراد، وتدرسهم من جميع نواحيهم الإجتماعية والإقتصادية والمهنية والتربوية والخلقية والدينية ، وكذلك جمع الوثائق والملاحظات المتعلقه بحياة بعض البيئات أو المجتمعات المحلية .

وتهدف هذه الطريقة إلى الكشف عن طبيعة العلاقات بين أفراد المجتمع ويستعين الباحث الإجتماعى فى هذه الطريقة ببعض أدوات البحث الإجتماعى مثل استمارة البحث ، وتشمل المقاييس التى يقيس بعضها العلاقات الإجتماعية، كما تشمل صحيفة الإستبار أو المقابلة الشخصية والتى يحصل بها الباحث على بعض البيانات والمعلومات الشخصية .

كما تشمل ايضا الاستبيان الذى يحاول فيه الباحث جمع الآراء حول موضوع ما من الموضوعات التى يسعى الى دراستها ، كما تشمل ايضا بطاقة الملاحظة والتى يجمع الباحث عن طريقها المعلومات والاشياء التى يتم ملاحظتها ومراقبتها من أجل إثراء موضوع البحث .

وتعتبر الدراسات الأنثربولوجية من أكثر الدراسات الإجتماعية استخداما لأسلوب الوثائق فى الدراسات الإجتماعية على النطاق المحلى والعالمى ، للاستعانة به فى جمع الحقائق العلمية عن حياة البشر فى الأماكن المختلفة ، والاوقات المتلاحقة ، وكذلك الأزمنة المختلفة .

وهناك ثمة دراسات تتم عن طريق مايسمى بالملاحظة المشاركة ، والتى عن طريقها يقوم الباحث أو الباحثون بمعايشة مجتمع البحث لفترة زمنية معينة. وتسمح بالكشف عن مكنون الظواهر الإجتماعية المطلوب دراستها ، وتستخدم مثل هذه الدراسات لدراسة المجتمعات المحلية بصفة خاصة .

(د) المسح الاجتماعي .

يعتبر المسح الإجتماعى إحدى الطرق المنهجية للتحليل الإجتماعى ، وتهدف هذه الطريقة إلى الإحاطة بتفاصيل الحياة فى مجتمع معين ، أو نظام معين من الأنظمة الإجتماعية .

والهدف الرئيسى للمسح الإجتماعى هو أن يكشف عن معدل توزيع بعض الخصائص الإجتماعية كالسن والنوع والمهنة ، والأوضاع الإجتماعية الأسرية([1]).

كما يستخدم اسلوب المسح الإجتماعى فى إجراء الدراسات الشاملة لجمع البيانات عن منطقة معينة أو مجتمع محلى معين .

ومن أمثلة دراسات المسح الإجتماعى ماقام به الإقتصادى الفرنسى " لبلاى " (١٨٠٦ - ١٨٨٢) الذى اتخذ الأسرة وحدة للدراسة معتقدا أن الدراسة الشاملة للمجتمع كله قد لاتأتى بنتيجة محددة دقيقة ، ومن ثم فقد اختار دراسة الأسرة العمالية وذلك بهدف دراسة ميزانية الأسرة والكشف عن آثارها فىحياتها الإجتماعية .

وابتدأ " لبلاى " مسحه الإجتماعى ببيان اسباب هذا المسح والمنهج الذى سلكه ، وقد شمل هذا المنهج عناصر كثيرة البحث

---

[1] - محمد محمود الجوهرى ، عبد الله الخريجى : طرق البحث الاجتماعى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة . ١٩٨٢ ص ١١٥.

تناولت الناحية الروحية للاسرة وتاريخها ومصـادر دخلها ، وأوجـه النفقات المختلفة . وأساليب الأسرة فى انفاق الدخـل . ومـدى كفايتـه لحجم الأسرة ، ومامرت به من أمراض أو تعرضت له من متاعب، أو اتخذت من عادات تشكل عبئا على الدخل .

والدراسات المسحية قد يقوم بها باحث أو مجموعة من الباحثين خلال فترة زمنيـة لجمـع المعلومـات والبيانـات الشـاملة عـن منطقـة معينة أو بلد معين . أو مدينة معينة ، وقـد تجمـع البيانـات المسـحية من كل عضـو مـن العينـة أو مـن عينـة منتقـاه بعنايـة ، ومـن أمثلـة الدراسات المسحية مايلى:

١- المسح المدرسى

٢- تحليل العمل .

٣- مسح الرأى العام .

٤- مسح المجتمع المحلى .

(هـ) دراسة الحالة .

يطلق على هذا المنهج فـى الفرنسية اسم المنهـج المنوجرافـى والمنوجرافيـا تعنـى وصـف موضـوع مفـرد . ويقصـد بهـا علمـاء الاجتماع الفرنسيين القيـام بدراسـة وحـدة مثـل الأسـرة أو القريـة أو

القبيلـة أو المصنـع أو المجتمـع المحلـى دراســة مفصلــة مسـتفيضة للكشف عن جوانبهـا المتعددة للوصـول الـى تعميمـات تنطبـق علـى غيرها من الوحدات المتشابهة .

أمـا العلمـاء الأمريكيـون فقد وضعـوا تعريفـات متعـددة لمنهـج دراسة الحالة ، وتتفق أغلبها على أن منهج دراسة الحالة هو المنهـج الذى يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحـدة سـواء أكـان فـردا أو مؤسسـة أم نظامـا إجتماعيا أو مجتمعـا محليـا أو مجتمعـا عالميا ، ويقوم علـى أسـاس التعمـق فـى دراسـة مرحلـة معينـة من تاريخ الوحدة أو دراسة جميع المراحل التى مرت بها، وذلـك بقصـد الوصـول إلى تعميمات علمية متعلقـة بـالوحدة المدروسـة . وبغيرهـا من الوحدات المتشابهة .

وتختلف طريقة دراسة الحالة باختلاف طبيعـة الموضـوع الـذى تعالجه ، وكذلك نوع المجتمـع الـذى تقـوم عليـه الدراسـة ، غيـر أن الوسائل المتعددة التى تستخدمها دراسة الحالة لاتخـرج عـن الأنمـاط المختلفة لوسائل التحليل الإجتماعى السابق الإشارة اليها .

وطالمـا أن منهـج دراسـة الحالـة ينصـب علـى دراسـة الوحـدات الإجتماعيـة سـواء كـانت وحدات كبيرة أو صغـيرة ، فـإن الوحـدة الصغيرة قد تكون جزءا من حالة فى إحدى الدراسـات ، بينمـا تكـون

حالة قائمة بذاتها فى دراسة اخرى . فإذا كان البحث مثلا ينصب على دراسة مجتمع محلى ، فإن ذلك المجتمع يكون بمثابة الحالة Caseوتصبح الأنظمة الإجتماعية والجماعات المكونة للمجتمع المحلى، وكذلك الأفراد بمثابة أجزاء أو مواقف Situation أو عوامل Factors داخلة فى تكوين الحالة . إذا كان الموضوع الخاص بالدراسة منصبا على المؤسسات الإجتماعية ، فإن كل مؤسسة إجتماعية تعتبر بمثابة حالة بنيما يصبح الأفراد مجرد أجزاء أو مواقف أو عوامل داخلة فى تكوين الحالة ، أما إذا كان موضوع الدراسة منصبا على الأفراد ، فإن كل فرد من الأفراد يعتبر حالة قائمة بذاتها([1])

[1] - عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى . مكتبة وهبة ، ١٩٨٠ . القاهرة ص ٢٤١ .

الفصل السابع

النظم الاجتماعية

١- مفهوم النظام الاجتماعى (ماذا يقصد بالنظام الاجتماعى).

٢- تطور نشأة النظم الاجتماعية.

٣- مفهوم النظام الاجتماعى عند المفكرين.

٤- السمات العامة للنظم الاجتماعية.

٥- عناصر ومقومات النظام الاجتماعى.

٦- أشكال النظم الاجتماعية.

٧- خصائص النظم الاجتماعية.

٨- أبعاد النظم الاجتماعية.

٩- النظم الاقتصادية.

١٠- أنماط النظم الاقتصادية العالمية.

١١- النظم السياسية.

١٢- النظام السياسى في مصر.

١٣- التنظيمات الدولية العالمية.

ماذا يقصد بالنظام الإجتماعي ؟

النظام الإجتماعى عبارة عن نسق عام يربط بين الأجزاء المختلفة للحياة الإجتماعية . وماتحتوى عليه هذه الأجزاء،، من أفكار وعادات وتقاليد وأعراف ، وعلاقات .. وأهداف عامة مشتركة . ويمكن أن تصب هذه الأشياء جميعها فى قالب واحد كيما يكون النسق العام الذى يحدد شكل النظام الإجتماعى .

وهذه الأجزاء التى تكون النسق العام تنشأ بسبب الحاجة إلى اشباع الحاجات الإنسانية والدوافع البشرية المختلفة من طعام وشراب وأمومة وجنس الخ .

وكذلك الدوافع والحاجات النفسية والإجتماعية مثل الحاجة إلى الأمن والتقدير الإجتماعى وتأكيد الذات والحاجة إلى الحب والتعاطف، والحاجة إلى الحرية ، والحاجة إلى سلطة ضابطة .

وحيث ان كل دافع من هذه الدوافع ، وكل حاجة من هذه الحاجات يتطلب إشباعا لدى الكائن البشرى ، وحيث أنه لايمكن إشباع كل حاجة من هذه الحاجات منفصلة ومستقلة ومنعزلة عن

الحاجات الأخرى ، بل لابد أن يرتبط اشباع كل حاجة من هذه الحاجات بالحاجة الأخرى أو الدافع الآخر . فإنه من ثم يتكون النسق العام للمجتمع والذى يربط بين الأجزاء المختلفة لهذه الأشياء التى تتطلب اشباعا كيما تنظم العلاقات بينها فى إطار واحد يحدد الشكل العام لما يعرف باسم النظام الإجتماعى .

ومن ثم فإن مايطلق عليه " النظام الإجتماعى " يشير إلى القواعد والأوضاع والقوالب التى تشكل دستور المجتع والذى ينتظم فى مجموعة من القيم والأحكام التى ارتضاها عقل الجماعة والتى تنظم حياة الأفراد .

وتتميز النظم الإجتماعية بأنها سابقة فى وجودها على وجود الأفراد بوصفهم أفرادا ، إذ ينشأ هؤلاء فى الحياة الإجتماعية ، ويجدون أنفسهم أمام ماينطوى عليه دستور المجتمع من أساليب الفكر، وقوالب العمل ، ونظم عقيدة ، ومتواضعات متعارف عليها ومتفق عليها ، ويرون أنفسهم ملزمين بأن يصبوا قوالب تفكيرهم وأنماط سلوكهم ، ومواقعهم الإجتماعية ، وفقا لهذه القوالب والمعايير الإجتماعية مثل (نظم الأسرة - الزواج ، والطلاق) والنظم الأقتصادية (البيع والشراء والهبة والإرث والملكية) والنظم السياسية (السيادة ، العلاقة بين الحاكم والمحكومين) والنظم التشريعية والقضائية والدينية (العقائد، والطقوس، إقامة الشعائر).

تطور نشأة النظم الاجتماعية:

لقد نشأت النظم الاجتماعية من خلال اجتماع الأفراد، وتبادل أفكارهم، واتحاد مصالحهم بصفة تلقائية، فظهرت قواعد خاصة لتحقيق دوافعهم الاجتماعية وحاجاتهم الضرورية وأهدافهم المشتركة، وسرعان ما ترسبت هذه القواعد في بنية المجتمع، وتركيبه، ويكتب لها الاستقرار النسبي، وتنفعل بها مشاعر الأفراد. هذه القواعد والأوضاع والقوالب العامة هي ما نسميه بالنظم الاجتماعية، وهي في ضوء هذه الاعتبارات دستور المجتمع الذي ينظم مجموعة القيم والأحكام التي ارتضاها عقل الجماعة والتي تنظم حياة الأفراد، وتحقق الأغراض من الحياة الاجتماعية، وغني عن البيان أن هذه النظم سابقة في وجودها على وجود الأفراد بوصفهم أفرادا. إذ ينشأ هؤلاء في الحياة الاجتماعية ويجدون أنفسهم أمام ما ينطوي عليه دستور المجتمع من أساليب الفكر وقوالب العمل، ونظم عديدة ومتواضعات متعارف عليها، ويرون أنفسهم ملزمين بأن يصبوا قوالب تفكيرهم وأنماط سلوكهم ومواقفهم الاجتماعية وفقا لهذه المصطلحات والمعايير الاجتماعية. وذلك مثل نظم الأسرة (الزواج والطلاق) والنظم الاقتصادية (البيع والشراء والإرث والملكية) والنظم السياسية (السيادة والعلاقة بين الحاكم والمحكومين)، والنظم التشريعية والقضائية والدينية (العقائد، الطقوس، وإقامة الشعائر...).

وهناك من النظم ما ينمو ويتطور تلقائياً، وبشكل غير شعورى مثل تطور نظم الأسرة، وقواعد اللغة، والاتجاهات الذوقية والفنية وقوالب الأداب العامة، ومنها ما ينمو بطريقة شعورية ويسير وفق مخطط اجتماعى مرسوم مثل النظم القضائية والقانونية والاقتصادية الموجهة (كالنظام الاشتراكى الديمقراطى التعاونى... الخ).

وتبدو أهمية أى نظام اجتماعي في مدى ما يقوم به من نشاط، والوظائف التى يؤديها، حيث أن كل نظام وجد ليؤدى وظيفة، فالنظام الزراعى وجد لانتاج الغذاء، والنظام الأسرى لتربية الصغار، والدولة لتحكم، والنظام الدينى للعبادة.. الخ، ومن هنا فالوظيفة الأساسية لأى نظام هى التى تحدده وتميزه وتبرز أهميته. ولما كانت رغبات الإنسان متعددة ونشاطه متنوعا لتحقيق هذه الرغبات، اصبح محتاجا لعدد كبير من هذه النظم كى يتمكن من تحقيق رغباته، وقبل عرضه بعض النماذج لهذه النظم سنتحدث عن مفهوم النظام الاجتماعى وما يتعلق به.

مفهوم النظام الاجتماعى عند المفكرين:

لقد تناول كثير من المفكرين مفهوم النظام الاجتماعى بالتعريف حيث عرف "بارنز" Barnes النظم الاجتماعية على أساس أنها التى تمثل البناء الاجتماعى والآلة التى تنظم المجتمع الإنسانى، وتوجه وتنفذ وجوه النشاط المتعددة التى يتطلبها تحقيق الحاجات الإنسانية.

كما عرفها "جينزبرج" Ginsberg بأنها "القواعـد الموضوعيـة والمعترف بها التى تحكم الصلات بين افراد الجماعة".

وأوضح "جيلين وجلين" Gillin النظم الاجتماعية هى الاتساق المنظمة الدائمة نسبياً للتصرف والاتجاهات والأغراض والأشياء المادية والرموز والمثل التى توجه أغلب نواحى الحياة الاجتماعية.

ووصفها "وليام أجبرن" W. Ogburn بأنها "الطرق التى ينشئها وينظمها المجتمع لتحقيق حاجات انسانية ضرورية".

ويرى "سمنر" G. Sumner أن النظام يتكون من فكـرة وبنـاء، والفكرة قد تكون رأياً أو خاطراً أو مبدأ أو اهتماما معينـا. أمـا البنـاء فهو الأساس الذى يساند الفكـرة ويزودهـا بالوسـائل التـى يمكـن أن تتجه بهـا إلى عـالم الحقـائق والأفعـال بطريقـة تخدم مصـالح الإنسـانية عامة(١).

أى أن النظم الاجتماعية هـى الاتسـاق المنظمـة الدائمـة نسـبيا للعرف والاتجاهات والأغراض والأشياء الماديـة والرمـوز والمثـل التـى توده أغلب نواحـى الحيـاة الاجتماعيـة. وهـذا يعنـى في حـد ذاتـه أن دارس النظام الاجتماعى لابد أن يهتم به من حيـث البنـاء والوظيفـة، ومعنى هذا أن يهتم بمايلى:

---

(١) عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع، ص ٦٩.

(١) ترتيب الأجزاء وعلاقات أحدها بالآخر، لأن الأجزاء هى التى يتم السلوك عن طريقها، وهذا السلوك يسير في الحدود التى رسمها النظام ويتطابق مع القالب المعين.

(٢) العمليات الاضطرادية المرتبطة بهذه الترتيبات أو التنظيمات، مثل مدى الاتصال أو إسهام أجزاء المجتمع في الكل، لأن حسن فهم الجزء لابد أن يكون في ضوء الكل، وحسن فهم الكل لابد أن يكون في ضوء الأجزاء المكونة له[١].

(١) سناء الخولى، مدخل إلى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٩٦.

السمات العامة للنظم الاجتماعية

تتميز النظم الاجتماعية بعدد من السمات التى تبرز أهم ملامحها وكذلك تحدد خصائصها ولعل من أهم هذه السمات مايلى:

(١) يتميز النظام الاجتماعى بدرجة نسبية من الاستمرار والدوام، حيث أن أى نظام في المجتمع لابد أن يكون قد مر بمرحلة طويلة مارسه الناس خلالها قبل أن يصبح نظاماً معترفا به وموافقا عليه، مثلما حدث لنظام الملكية الفردية، ونظام الزواج الذى مر بمراحل عديدة ابتداء من الشيوعية الجنسية، ثم الزواج الجمعى، فتعدد الأزواج، ثم تعدد الزوجات والأحادى.

وقد يستمر النظام قرونا طويلة من الزمان مثلما هو مشاهد في النظم الدينية ونظام الزواج والملكية، وقد يندثر بعد فترة من الزمن كما اندثر نظام الإقطاع الذى كان سائدا في أوربا في القرون الوسطى، ونظام السخرة الذى كان موجودا في مصر حتى القرن التاسع عشر، أو نظام الطوائف الحرفية الذى كان معمولاً به في مصر كذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من أن أى نظام اجتماعى معرض للزوال إلا أنه يميل دائماً إلى أن يوصف بثباته واستمراره نسبياً.

(٢) تعتبر النظم الاجتماعية من عوامل التوافق الاجتماعى بين الأجزاء المختلفة للحضارة ككل، فهى توحد بين أجزاء البناء

الاجتماعى الكلى، ولذلك فهى تتميز بأنها غير مستقلة عن بعضها، بل ترتبط ببعضها في نسق حضارى موحد، وذلك حين نجد أن كل نظام في النسق يميل إلى مساندة النظام الآخر، فالخطبة مثلا تسبق الزواج وتسانده، وهذا بدوره يسبق الأسرة ويساندها، لذلك نجد أن النظم الثلاثة ترتبط ببعضها البعض وتعتمد على بعضها البعض، علاوة على أننا نجد أن نظام الأسرة يرتبط بالنظم الاقتصادية السائدة في المجتمع سواء كانت رعوية أو زراعية أو صناعية.

(٣) تعمل النظم الاجتماعية على تحقيق الاستقرار الاجتماعى في المجتمع.

(٤) يتميز أى نظام اجتماعى بأن له هدفاً.

(٥) تتميز النظم الاجتماعية بجمودها نتيجة لما تتميز به من استقرار ودوام لفترة طويلة من الزمن حتى تكاد أن تتحول إلى ما يشبه الطقوس.

(٦) يتميز النظام الاجتماعى بأن له وظيفة كوحدة في النسق الحضارى ككل، ذلك لأن النظام لا يخرج عن كونه تنظيما لنماذج التفكير والتصرف التى تظهر خلال النشاط الاجتماعى وما يتصل به من إنتاج مادى، وهو بالتالى عبارة عن تجميد القواعد الاجتماعية السائدة في المجتمع والتى تتكون من

العادات والتقاليد والقيم والصفات الأخلاقية المنظمة بوعـى أو بدون وعى كوحدة وظيفية، وقد تنجح هذه العناصر الحضارية فتتحول الى نظام، بينما قد لا تنجح الأخرى في أن تكـون نظاماً(١).

(٧) يتميز أى نظام اجتماعى بعناصر خمسة هـى: أهدافـه، اتجاهاتـه، نواحيه الرمزية، نواحيه المادية، وتقاليده الشفهية أو المكتوبة.

مثال ذلك نظام الأسرة:

أهدافه: انجاب الأطفال وتحقيق وضع اجتماعى معين.

اتجاهاته: الحب والعطف والولاء والإخلاص واحترام العلاقـة الأسرية.

النواحى الرمزية: تتم في خاتمة الزواج.

النواحى المادية: المنزل والأثاث.

التقاليد الشفهية او المكتوبة: وثيقة الزواج.

(٨) موضوعية النظم وشيئيتها ووجودها في الكيان الجمعى.

(٩) عمومية النظم الاجتماعية.

(١٠) نسبيتها فهى ليست واحدة، لكنها تختلف بـاختلاف المجتمعـات وتختلف في وظائفها باختلاف النماذج الاجتماعية.

---

(١) عبد الحميد لطفى، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٦٩.

(١١) جبرية النظم الاجتماعية، فهى تمارس ضغوطاً على الأفراد، ولا يستطيع هؤلاء الأفراد الخروج عن المصطلحات التى يرسمها النظام الاجتماعى، ومن يحاول الخروج عليها فهو لا محالة مأخوذ بالقصاص الاجتماعى.

(١٢) إن النظم الاجتماعية مترابطة متساندة متكاملة، لأنها تتبع من طبيعة واحدة وهى الطبيعة الاجتماعية، وتهدف إلى غايات بعيدة واحدة هى تأمين المجتمع، والحرص على سلامته، ومقوماته وكيانه، فالنظم الأسرية والأخلاقية، والدينية، والجمالية يفسر بعضها البعض الآخر، نفس الشئ بالنسبة للنظم السياسية والاقتصادية والتشريعية.

(١٣) تخضع النظم الاجتماعية في تركيبها ووظائفها لعمليات الحراك الاجتماعي وديناميات التطور والتغير الاجتماعى.

عناصر ومقومات النظام الاجتماعى:

يقوم النظام الاجتماعى من خلال عدد من المقومات والعناصر الضرورية التى لا يمكن ان يقوم بغيرها النظام الاجتماعى ولعل من أهم هذه المقومات مايلى:

(١) القوة البشرية المنفذة للنظام (النظام).

(٢) الأجهزة والمعدات التى عن طريقها يؤدى العنصر البشرى وظائفه (المقومات المادية).

(٣) مجموعة القيم، والمواثيق والعادات والتقاليد والطقوس، المتواضع عليها.

(٤) التنظيمات والطرق ومجريات العمل وشئون الإدارة، وهى ما تسمى بقواعد النظام.

(٥) وظائف النظام، والاهتمامات التى يثيرها النظام في مشاعر أفراد المجتمع، ثم الأغراض التى يحققها[١].

أشكال النظم الاجتماعية:

١- نظم أساسية ونظم فرعية:

نشأت النظم الأساسية لتحقيق الضبط الاجتماعى، كنظام الملكية الفردية، والدولة والدين، لا يمكن للمجتمع أن يعيش بدونها.

أما النظم الفرعية أو المساعدة فأهميتها قليلة إذا ما قورنت بالأساسية، كالنظم الترفيهية بأنواعها، ويتوقف اعتبار النظام أساسى أو فرعى على الحضارة السائدة في المجتمع، فما هو ضرورى في حضارة معينة قد لا يكون كذلك في حضارة أخرى.

٢- نظم تلقائية ونظم مقننة:

نشأت الأولى: دون قصد أو وعى، استجابة للقيم الخلقية السائدة كنظام الزواج، والدين والملكية.

---

(١) مصطفى الخشاب، دراسة المجتمع، ، ص ١٧٦.

أما المقننة: فقد جاءت نتيجة تنظيم واع ومقصود لتحقيق أهداف معينة كنظم التعليم والصناعة الإدخار والتأمين.

٣- نظم مشروعية ونظم غير مشروعة:

الأولى: نظم تتعلق بطرق العمل المختلفة صناعية وزراعية وتجارية وهى مشروعة ومتفق عليها.

الثانية: نظم غير مشروعة كنظام البغاء ونظم الرشوة، والقمار، والتهريب.

٤- نظم عاملة ونظم ضابطة:

النظم العاملة: وظيفتها تنظيم نماذج التصر التى تعتبر ممارستها ضرورية لتحقيق ما يسعى اليه النظام من أهداف، بل لبقائه أيضاً كالنظم الصناعية.

النظم الضابطة: وظيفتها ضبط عدد من العادات ونماذج التصرف التى لا تعتبر في حد ذاتها جزءاً من النظام نفسه، كما هو الحال في النظم القانونية.

٥- نظم عامة الإنتشار ونظم محدودة الإنتشار:

الأولى: لا يخلو مجتمع إلا وتوجد به كالنظام الدينى.

الثانية: محدودة لا ينتسب اليها سوى فئة قليلة من السكان

مثل نظام الكشافة[١].

أهم النظم الاجتماعية في المجتمع:

لقد وجد كل نظام ليؤدى وظيفة داخل المجتمع، وتبدو أهمية أى نظام في مدى ما يقوم به من نشاط ووظائف، ونظرا لتعدد حاجات الفرد، تعددت معها النظم الاجتماعية، ومع هذا التعدد لهذه النظم إلا أننا يمكننا أن نجمل النظم الاجتماعية الهامة في حياة الإنسان في أربعة نظم رئيسية انبثق عنها نظم فرعية عديدة، وهذه النظم الأربعة هى:

١- *النظم الاقتصادية:*

تعتبر النظم الاقتصادية أهم النظم الاجتماعية، الأمر الذى نجد معه استحالة إغفال الباحث الاجتماعى العلاقة المتبادلة بين النظام الاقتصادى والحياة الاجتماعية بجوانبها المتنوعة الأمر الذى نتج عنه تخصيص فرع من فروع علم الاجتماع العام لدراسة هذا النظام، وهذه الصلة بينه وبين الحياة الاجتماعية سمى بـ (علم الاجتماع الاقتصادى).

وقد وجد النظام الاقتصادى لسد حاجة أفراد المجتمع من إنتاج السلع، والمواد المختلفة التى يحتاج اليها أفراد الجماعة، وما يرتبط

---

(١) عبد الحميد لطفى، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٧٢.

بعملية الإنتاج من توزيع له توزيعاً منظما عادلا بين أفراد المجتمع.

وتتمثل النظم الاقتصادية في المجتمع الحديث فيما وضعه المجتمع لنفسه من نظم زراعية وصناعية وتجارية متنوعة تقوم بسد حاجات الأفراد، وخاصة بعد تقلص دور الأسرة في هذه الناحية، ووضعت ضوابط للملكية، والإرث، وتقسيم العمل والتصنيع والتخصص، وفائض الإنتاج، واستثمار وادخار... الخ.

٢- *النظم الدينية*:

وتتركز حول العقيدة، وهى موجودة في كل المجتمعات الانسانية، لأنها تسد حاجات اجتماعية هامة، فالدين يدفع الأفراد إلى تغليب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، كما يساعد على تكامل الشخصية، ورفع الروح المعنوية ويدفع الخوف عن الفرد، وإحياء الأمل في النفس البشرية بما يبثه فيها من قوى روحية تتمثل في الإيمان بقوة الله القادر على مساعدته. وللنظم الدينية دور هام جداً في تكامل المجتمع عن طريق الشعائر الدينية التى تؤدى وظيفة العاطفة الجماعية المشتركة، والتكامل الاجتماعى وغيرها.

٣- *النظام السياسي*:

وهو المسئول عن تأمين مجموع أفراد الدولة ضد العدوان الخارجي والداخلى، ونشر العدالة بين الناس، وحماية الضعيف من

القوى، ومعاقبة كل من يعمل على حدوث اضطراب للمجموع، والدولة إحدى الوسائل الهامة للضبط الاجتماعى[1].

٤- النظام الاسرى:

وهو الخاص بتنظيم العلاقة الجنسية بين الجنسين، وخاصة بالأسرة والزواج وما يرتبط بهما من قواعد والتزامات، وانجاب الأطفال وتربيتهم ورعايتهم، ودور الأسرة في المجتمع.

وهذه النظم الأربعة – التى تم عرضها – هى أكثر النظم شيوعاً في جميع بلدان العالم، فلا توجد أى دولة أو حضارة تخلو من الأسرة، أو من تنظيم اقتصادى، أو حاكم لأمور أفرادها ومحكومين له، أو عقيدة دينية، وكلها تشبع الحاجات الأساسية للإنسان وهى: الجنس، الغذاء، الأمن والعقيدة.

وعلى الرغم من الاكتفاء بعرض النماذج الرئيسية للنظم الاجتماعية إلا أن هناك العديد من النظم الهامة الأخرى من أهمها:

٥- النظام القانونى:

يختص بالفصل في المنازعات بين الناس، وإعطاء الحقوق لأصحابها.

---

(١) بوتومور، تمهيد في علم الاجتماع، ص ٢١٧.

٦- النظام الأخلاقى:

ويتمثل في دراسة العادات والسلوك والقيم والضمير ومحددات ذلك كله.

٧- النظم اللغوية:

والتى تتناول اللغة واللهجات بـين المجتمعـات، ووظيفـة اللغـة، وعوامل استمرارها أو اندثارها.

خصائص النظم الإجتماعية :

تتميز النظم الإجتماعية بعديد من الخصائص التى تحدها وتوضح ملامح شكلها الإجتماعى فى الحياة الإجتماعية بصفة عامة ، ومن أهم هذه الخصائص مايلى :

١- العمومية	٢- الحتمية .
٣- التلقائية .	٤- النسبة .
٥- القهرية .	٦- الموضوعية.
٧- النسقية .	٨- الهدفية والفرضية .

١- العمومية :

تتميز النظم الإجتماعية بأنها عامة تشمل وجميع الأشكال الإجتماعية للمجتمعات المختلفة فلا ريب فى انه لايوجد مجتمع ما ، أو أى نموذج إجتماعى ما ، دون ان يصحبه نظام إجتماعى يحدد الأوضاع والعلاقات داخل هذا المجتمع أو ذلك النموذج الإجتماعى ، ومن ثم فإن من أهم خصائص النظم الإجتماعية إنها عامة أى تعم جميع النماذج الإجتماعية فى المجتمع ولايخلو منها أى وجود إجتماعى مهما كانْ مستواه .

٢- الحتمية :

تتميز النظم الإجتماعيــة بخاصيــة الحتميــة ، بمعنــى أنــه إذا وجــد شكل من الأشكال الإجتماعية أو نموذج ما . مثل المجتمع المحلــى ، أو القبلى أو القريــة ، أو العشيرة . فمن الضــرورى أن يــلازم هــذا الوجــود نظــام إجتمــاعي يحــدد شــكل هــذا النمــوذج الإجتمــاعى ويوضحه، وبالتالى فإن النمــوذج الإجتمــاعى ، والنظــام متلازمــان ، ومن ثم فإن حتمية النظم الإجتماعية مرتبطة تاما بعموميتها .

فطالمــا أن النظــم الإجتماعيــة حتميــة لكــل شــكل مــن الأشــكال الإجتماعيــة فإنهــا مــن ثــم عامــة تشــتمل علــى جميــع انــواع النمــاذج الإجتماعية فى المجتمعات المختلفة .

٣- التلقائية :

من أهم خصائص النظم الإجتماعية أنها تنشأ وتتطور مــن خــلال الحيــاة الإجتماعيــة للمجتمعــات المختلفــة . وذلــك مثــل نظــم الــزواج وتكويــن الأســرة الــذى ينشــأ تلقائيــا فــى المجتمعــات اســتجابة للقيــم الخلقية.

غير أن بعضــا من النظم الإجتماعية ينمو وينشأ بطريقة مخططــة ومقصودة من جانب المجتمع وذلك مثــل النظــم القانونيــة والقضائيــة وغيرها ، وبالرغم مــن ذلــك فــإن هــذه النظــم المخططــة مــن جــانب

المجتمع تتطور ايضا تلقائيا مع تطور النظم الأخرى السائدة فى المجتمع " النظم الإقتصادية – النظم السياسية " .

٤- النسبية :

ويقصد بنسبية النظم الإجتماعية فى هذا الصدد نوعان من النسبية:

(أ) النسبية الزمانية . (ب) النسبية المكانية .

ويقصد بالنسبية الزمانية أن النظم الإجتماعية قد تختلف بالنسبة للمجتمع الواحد من وقت لآخر فهى ليست ثابتة دائما بصفة مستمرة على شكل واحد على طول الزمان بالنسبة لأى مجتمع ، فقد يلتزم مجتمع معين بنظام معين فى وقت من الأوقات ، ثم مايلبث أن يأخذ بنظم غيره فى وقت آخر إذا ماثبت عدم جدواه أو أهميته بالنسبة لهذا المجتمع .

ويقصد بالنسبية المكانية أن النظم الإجتماعية تختلف من مجتمع لآخر ، فقد يأخذ مجتمع مابنظام إجتماعي معين ، ويأخذ مجتمع آخر بنظام إجتماعى آخر يناقضه تمام التناقض وفى نفس الزمن .

فالنظم الإجتماعية ليست واحدة فى كل المجتمعات ولكنها تختلف باختلاف المجتمعات ، كما تختلف ايضا بالنسبة لوظائفها فى كل مجتمع من المجتمعات .

٥- القهرية :

يقصد بالقهرية فى مجال النظام الإجتماعى أن النظام الإجتماعى يمارس ضغوطا على الأفراد ولا يستطيع الأفراد أن يخرجوا على ماتواضع عليه المجتمع من مواضعات متمثلة فى التقاليد والعادات والأعراف التى تسود المجتمع ، وعلى الأفراد الإلتزام والطاعة ، وأن يصدر سلوكهم مواتيا لما ارتضاه النظام الإجتماعى من أوضاع داخل المجتمع الذى يعيشون فيه .

والقهر كخاصية من خواص النظام الإجتماعى يعنى ضربا من ضروب الضغط الإجتماعى يتمكن به المجتمع من إتاحة الإستقرار الإجتماعى بالنسبة لأعضائه جميعا .

٦- الموضوعية :

النظام الإجتماعى موضوعى بمعنى أن له وجودا مستقلا خارج كيان الأفراد صانعى النظام نفسه .

فالنظم الإجتماعية توجد خارج الأفراد لها استقلاليتها العامة ، وهى من ثم مؤثرة فى أنماط حياتهم ، وتمارس ضغوطا عليهم فى نواحيها المختلفة .

وإذا كان النظام الإجتماعى من صنع الأفراد أنفسهم ، إلا أن هدفه تحقيق المصلحة العامة للأفراد جميعا . وليس السعى لتحقيق مصالح ذاتية لأفراد معينة، أو أعضاء معينين فى الهيئة الإجتماعية.

ومن ثم فإن الموضوعية بالنسبة للنظام الإجتماعى تتحقق من خلال الإستجابة لما هو عام بين الأفراد ، وليس من خلال الإستجابة لما هو فردى أو ذاتى كهدف فى ذاته .

فالنظم الإجتماعية تميل للصالح العام للمجموع . وتجاهد لنشر العدالة بين افراد المجتمع وحماية الضعيف من القوى ، ومعاقبة كل من يعمل على إحداث إضطرابات للمجموع بصفة عامة .

٧- النسقية :

يقصد بالنسقية فى مجال النظم الإجتماعية ، إن النظم الإجتماعية تترابط فيما بينها وتتماسك لتشكل كلا واحدا يخدم النموذج الإجتماعى العام الذى يوجد عليه المجتمع بصفة عامة .

فالنظم الإجتماعية لاتعيش كل منها منفردة ومنعزلة عن الأخرى ولكنها تترابط وتتساند على هيئة نسق متكامل لتعمل على ضغط الكيان الإجتماعى للمجتمع كوحدة واحدة .

فالنظم القانونية مرتبطة بالنظم الإجتماعية والأخلاقية والدينية والأسرية والتشريعية والسياسية والإقتصادية .

٨- الهدفية أو الغرضية :

النظم الإجتماعية لاتتجه إلى الصدفة لكى تحركها . لكنها محددة الأهداف من حيث ان لها أهدافا وأغراضا تتجه لحماية هذه النظم والحفاظ عليها .

وإذا كانت النظم الإجتماعية محددة الأهداف والأغراض . فإنما أهدافها وأغراضها تنحصر فى محاولة تأمين المجتمع وتأكيد سلامته وسلامة أفراده والحرص على مقومات هذا المجتمع وبقاء كيانه .

أبعاد النظم الإجتماعية

بعض زوايا الرؤية للنظم الإجتماعية

مهما اختلفت زوايا الرؤية بالنسبة للنظم الإجتماعية - خلال المنظورين المحلى والعالمى إلا أنه يمكن ألإتفاق على عدة ابعاد اساسية تكشف حدود النظم الإجتماعية على المستويين المحلى والعالمي .

وتتلخص أبعاد النظم الإجتماعية على هذين المستويين فيما يلى :

١- بعد الإنتشار .

٢- بعد المشروعية .

٣- البعد الأصولى .

٤- البعد القانونى .

٥- بعد الإلزام .

١- بعد الإنتشار .

يمكن أن تنقسم النظم الإجتماعية من حيث بعد الإنتشار إلى مايلى:

(أ) نظم عامة الإنتشار .

(ب) نظم محدودة الإنتشار .

ويقصد بـالنظم عامـة الإنتشـار تلـك النظـم التـى يمكـن أن تشـمل المجتمع بأسره أو تشمل أغلبية مثل نظـام الـزواج مـن النظـم عامـة الإنتشار وكذلك احترام نظام الأسـرة وقداسـتها مـن النظـم المنتشـرة بصفة عامة فى مجتمعنا المصرى .

أما النظم الإجتماعية الأخرى غير هذا النظام فتدخل ضمن النظـم محدودة الإنتشـار ، حيث تقل نسبة الأشـخاص الذيـن يدخلـون فـى نطاق مثل هذه النظم ، ومن ثم تعتبر هذه النظم مـن النظـم محدودة الإنتشار.

٣- بعد المشروعية .

يمكن أن تنقسم النظم الإجتماعيـة مـن حيـث " بعـد المشـروعية " إلى مايلى :

(أ) نظم مشروعة . (ب) نظم غير مشروعة.

ويقصد بالنظم المشروعة تلك النظـم التـى أقرها المجتمـع ووافق عليها ، كأسـاس للحيـاة الإجتماعيـة ، ومـن هـذه النظـم نظـام العمـل مـن أجـل الكسـب والتعـايش ومزاولـة النشـاط فـى الأطـر المشـروعة فـى المجـالات الزراعيـة والصناعيـة وغيرهـا مـن المجالات.

وأما النظم غير المشروعة فهى عبـارة عـن تلـك النظـم التـى لـم يقرها المجتمع ولم يوافـق عليهـا وذلـك مثـل مزاولـة نشـاط السـرقة

والنشل والتهريب والرشوة والإتجار فى المخدرات وغيرها من المجالات التى يمثل النشاط فيها نوعا من الخروج على السنن الإجتماعية والأنظمة المشروعة والمتفق عليها داخل المجتمع بصفة عامة .

٣- البعد الأصولى .

يمكن أن تنقسم النظم الإجتماعية من حيث " البعد الأصولى " إلى قسمين أساسيين :

(أ) نظم أساسية . (ب) نظم فرعية.

ويقصد بالنظم الأساسية تلك النظم التى لم تنبثق عن غيرها بل وضعت لتكون اساسا لغيرها من النظم التى تتفرع منها وتخرج عنها وأما النظم الفرعية فهى عبارة عن تلك التى تفرعت عن النظم الأساسية وخرجت منها لكى تساعدها وتحافظ عليها وتعمل على تمامها وكمالها .

ومن أمثلة النظم الأساسية فى المجتمع المصرى نظام الزواج كأساس لتكوين الأسرة وإنجاب الأطفال للمجتمع ويترتب على نظم الزواج كنظام أساسى بعض الأنظمة الفرعية الأخرى مثل نظام الخطبة . ونظام الهدايا للعروس (الشبكة) ونظم عقد القران ...... الخ من النظم الفرعية التى تساعد على إتمام الزواج .

٤- البعد القانونى .

يمكن أن نميز بين نمطين من النظم الإجتماعية . نظم تلقائية ، ونظم مقننة .

ويقصد بالنظم التلقائية تلك النظم التى تنشأ دون تخطيط مسبق من جانب الهيئة الإجتماعية، أى تنشأ تلقائيا فى سياق الحياة الإجتماعية نتيجة الحاجات البشرية المختلفة ، سواء كانت حاجات بيولوجية فطرية ، أم حاجات نفسية إجتماعية ، وذلك مثل نظام الزواج وتكوين الأسرة، الذى نشأ تلبية لحاجة بيولوجية فطرية هى الحاجة إلى الجنس مثلا ، ونظام الملكية ، الذى نشأ نتيجة لحاجة نفسية إجتماعية متمثلة فى الحاجة إلى الأمن والرغبة فى التملك ......الخ من النظم الإجتماعية التى تنشأ تلقائيا فى الحياة الإجتماعية .

ومن ناحية أخرى فإن النظم الإجتماعية القانونية أو المقننة نشأت نتيجة تخطيط إجتماعى واع من جانب الهيئة الإجتماعية لتنظيم سير هذه النظم وترتيبها بحيث لايتعارض بعضها مع البعض الآخر ، أو يتناقض عملها مع بعضها البعض .

كذلك نشأت هذه النظم الإجتماعية القانونية لتنظيم مصالح الأفراد داخل الهيئة الإجتماعية، حتى لايتعارض بعضها مع البعض الآخر . ومن

هذه النظم . النظم السياسية والدستورية التى تنظم حياة البشر داخل الهيئة الإجتماعية .

ومما يجدر الإشارة اليه أن بعض النظم الإجتماعية التلقائية يمكن أن تتدرج وتتحول إلى نظم قانونية . وذلك مثل القوانين التى تنظم ممارسة النشاط الإقتصادى والحدود القانونية المشروعة لذلك وغيرها من النظم .

٥- بعد الإلزام.

ومن حيث بُعد الإلزام فإن هناك نظم إجتماعية ملزمة فى مقابل نظم إجتماعية غير ملزمة .. وبالنسبة للنظم الإجتماعية الإجتماعية الملزمة فإنها تتمثل فى القهر الذى يمارسه النظام الإجتماعى على الأفراد وتختلف النظم الإجتماعية الملزمة عن النظم القانونية ، لأن النظم الإجتماعية الملزمة إنما تتميز بأنها وجدت لضبط عدد من العادات ونماذج التصرف التى لاتعتبر فى حد ذاتها جزءا من النظام نفسه ، كما هو الحال فى النظم القانونية (٧) .

وأما النظم الإجتماعية غير الملزمة فهى عبارة عن تلك النظم التى لاتمارس قهرا بالنسبة للافراد . وليس من الضرورى أن يدخل ضمن نطاقها جميع الأفراد ، وذلك مثل نظم الإلتحاق بالأندية ، وعضوية النقابات وغيرها من النظم التى لاتمثل الزاما لجميع الأفراد للدخول فيها .

بعض انماط النظم الإجتماعية :

تتوقف فعالية النظام الإجتماعى على قدرته وإمكاناته التى يقوم من خلالها بالوظائف الإجتماعية فى المجالات المجتمعية من أجل المحافظة على الكيان الإجتماعى للمجتمع الذى يوجد فيه هذا النظام.

وتعدد هذه الوظائف الإجتماعية أدى الى تعدد النظم الإجتماعية ، وأصبح كل نظام مسئولا عن بعض الوظائف الإجتماعية الأساسية .

فالنظام الزراعى وجد فى الحياة الإجتماعية ليقوم بعدة وظائف اساسية هى إنتاج المواد الغذائية من خلال الإنتاج الزراعى ، وزراعة الأرض لتلبية حاجات الإنسان الأساسية من مأكل وملبس ومأوى وغيرها من الحاجات .

والنظام التجارى وجد فى الحياة الإجتماعية لكى يتم تبادل المنتجات المختلفة بين مختلف البشر على عديد من المستويات الإجتماعية ، سواء داخل المجتمع الواحد ، أو بين المجتمعات المختلفة ، وظهر من ثم النظام النقدى كيما يسهل عمليات التبادل ، وينشط حركة إنتقال السلع بين الأماكن والأشخاص .

والنظام الصناعى وجد فى الحياة الإجتماعية ليستطيع الإنسان أن يتمكن من السيطرة على الطبيعة وأن يسخر إمكانياتها لصالح البشر فيستفيد من خيرات الطبيعة عن طريق مايستطيع أن ينتجه من

أنواع مختلفة من السلع يستفيد بها فى حياته العامة ويتمكن بها من قهر قوى الطبيعة.

فكان من ثم ظهور الآلة فى حياة الإنسان التى استطاع أن يسخرها لخدمته ، وخدمة أغراضه، وزيادة ثراء الحياة بصفة عامة.

غير أنه من جهة اخرى لايمكن أن يعيش النظام الزراعى أو النظام التجارى أو النظام الصناعى كل علىٰ حدة وبمفرده وبمعزل عن الآخر ، ولكن كل نظام من هذه الأنظمة يرتبط بالآخر إرتباطا وثيقا ، وتتشابك هذه الأنظمة الثلاثة تحت أسم واحد هو النظام الإقتصادى .

والنظام الأقتصادى يعبر عن تشابك هذه الأنظمة الثلاثة ويستطيع هذا الأخير الإستجابة لمختلف الحاجات المجتمعية للفرد والمجتمع فى آن واحد .

والنظام الإقتصادى لايمكن أن يقوم بحالٍ من الاحوال بدون أى من الأنظمة الثلاثة السابقة فهى بمثابة دعامات للنظام الإقتصادى واسس له لايمكن أن يقوم بدونها .

وإذا كان النظام الإقتصادى نفسه وثيق الصلة بالحياة الإجتماعية ومختلف النظم الإجتماعية والذى يعتبر النظام الإقتصادى إحداها ، فإنه يتحتم الإشارة إلى النظم الإقتصادية ، كما يتطلب الأشارة ايضا إلى نمط من أنماط النظم الإجتماعية المتمثلة فى نظام الأسرة .

البناء الأسرى

كأحد النظم الإجتماعية

تعتبر الإسرة الوحدة الإجتماعية الأولى التى تتلقى الفرد منذ ولادته وحتى التحاقه بالهيئات والمؤسسات المجتمعية المختلفة داخل المجتمع .

والأسرة هى أصلح نظام إجتماعى ارتضاه المجتمع للحفاظ على وظائفه وتجديد بنيانه .

حيث قد مرت علاقة الرجل بالمرأة بعديد من التجارب ، حتى اكتشف المجتمع أن نظام الأسرة هو أفضل النظم للعلاقة بين الجنسين وأصلح ضمان لمستقبل المجتمع .

وتطورت نظم الأسرة من خلال عدة أبعاد من حيث الحجم والسلطة الممنوحة لأعضائها ، وكذلك وظائفها .

ومن حيث الحجم فقد كانت الأسرة الممتدة هى النظام السائد . فقد كانت الأسرة تشمل الأب والأم والاولاد وكذلك أسر الابناء والأحفاد.

ويظل حجم الأسرة يكبر حتى يقترب من حجم القبيلة .

ثم أخذ نطاق الإسرة يضيق شيئا فشيئا حتى وصل إلى الحد الذى استقر عليه الآن فى معظم المجتمعات الحديثة من حيث الحجم .

فمعظم المجتمعات الحديثة الآن استقرت على شكل الأسرة الإجتماعى الذى يقتصر على الأب والأم وعدد محدود من الأبناء .

ومن حيث بعد السلطة ، فقد مرت السلطة فى نظام الأسرة بعديد من الأشكال على مر الأزمنة ومختلف العصور التى مرت بها حياة الأسرة فى مختلف المجتمعات .

ويقصد بالسلطة مناط الرئاسة وتولى الشئون الأساسية فى توجيه الحياة الأسرية وإدارتها من أجل مصلحة أفرادها جميعا .

وثمة اختلاف بين علماء الإجتماع فيما يتعلق بإسناد سلطة الأسرة للأم فى بعض مراحل تطور الأسرة ، حيث يرى بعض العلماء أن نظام الأسرة قد مر بتطور إجتماعى يتم فيه إسناد السلطة فى الأسرة للأم . بينما يرى البعض الآخر أن هذا النظام لم يوجد أساسا وأن معظم الأنظمة الأسرية فى مختلف المجتمعات كانت السلطة فيها مسندة للأب بصفة أساسية .

وفى الإسلام ليس ثمة شك فى أن الإسلام أعطى القوامة للأب ، فالشريعة الإسلامية تجعل الرجال قوامون على النساء ، وبالرغم من ذلك فإن إعطاء السلطة للأب لم يكن هو النمط السائد أو المألوف فى جميع مراحل التاريخ .

ومن حيث وظائف الأسرة فقد مرت وظائف الأسرة بعديد من الوظائف فى الماضى حيث اتسع نطاق هذه الوظائف لتشمل جميع

الوظائف التى يتولاها الآن المجتمع الحديث وتقوم بها العديد من المؤسسات المجتمعية التى تقوم كل منها بوظيفة إجتماعية معينة .

فقد كانت الأسرة تقوم فيما مضى بعملية تربية الأطفال وإعدادهم للحياة المستقبلة ، عن طريق تدريبهم على بعض الأعمال لتحمل أعباء المسئولية والقيام ببعض الوظائف والمهن التى تقوم بها الأسرة، ففى الغالب أن الأبناء تمتهن نفس وظائف الآباء ، وتقوم بنفس أعمالهم .

ومن ثم فإنه كان يقع على عاتق الأسرة مسئولية إعداد أبنائها لبعض المهن والوظائف التى يستطيعون عن طريقها تكسب لقمة العيش والقيام بأعباء المسئولية الاسرية فيما بعد ، ومع تعقد الحياة الإجتماعية وتعقد مسئولياتها ووظائفها تعذر على الأسرة أن تقوم بجميع تلك المسئوليات تجاه أبنائها وأوكلت تلك المسئوليات إلى بعض المؤسسات والهيئات المجتمعية الأخرى.

وتطورت وظيفة الأسرة تطورا كبيرا فلم تعد لها الوظائف الحربية والإقتصادية والدينية والقضائية القديمة إذ اختصت بكل وظيفة هيئة او هيئة أو مؤسسة خاصة بها تمارسها ، واقتصرت الاسرة على وظائف محددة مازال المجتمع يطلبها ، منه ومن أهم تلك الوظائف التى يتوقع المجتمع من الأسرة القيام بها مايلى .

١- النسل :

الأسرة هى النظام الوحيد الذى يعده المجتمع للإنجاب ، وما يأتى من النسل عن غير هذا الطريق يعد نسلا غير شرعى لايلق احتراما من المجتمع او اعترافا .

٢- نقل التراث الإجتماعى :

الأسرة تتلقى الطفل لحظة ولادته فتحوطه برعايتها وعنايتها مستعينة بالتراث الثقافى والإجتماعى فى شئون الصحة والعلاج والغذاء والملبس والسكن .. وتقوم الأسرة بنقل هذه الأشياء عن طريق تلقين أبنائها اللغة والعقيدة والتاريخ والقيم والعادات والتقاليد والأعراف ، وتعرفهم بالبيئة المحلية ، وتعده للمستقبل وفق ماتتطلبه ظروف مجتمعها من إعداد ، ومن ثم فإن الأسرة تساعد كثيرا فى نقل التراث الثقافى الإجتماعى عبر الأجيال .

٣- الوظيفة الإقتصادية :

الأسرة وحدة إقتصادية متكاملة يقوم فيها الأب والأم بإعالة الأبناء والإنفاق على الأبناء ، وغالبا مايقوم الأب بهذا الدور وتقوم الأم برعاية المنزل ، وتدبير الدخل الأسرى إلى جانب الأب، وقد تعمل الزوجة وبعض الأبناء مما يزيد من الدخل الأسرى .

٤- التعاطف والتضامن الإجتماعى :

إن جو الحنان والمحبة الذى يحيط بالطفل يزوده بالتعطف نحو افراد أسرته فيكسب نفس العواطف نحو أفراد جماعته ومجتمعه ، وخاصة عندما تنعكس ظروف مجتمعه على أحوال اسرته فيشعر بالوحدة العضوية بين الأسرة والمجتمع .

ويشعر الطفل شعورا واضحا فى محيط الأسرة بالتضامن بين جميع أفرادها فى سبيل المصلحة العامة للاسرة فينشأ الطفل وقد اكتسب اساسا عاطفيا للتضامن الإجتماعى .

والأسرة قطاع من المجتمع تتأثر بكل مافيه من ثقافة قيم إجتماعية مما يشعرها بالإنتماء إلى هذا المجتمع دون غيره ، ولكنها رغم ذلك تتأثر بعوامل خاصة تختلف عن غيرها من الأسر بخصائص معينة تنعكس على شخصية أطفالها فتميزهم باتجاهات سلوكية خاصة .

أهم الخصائص التى تحدد نمط الأسرة :

(أ) البيئة المحلية :

لاريب أن البيئة المحلية تؤثر تأثيرا كبيرا على تحديد نمط الأسرة التى توجد فيها هذه الأسرة ويختلف نمط الأسرة وطابعها

بحسب طبيعة البيئة سواء أكانت بيئة ريفية أو حضرية ، فنمط الأسرة الحضرية يختلف عن نمط الريفية ، والأسرة البدوية تختلف عن كل من الأسر الريفية والأسر الحضرية ، أو الأسرة التى تعيش فى المجتمعات الصناعية .

(ب) الطبقة الاجتماعية :

تشكل الطبقة الإجتماعية التى تنتمى إليها الأسرة القاعدة الاساسية فى تحديد الشكل الإجتماعى للاسرة ، فانتماء الأسرة إلى طبقة إجتماعية معينة يطبعها بالصفات والخصائص المميزة لتلك الطبقة ، خاصة إذا كان المجتمع مكونا من طبقات مغلقة لاتسمح بالإنتقال بينها .

(ج) المستوى الإقتصادى :

لاشك أن المستوى الإقتصادى للأسرة ينعكس على الأساليب المعيشية المختلفة للأسرة ، ومن ثم تنعكس هذه الاساليب على اوضاع الصحة الجسمية والنفسية لأفرادها وعلى تحديد علاقة الأفراد بالنظام العام للمجتمع وعلاقة أفراد الأسرة بالأسر الأخرى أو المجتمع المحلى أو المجتمع القومى .

ويتضمن المستوى الإقتصادى مستوى الدخل والمهنة وأساليب التكسب بصفة عامة .

(د) العقيدة الدينية :

تمثل العقيدة الدينية مصدرا اساسيا من مصادر التشكيل الإجتماعى لنمط الأسرة وشكلها الإجتماعى العام فالدين مصدر كثير من عناصر ثقافة المجتمع ومثله العليا، وهو يطبع عقول المؤمنين به بكثير من الاتجاهات الفكرية والسلوكية والعملية .

ولاشك أن طابع الأسر يتأثر بمقدار فهمها للعقيدة الدينية وكذلك أساليب ممارستها للعبادات والطقوس الدينة والمختلفة .

(هـ) الأوضاع الثقافية :

إذا كانت الثقافة تمثل ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات الإجتماعية وكل القدرات الأخرى التى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا فى جماعة .. فإنه بمقدار وعى أفراد الأسرة بهذا الكل المركب فإنه يتحدد شكلها الإجتماعى العام ، وكذلك بمقدار فهم أفراد الأسرة وبخاصة القائمين على المسئولية الأسرية بها للأوضاع الثقافية المختلفة فإنه يتحدد النمط الإجتماعى للأسرة .

النظم الإقتصادية

سبقت الإشارة إلى أن النظام الإقتصادى يعبر عن تشابك عديد من الأنشطة مثل النشاط الزراعى والنشاط التجارى والنشاط الصناعى .

ومعنى ذلك أن النظام الإقتصادى يدور حول ثلاثة محاور أساسية هى :

(أ) انتاج السلع والخدمات اللازمة للحياة المجتمعية :

وتتمثل عملية الإنتاج هذه فى النشاط الزراعى والنشاط الإستخراجى ، حيث يتم إنتاج المواد الغذائية اللازمة من خلال عمليات الإنتاج الزراعى ، كما يتم استخراج مافى باطن الأرض من خيرات سواء معادن أو بترول أو مواد صناعية ....الخ من خلال النشاط الإستخراجى .

ومن ثم فإن الأمر يتطلب التخصص فى أى من النشاطين سواء النشاط الزراعى أو النشاط الإستخراجى حتى يتم إنتاج العديد من السلع والأدوات والخامات التى يمكن الإستفادة بها فيما بعد فى الأنشطة الأخرى .

(ب) توزيع السلع والخدمات المجتمعية :

وتتم عملية التوزيع هذه من خلال المحور الثانى من محاور النظام الإقتصادى وهو النشاط التجارى .

وفى هذا النشـاط يضـع المجتمع بعض السياسـات التـى تتضمن ضوابط وقوانين تحكم سير النشاط التجارى بما يحقق عدالـة توزيـع السلع وتبادلها وبما يكفل تمكن الأفراد من الحصول على احتياجـاتهم من هذه السلع والخدمات المجتمعية .

(ج) تصنيع السلع والأدوات اللازمة للحياة الإجتماعية :

وتتم هذه العمليـة مـن خـلال المحـور الثـالث مـن محـاور النظـام الإقتصــادى وهـو النشــاط الصنــاعى وفـى هـذا النشــاط تحــاول المجتمعات أن تخطو بعمليـات التصنيـع خطـوات واسـعة فـى سـبيل تحقيق أكبر قدر من المنتجـات الصناعيـة والتـى تحقـق عـائدا ماديـا يؤدى إلى رفع المستويات المعيشية للأفراد بالإضافة إلـى النشـاط الزراعى والنشاط الإستخراجى .

وغالبا مايقاس تقدم المجتمعات بمقدار ماوصلت إليه من مستوى صناعى . حيث يعتبر النشاط الصناعى أحد المحكات الأساسية فـى قياس التقدم الإقتصادى الذى تشهده المجتمعات .

مفهوم النظام الإقتصادى :

يمكن أن يعرف النظام الإقتصادى علـى انـه : مجموعـة التدابـير والإجراءات التى يتخذها الإنسـان والتـى تشـمل عـددا مـن المحـاور الاساسية للانشطة الزراعية والتجاريـة والصناعيـة والخدميـة بقصـد

استغلال البيئة فى تحقيق الحاجات الاساسية من خلال الحياة الإجتماعية .

تطور النظم الإقتصادية :

يرتبط النشاط الإقتصادى بوجود الإنسان فى الحياة ، فمنذ أن سكن الإنسان الأرض بدأ يسعى بمختلف الوسائل لإشباع حاجاته الاساسية من غذاء وملبس ومأوى ومن ثم بدأ يظهر شكل النشاط الإقتصادى .

وانحصر النشاط الإقتصاد بصفة أساسية فى الأسرة . والتى كانت تشكل وحدة إقتصادية متكاملة تنتج ما تحتاج اليه وتستهلك إنتاجها وتستعمل الأدوات المناسبة للإنتاج .

وقد تأثر النظام الاسرى بالأساليب الإنتاجية التى تسود فى المجتمع بصفة عامة ، كما أن المجتمع بوصفه البوتقة التى تحتوى العديد من الأسر والتى تشكل كل منها وحدة اقتصادية مستقلة قد تأثر ايضا بنمط الأنشطة الإقتصادية التى تمارسها كل أسرة ، أو كل جماعة من الجماعات الأولية التى يحويها النظام الإجتماعى العام بوصفه اتحادا عضويا للقوى الإنتاجية .

وحينما ساد نظام العبيد وكان الإنتاج مشاعا ولم تكن الصناعة حرفة مستقلة ، بل كانت عملا إضافيا لكل أفراد المجتمع يقومون به فى اوقات فراغهم من الصيد ، كانت ملكية أدوات الإنتاج مشاعة

يحمل كل فرد منها مايعمل به أثناء الصيد وحده ، فإذا انتهت تلك الفترة حفظت تلك الأدوات فى مكان خاص .

ولما انتقلت المجتمعات إلى النظام الرعوى . كان القطيع من الماشية يشكل ملكية عامة مشاعة للقبيلة . وقيام بعض الأسرى بمزاولة الأعمال الصناعية حيث كان يحرم عليهم العمل الرعوى بإعتباره شرفا لايجوز إسناده إليهم . وغير أنه من جهة أخرى زاد الطلب على المنتجات الصناعية التى يقوم هؤلاء الأسرى بإنتاجها ، فازدادت أهميتهم فى المجتمع .

واستطاع بعض الصناع أن يحرروا أنفسهم بإنتاجهم . وأورثوا عائلاتهم حرفهم وقد حرمت الثقافة الرعوية القبائل من مزاولة مهنة الصناعة لأنها لاتليق بشرف القبائل الرعوية ، ومن ثم لم تستطع هذه القبائل تحقيق الإكتفاء الذاتى . خاصة وأن حياة القبيلة تتطلب عديدا من الصناعات سواء فى مجال السلم أو مجال الحرب .

غير أنه فى نموذج الإقتصاد الرعوى لم يكن يسمح الا لأقلية من الأشراف بامتلاك قطعان الماشية والعبيد . بينما كان للأغلبية الرعى والصيد وخدمة السادة .

ولماانتقلت المجتمعات إلى عهد القوميات وظهرت الدولة الحديثة دخل الإقتصاد طورا جديدا هو الإقتصاد القومى وقد اخذت الدولة الحديثة تتكون فى هذا الدور وأصبحت كل أمة بيئة اقتصادية لها

ظروفها وأحوالها الخاصة من حيث حجم الثروة الموجودة فيها وأنواعها وموقعها الجغرافى وطبيعة مناخها وعدد سكانها .

ثم بدأت مرحلة الإقتصاد الدولى خلال القرن التاسع عشر حينما بدأ الاتصال بين الدول وتشابكت علاقاتها الإقتصادية وتطورت الصناعة وقد ارتفع شأن التجارة الدولية نتيجة لتحسن وسائل المواصلات وتسهيل الطرق واستخدام وسائل الإتصال الحديثة ، وبذلك لم تعد الأسواق قومية بحتة أو قاصرة على دولة بعينها بل دولية ترتبط ببعضها . وتبدو دولية الأسواق بشكل واضح فى اسواق القطن والذهب مثلا ، كما اصبحت اثمان بعض السلع تتقارب فى الأسواق العالمية وتشابهت النظم الاقتصادية من صناعية وتجارية ومالية فى كثير من الدول.

أنماط النظم الأقتصادية العالمية :

تختلف النظم الإقتصادية على مستوى العالم حول محور اساسى هو ملكية وسائل الإنتاج . وحول هذا المحور الأساسى تدور النظم الإقتصادية على نطاق العالم .

فهناك النظام الرأسمالى ، وفى هذا النظام يسمح بالملكية الفردية كما يسمح للأفراد بتملك وسائل الإنتاج الأساسية . فهو يقوم اساسا

على حرية الملكية . وعلى إطلاق الملكية الخاصة ، وينتشر هذا النظام فى امريكا ودول غرب أوربا بصفة اساسية .

وهناك النظام الإشتراكى . ويقوم النظام الإشتراكى على اساس الملكية الجماعية لأدوات الإنتاج ، تلك التى تتطلب أن تكون الإدارة جماعية .

ويعتقد الإشتراكيون أن الملكية الخاصة بأدوات الإنتاج . وللإدارة الفردية مساوئ يمكن القضاء عليها إذا وضعت أدوات الإنتاج فى أيدى السلطة القادرة على جعل الأنتاج مطابقا لحاجات الدولة .

وينتشر هذا النظام بصفة خاصة فى روسيا والصين ومجموعة الدول الإشتراكية ، وهناك أنظمة إقتصادية تسود بعض دول العالم الثالث هى عبارة عن خليط من الأنظمة الرأسمالية والإشتراكية .

غير أن مفهوم نظام الإقتصاد الإشتراكى نفسه قد تعدد وتنوع . واختلفت أساليب تطبيق النظام بين دولة وأخرى ، وبصفة عامة يمكن حصر تطور الأنظمة الإقتصادية الإشتراكية التى كانت سائدة فى الأنواع التالية :

١- الإشتراكية المسيحية .

٢- الإشتراكية الغابية .

٣- الإشتراكية السندكالية .

٤- الإشتراكية الآسيوية .([1]) .

ويمكن القاء الضوء عن كل نظام من هذه الأنظمة فيما يلى :-

١- الإشتراكية المسيحية :

يقوم منهج النظام الإشتراكى المسيحى على تشجيع النظام التعاونى وإنشاء الجمعيات التعاونية الإنتاجية ، وقد اهتم الإشتراكيون المسيحيون بتحسين حالة العمال فعملوا على تحديد ساعات العمل وتحسين ظروف العمل ، إقرار التعليم المجانى . وقد كان أساس هذا النظام هو ظهور كتابات بعض الكتاب المسيحيين الذين رأوا استحالة التوفيق بين النظام الرأسمالى الذى يقوم على المنافسة ، وبين تعاليم الديانة المسيحية التى تدعو الى الحب والإخاء.

٢- الإشتراكية الفابية :

وترجع هذه التسمية إلى جميعة الفابيان " الإنجليزية والتى تألفت من ١٨٨٢ - ١٨٨٤ وتضم عددا من مشاهير الكتاب وأساتذة الجامعات فى إنجلترا " .

وتقوم فكرة الإشتراكية الفابية على أن ملكية وسائل الإنتاج ينبغى أن تنقل إلى المجتمع كله على اختلاف طبقاته ، وليس إلى طبقة العمال بصفة خاصة كما ترى الإشتراكية الماركسية .

---

[1] - بطرس بطرس غالى ، خيرى محمود عيسى - المدخل فى علم السياسة ، الانجلو المصرية ١٩٦٦ ص ٣٤٨.

وترى هذه الإشتراكية أن تنتقل ملكية المنافع العامة إلى المجالس المحلية كما ترى تقليل ساعات العمل وتحسين أحوال العمل ورفع الأجور وتحسين التعليم ، وتأمين العمال من البطالة، وفرض الضرائب على التركات وعلى ريع الأرض والإيراد الإضافى .

٣- الاشتراكية السندكالية :

وهى نظام نقابى ثورى . وقد أخذ أنصار الإشتراكية السندكالية بمبادئ ماركس الخاصة بحرب الطبقات بين الطبقة العاملة والطبقة الرأسمالية المالكة ، وبضرورة الثورة فى سبيل إقامة المجتمع الإشتراكى . وقد اختاروا النقابات العمالية لتكون وسيلة تنفيذ نظامهم الإشتراكى .

٤- الاشتراكية الآسيوية :

وقد تزعم هذه الإشتراكية الزعيم غاندى (١٨٦٩-١٩٤٨) فى آسيا ، ويقوم هذا النظام على اساس الحكم الذاتى للجماعات والقرى والبيئات المحلية ، وتقوم هذه الإشتراكية على الصناعات اليدوية . كما تقوم على الملكية الزراعية لكل فلاح ، وهذا الفلاح بدوره يتعاون مع أعضاء اسرته ، ثم مع قريته .

وقد تابع فينوبا أفكار غاندى عن هذه الإشتراكية ، وقد تزعم فكرة أن أصحاب الأرض يجب أن يتبرعوا بمحض إرادتهم بما لايقل عن سدس ممتلكاتهم الزراعية للفلاحين الفقراء ، وقد نجح فينوبا فى

دعوته هذه ، فتم توزيع نحو ٢٤ مليون فدان على الزراع المعدمين .. ويرى أن هذا التبرع يخلص المجتمع من الصراع بين الطبقات والجماعات ، وينشئ نوعا من التضامن بين المتبرع والمتبرع له ، وامتدت حركة فينوبا إلى توزيع الثراء والعلم بوجه عام ، وهذا في رأيه أفضل من تحديد الملكية الذى لابد فيه من تدخل الحكومة ([1]) .

[1] - بطرس بطرس غالى ، خيرى محمد عيسى - المدخل فى علم السياسة ، الانجلو المصرية ١٩٦٦- ,٣٥٢ مرجع سابق .

النظم السياسية

مفهوم الدولة :

يمكن أن تعرف الدولة بأنها مجموعة من الأفراد يقيمون بصفة دائمة فى إقليم معين ، وتسيطر عليهم هيئة منظمة استقر الناس على تسميتها الحكومة . ([1])

مقومات الدولة :

ومن خلال التعريف السابق للدولة يتضح أن ثمة ثلاثة عناصر تقوم عليها فكرة الدولة وتتمثل هذ العناصر الثلاثة فيما يلى :

مجموعة أفراد – أقليم – حكومة .

مجموعة الأفراد :

لابد لقيام الدولة من تضامن مجموعة من الأفراد يعيشون معا . ويربطهم مجموعة من العلاقات . وتشابه فى الأنماط السلوكية التى تحكمها مجموعة القيم والعادات والتقاليد والأعراف التى يخضع لها هؤلاء الأفراد .

الإقليم :

يقصد بالإقليم تلك المنطقة الجغرافية التى تقيم فيها مجموعة الأفراد بصفة دائمة ، وتضمن هذه المنطقة جميع ممتلكات هؤلاء الأفراد فى تلك المنطقة ، ويمارس هؤلاء الأفراد السيادة على ثرواتهم وممتكاتهم البرية والمائية والجوية أى طبقات الهواء الجوية وجميع أنواع الأنشطة

---

[1] – بطرس بطرس غالى : مصدر سابق . ص ٣٠٢

المرتبطة بهؤلاء الأفراد.

وقد تقع تلك المنطقة الجغرافية فى إقليم واحد مثل معظم دول العالم أو قد تكون فى أكثر من إقليم مثل الولايات المتحدة الامريكية ، أو موزعة بين عدة جزر مثل اندونيسيا وماليزيا ، والحدود التى تفصل بين الدول قد تكون طبيعية مثل الجبال والبحار والأنهار والبحيرات والصحراوات ، وقد تكون سياسية تقع على خطوط الطول والعرض .

الحكومة :

والحكومة هي الهيئة المنظمة لقوى المجتمع تنظيما يتيح لها القدرة على فرض الإستقرارا والأمن والنظام ومواجهة الأخطار الخارجية ، ولهذا تتميز الحكومة بالسلطة التى تفرضها على الشعب عن طريق القانون .

هذا فضلا عن أن الحكومة تتولى تدبير الأوضاع الإقتصادية للشعب عن طريق إدارة واستغلال موارده الطبيعية والصناعية لتحقيق مصلحة الأفراد .

مفهوم السيادة كمفهوم عالمى

مفهوم السيادة من أكثر المفاهيم التى تتردد كثيرا فى دساتير العالم على مختلفة اتجاهاته وأيديولوجيته .

وكلمة سيادة Soverignty مشتقة من اللفظ اللاتينى Snperanus ومعناه الأعلى ، وأول من استعمل هذه الكلمة فى السياسة هو جان

بودان فى كتاب الجمهورية الذى وضعه على علم ١٥٧٦ ، وفكرة السيادة كانت معروفة فى اوربا قبل كتابات جان بودان ، غير أن الكتاب كانوا يطلقون عليها اسماء اخرى فسموها " السلطة العليا " وسماها فقهاء الرومان " اكتمال فى الدولة " وهذه كلها مرادفات لمعنى السيادة وهى السلطة العليا فى الدولة ([1]).

ويمكن أن تعتبر الدولة " كاملة السيادة " إذا كانت حرة التصرف فى جميع شئونها داخلية وخارجية ، دون تدخل دول أخرى ، وتسمى " ناقصة السيادة " إذا كانت خاضعة فى بعض شئونها لدولة اخرى أو منظمة مثل الدول المحتلة .

وتسمى الدولة بسيطة أو موحدة إذا كانت تتميز بوحدة الشخصية المتمثلة فى الدستور والقانون والإدارة سواء أكان نظام الحكم مركزيا (أى تحتكره العاصمة) أو كان لامركزيا أى موزعا على الأقاليم .

وتسمى الدولة مركبة إذا كانت مؤلفة من دولتين أو اكثر متحدة إتحادا تاما (فيدرالى) مثل تنزانيا التى تكونت من تنجانيقا وجزيرة زنزبار ، أو اتحادا جزئيا (كونفيدرالى – تعاهدى) مثل جامعة الدول العربية .

---

[1] – المصدر السابق . ص ٣١٩.

ويشترط فى النظام السياسى أن يكون مزودا بسلطة بما تحتويـه من وظائف تشريعية وقضائية وتنفيذية ، وقوة رادعة تفرض الأمن والنظام فى الداخل وتصد العدوان الخارجى .

نشأة فكرة السيادة فى العصر الحديث لدى بعض المفكرين

كان لكتابات الكثير من المفكرين حول موضوع " العقد الإجتماعى " فى بداية العصر الحديث الفضل فى ظهور مفهوم السيادة وقيام السلطة السياسية الحاكمة ، إذ وجد المفكرون فى فكرة "العقد الإجتماعى " حلا مناسبا للخروج على ادعاءات الكنيسة حول مفهوم السلطة " الدينية والزمنية " وذلك بإعلاء كلمة الشعب ، واعتبر جميع الأوضاع الإجتماعية من نظم سياسية واقتصادية واخلاقية إنما نبعت من الشعب نفسه ، ولم تفرض عليه من سطلة الهية أو من قوة بشرية خارجية أو داخلية .

وظهرت افكار عديدة من المفكرين الاجتماعيين حول مفهوم العقد الإجتماعى من أمثال توماس هوبز ، جون لوك ، والتى تفسر مفهوم السيادة كسلطة مطلقة من سلطات الشعب ، حيث يصور توماس عوبز المجتمع البشرى بأنه شبيه بمجتمع الغابة من حيث تاريخ النشأة ، حيث قد عاش الناس وقتا طويلا كالحيوانات فى الغابة يأكل القوى فيهم

الضعيف فالطبيعة الأولى الفطرية للإنسان هو ان ينهش ويتمر لأخيه الإنسان ، ولكن بفضل العقل الذى زود به الإنسان والخوف من الفناء هداه إلى تكوين المجتمع ، لأنه من الضرورى وليس هناك مفر من ان يعيش الناس معا عيشة مشتركة ، لأن كل قوى لابد له من الأقوى منه، وكل اعتداء لابد من رده واستبعاده .

ومن ثم فقد تعاقد الناس على أن يعيشوا معا بحيث يتنازلون عن بعض حرياتهم لرئيس يحكمهم بحيث يجمع السلطات فى يده ، لكى يستطيع أن يضمن بقاء المجتمع بأن يؤمنه العدوان ويضمن الحقوق والملكية الخاصة ، وأن يكون بمقدوره حسم الأمور والمشكلات التى تعترض طريق الحياة المجتمعية ، وبذلك كفل الأمن والسلم والإزدهار للمجتمع .

وحينما أدرك الناس أهمية ذلك العقد تمسكوا به ثم توارثوه جيلا بعد جيل حتى اصبح نهائيا ، ولم يعد الناس يستطيعون أن يتراجعوا عن هذا العقد أو يستردوه لأنه لايمكن الرجوع فيه بعد أن اصبح خارجا عن إرداتهم ورهنا بمشيئة هذا الرئيس نفسه الذى هو أدرى بمصلحتهم. وسوف تكون نتيجة الرجوع عن هذا العقد هو العودة إلى حالة الوحشية وشريعة الغابة التى كانت تعيشها المجتمعات قبل هذا التعاقد .

غير أن الفيلسوف الإنجليزى جون لوك رأى أن التعاقد نشأ من خلال التفاهم الذى كان يعيشه الناس مع بعضهم البعض ، وقد أدى هذا

التفاهم إلى أن يشعر الناس إلى أن كل فرد منهم له من الحقوق والواجبات والحرية ماله من أمثاله الآخرين ، وأنه يجب أن يتمتع بحقوقه الطبيعية تلك ، لأن فى ذلك ضمان الأمن الناس جميعا وضمانا لاستقرارهم .

ومن ثم فقد ارتأى أنه يجب توثيق هذه الحقوق وهو الواجبات فتعاقدوا على أن يعترفوا جميعا بحقوق طبيعية متساوية لكل منهم ، مثل الملكية والتعليم والحرية الخ ... من الحقوق . كذلك يشتمل هذا العقد ايضا على تحديد واجبات الأفراد .

ويشتمل العقد ايضا على أن يقوم رئيس بمهمة تنفيذ بنود هذا العقد لصالح الأفراد والجماعات. ويعطى كافة الضمانات ليتمكن من مباشرة سلطاته ، والمحافظة على أمن المجتمع وسلامته وبقائه . ويعمل هذا الرئيس الذى توكل اليه مهمة تنفيذ العقد تحت رقابة أفراد المجتمع فإذا خان الأمانة أو آثر نفسه أو اسرته بالخير كان لهم ان يعزلوه لأنه نقض شروط العقد التى لاتقوم إلا إذا روعيت مصلحة طرفى العقد .

ومن ثم فإن سلطة الرئيس والحكومة مستمدة من سلطة الشعب الذى هو مصدر السلطات الحقيقية بموجب هذا الاتفاق الذى ليس من الضرورى أن يكون مكتوبا ، فإن مجرد الإجتماع وقبول السلطة الحاكمة دليل على قيام هذا العقد ولو فى صورة ضمنية .

لذا فإن الحكومة والرئيس يمثلان إرادة الشعب ، وكانت الثورة عليهما وخلعهما أمرا مشروعا. ذلك إذا كان هناك طغيان ، وماالقانون إلا أداة السلطة لإقرار الأوضاع الإجتماعية التى اختاره الشعب متفقة مع اخلاقه ، وضمانا لذلك فإنه يجب الا تتركز السلطات فى يد واحدة بل لابد من توزيع السلطات وفصلها عن بعضها البعض .

وقد دعا " جان بودان " الفرنسى فى بداية العصور لحديثة إلى ضرورة الفصل بين السلطات ، فتضع السلطة القضائية فى يد قضاة مستقلين ، حتى تأتى احكامهم نزيهة غير متأثرة بنزوات الحاكم وأهوائه وقد استوحى هذا الرأى مما فعله ملوك فرنسا عندما نقلوا السلطة القضائية إلى محاكم مستقلة بعيدا عن القصور الملكية بعد أن تخلى الملوك عن وظيفة القضاة التى كانوا يقومون بها .

وكان مونتسكو أول من شرح بالتفصيل نظرية الفصل بين السلطات فى كتابه روح القوانين (١٨٧٣) الذى رأى فيه أن للحكومة ثلاث سلطات متميزة هى :

١- **السلطة التشريعية :** وعن طريقها يصدر الحاكم القوانين ويعدلها.

٢- **السلطة التنفيذية للأوضاع الخارجية والقانون الدولى :** وعن طريقها يمارس الحاكم الشئون الخارجية مع الدول الأخرى سواء فى السلم أو الحرب .

٣- **سلطة تنفيذ القانون الداخلي:** وعن طريقها يستطيع الحاكم ان يعاقب الخارجين على سلطان القانون ، ثم يفصل القانون في الخلافات عن طريق السلطة القضائية .

فإذا اجتمعت سلطتان او ثلاث في يد الحاكم دفعه ذلك إلى الإستبداد، ومن ثم فقد الرعايا حريتهم مهما كان الحاكم حسن النية .

لمحة تاريخية لتطور فلسفة نظم الحكم في مصر .

صدر أول دستور مصرى بفضل الثورة العرابية فى تمام عام ١٨٧٩ غير أنه لم ينفذ . وفى عام ١٨٨٢ صدر دستور آخر بفضل وطنية شريف باشا وضغط الشعب المصرى على الخديوى توفيق .

وفى عام ١٩٢٣ صدر دستور ١٩٢٣ بالحاح من الشعب المصرى للحد من سلطة الملك الذى كان يعتبر مصر ميراثا عن أجداده ، وبالرغم من أن هذا الدستور كان أملا يسعى اليه الشعب المصرى لتحقيق الديمقراطية والحرية إلا أنه قد اشتمل على كثير من العيوب كان أهمها مايلى :

١- إن هذا الدستور كان يعتبر منحة من الملك تفضل بها على الشعب فكانت حقوق الشعب فيه رهنا بإرادة الملك .

٢- كان للملك حق إقالة الوزارة دون أى قيد ، وهذا الحق جعل الوزراء خاضعين لمشيئة الملك لالمصلحة الشعب .

٣- جعل للملك حق حل مجلس النواب وقتما يشاء ، وقد حل الملك فؤاد فعلا مجلس النواب بعد ساعة واحدة من انعقاده بعد انتخابات فاز فيها الوفد برياسة سعد زغلول بالأغلبية ، ومن ثم فقد قيد هذا

الدستور حرية أعضاء المجلس فى التعبير عن آرائهم خوفا من تعارضها مع رغبات الملك الذى بيده حل المجلس .

٤- جعل الدستور الملك هو القائد الأعلى للجيش ، وبيده ترفية الضباط وعزلهم . فكان الجيش تحت سلطة الملك لاسلطة الحكومة .

٥- جمد النشاط الإقتصادى والإجتماعى بما يتفق ومصلحة النظام الطبقى الذى صدر الدستور لمصلحته

٦- جعل الملك فوق القانون ، وذاته مصونة لاتمس ، فهو مصدر كل السلطات ولاتجوز مساءلته ولامراجعته فى اى أمر إرتآه ، ومن ثم أصبح الملك مستبدا لايتقيد بأى واجب قانونى يلزمه تجاه الشعب .

٧- جمد تعديل الدستور لأنه كان يقضى بما يأتى :

(أ) تجميد بعض أحكامه الخاصة بأملاك الخديوى السابق والعرش.

(ب) منع تعديل احكامه فى فترة معينة ، وهى الخاصة بحقوق سند الملكية أثناء قيام وصاية العرش .

(جـ) جواز تعديل أحكامه الأخرى بإجراءات جامدة تتلخص فى :

- وجوب طلب الأغلبية المطلقة للمجلس تنقيح الدستور .

- أن يصدق الملك على قرار هذه الأغلبية .

ورغم هذه العيوب الت ىحواها هذا الدستور ، فقد ضاق الملك فؤاد والإستعمار الإنجليزى ، والطبقة الاقطاعية فى مصر بالمد الشعبى

الجارف الذى استاء من بعض مااحتواه الدستور فى حقوق شعبية قليلة أدت إلى نوع من التطلع إلى مزيد من الديمقراطية .

فقامت وزارة إسماعيل صدقى بإلغاء دستور ١٩٢٣ وأصدرت دستورا رجعيا فى عام ١٩٣٠ ، وعلى أثر صدور هذا الدستور ثار الشعب المصرى حتى تم إعادة دستور ١٩٢٣ مرة أخرى.

غير أن الشعب المصرى أصبح يتجه إلى مزيد من الحرية والديمقراطية ، وكان طموحه قد تجاوز حدود دستور ١٩٢٣ فقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والغت دستور ١٩٢٣ وأصدرت فى ١٦ يناير ١٩٥٦ دستورا جديدا ، وقد تضمن هذا الدستور عدة مبادئ أساسية من أهمها :

١- القضاء على الإستعمار وأعوانه .

٢- القضاء على الإقطاع .

٣- القضاء على الإحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .

٤- إقامة جيش وطنى قوى .

٥- إقامة عدالة اجتماعية .

٦- إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وقد أبرز هذا الدستور سلطة الشعب وعروبة مصر وعقيدتها الإسلامية ومسئوليتها حيال الأمة العربية ، والمجتمع الإنسانى

والحضارة والتقدم والقيم الخلقية والإجتماعية والسياسية التى تنادى بها ثقافة العصر .

وحينما قامت الوحدة بين مصر وسوريا فى فبراير ١٩٥٨ . وصدر دستور جديد يحل محل دستورى كل من مصر وسوريا ، ولما وقع الإنفصال فى سبتمبر ١٩٦١ انفردت مصر بإعلان دستور مؤقت ١٩٦٤ ثم صدر الدستور الدائم المعمول به فى الوقت الحاضر فى سبتمبر ١٩٧١ وأضيفت إلى هذا الدستور بعض المواد فيما بعد ابتداء من عام ١٩٧٧ وقد تميز دستور ١٩٧١ بعدد من البنود كان أهمها :

١- تقرير النظام الجمهورى الرئاسى .

٢- تأكيد أن الشعب المصرى هو جزء من الأمة العربية يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة وأن الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية . ومبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى للتشريع.

٣- أشار الدستور إلى أن النظام السياسى المصرى ديمقراطى اشتراكى يحقق الحرية ويمنع الإستغلال، ومن ثم فقد نص الدستور على أن تخضع الملكية لرقابة الشعب وتحميها الدولة .

وهى ثلاثة أنواع : الملكية العامة والتعاونية والخاصة .

٤- أكد الدستور سيادة القانون ، وبذلك جعل جميع السلطات بما فيها السلطة التنفيذية تحت القانون لافوقه فنص فى المادة ٦٤ على أن سيادة القانون أساس الحكم فى الدولة .

وفى المادة ٦٥ أن استقلال القضاء وحصانته ضمانتان أساسيان لحماية الحقوق والحريات .

وفى المادة ٦٨ : التقاضى حق مصون ومكفول للناس كافة ولكل مواطن حق الإلتجاء إلى قاضيه الطبيعى ، وتكفل الدولة تقريب جهات القضاء من المتقاضين وسرعة الفصل فى القضايا ويحظر النص فى القوانين على تحصين أى عمل أو قرار إدارى من رقابة القضاء .

٥- قرر الدستور فى المادة ٤٨ ، حرية الصحافة والطباعة والنشر ووسائل الإعلام مكفولة ، والرقابة على الصحف محظورة ، وانذارها أو وقفها ، أو الغاؤها بالطريق الإدارى محظور . ويجوز استثناء فى حالة إعلان الطوارئ أو زمن الحرب أو بفرض على الصحف والمطبوعات ووسائل الإعلام رقابة محددة فى الأمور التى تتصل بالسلامة العامة أو أغراض الأمن القومى ؛ وذلك كله وفقا للقانون . وفى المجال الإجتماعى أكد دستور ١٩٧١ على عدد من النواحى الإجتماعية مايلى :

المادة ٧ : يقوم المجتمع على التضامن الإجتماعى .

المادة ٨ : تكفل الدولة تكافؤ الفرص لجميع المواطنين .

المادة ٩ :الأسرة اساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق الوطنية .

المادة ١٠ : تكفل الدولة حماية الأمومة والطفولة وترعى الناشئة والشباب .

المادة ١١ : كفل الدولة التوفيق بين واجبات المرأة نحو الأسرة وعملها في المجتمع ومساواتها بالرجل في ميادين الحياة والسياسية.

المادة ١٢ : يلتزم المجتمع برعاية الأخلاق وحمايتها . والتمكن للتقاليد المصرية والأصيلة ، وعليه مراعاة المستوى الرفيع للتربية الدينية .

المادة ١٣ : العمل حق وواجب وشرف تكفله الدولة . ويكون العاملون الممتازون محل تقدير الدولة والمجتمع ولايجوز فرض أى عمل جبرا على المواطنين إلا بمقتضى قانون أو لأداء خدمة عامة وبمقابل عادل .

المادة ١٤ : الوظائف العامة حق للمواطنين وتكليف القائمين بها لخدمة الشعب ، وتكفل الدولة حمايتهم ، وقيامهم بأداء واجبهم في رعاية مصالح الشعب ، ولايجوز فصلهم بغير الطريق التأديبى إلا فى الأحوال التى حددها القانون .

المادة ١٥ : للمحاربين القدماء والمصابين فى الحرب أو بسببها ولزوجات الشهداء وأبنائهم الأولوية فى فرص العمل وفقا للقانون .

المادة ١٦ : تكفل الدلة الخدمة الثقافية والإجتماعية والصحية وتعمل توجه خاص على توفيرها للقرية فى يسر وانتظام رفعا لمستواها .

المادة ١٧ : تكفل الدولة خدمات التأمين الإجتماعى والصحى ومعاشات العجز عن العمل والبطالة والشيخوخة للمواطنين جميعا وذلك وفقا للقانون .

الحريات والحقوق العامة
التى كفلها الدستور المصرى

فى بعض المواد الدستور الأخرى حرص الدستور على أمن وحرية وكرامة المواطن ، والتأكيد على حرية الملكية ، وذلك كما يلى :

المادة ٤٢ : كل مواطن يقبض عليه أو يحبس أو تقيد حريته بأى قيد تجب معاملته بما يحفظ عليه كرامة الإنسان ، ولايجوز إيذاءه بدنيا أو معنويا ، كما لايجوز حجزه أو حبسه فى غير الأماكن الخاضعة للقوانين الصادرة لتنظيم السجون وكل قول يثبت أنه صدر من مواطن تحت شئ مما تقدم أو تهديد بشئ منه يهدر ولايعول عليه .

المادة ٥٧ : كل اعتداء على الحرية الشخصية أو حرمة الحياة الخاصة للمواطنين وغيرها من الحقوق والحريات العامة التى يكفلها الدستور يجرم .

وبالنسبة للملكية الخاصة فقد اوردت المادة ٣٤ من الدستور مايلى :

الملكية الخاصة مصونة ولايجوز فرض الحراسة عليها إلا فى الأحوال المبينة فى القانون وبحكم قضائى ، ولاتنزع الملكية إلا للمنفعة العامة ومقابل تعويض وفقا للقانون . وحق الإرث فيها مكفول.

المادة ٣٥ : لايجوز التأميم إلا لاعتبارات الصالح العام ومقابل تعويض .

المادة ٣٦ : المصادرة العامة للأموال محظورة ولاتجوز المصادرة الخاصة إلا بحكم قضائى وقد أكد دستور ١٩٧١ على الحريات الشخصية للمواطنين وذلك كما فى المواد التالية .

المادة ٤١ : الحرية الشخصية حق طبيعى وهى مصونة لاتمس .

المادة ٥٠ : لايجوز أن يحظر على أى مواطن الإقامة فى جبهة معينة، ولا أن يلزم بالاقامة فى مكان معين " إلا فى الأحوال المبينة فى القانون " .

المادة ٥١ : لايجوز أبعاد أى مواطن عن البلاد أو منعه من العودة إليها.

المادة ٤٥ : لحياة المواطنين الخاصة حرمة يحميها لقانون وللمراسلات البريدية والبرقية والمحادثات التليفونية وغيرها من وسائل الإتصال حرمة ، وسريتها مكفولة ، ولايجوز مصادرتها أو الإطلاع عليها ، أو رقابتها إلا بأمر قضائى مسبب ولمدة محددة وفقا الأحكام القانون .

المادة ٤٦ : تكفل الدولة حرية العقيدة ، وحرية ممارسة الشعائر الدينية.

المادة ٤٧ : حرية الراى مكفولة ، ولكل إنسان حرية التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير ، أو غير ذلك من وسائل التعبير فى حدود القانون ، والنقد الذاتى والنقد البناء ضمنان لسلامة البناء الوطنى .

ويقوم نظام الحكم فى مصر من خلال الجمع بين خصائص النظام الجمهورى الرئاسى والنظام الجمهورى البرلمانى ، حيث يأخذ من كل من النظاميين عددا من الخصائص ، فالنسبة للنظام الرياسى فهو يأخذ منه الخصائص التالية :

١- رئاسة رئيس الجمهورية لحزب الأغلبية فى نفس الوقت حيث يرأس رئيس الجمهورية فى مصر الحزب الوطنى الديمقراطى .

٢- يقوم رئيس الجمهورية بعقد المعاهدات ثم يبلغ مجلس الشعب للتصديق عليها فيما عدا معاهدات الصلح والتحالف والتجارة والملاحة ، وجميع المعاهدات التى تتصل بحقوق السيادة، أو التى تحمل الدولة نفقات غير واردة فى الميزانية فهى تتطلب موافقة مجلس الشعب عليها .

١- فى ظل هذا النظام يتمتع رئيس الجمهورية بسلطات تنفيذية واسعة حيث تنص المادة ٧٣ من الدستور على أن رئيس الدولة ، الذى يسهر على تأكيد سيادة الشعب وعلى احترام الدستور وسيادة القانون وحماية الوحدة الوطنية والمكاسب الإشتراكية ، ويرعى الحدود بين السلطات لضمان تأمين دورها فى العمل الوطنى ، ومن ثم فهو يعتبر حكما بين السلطات المختلفة .

- يقوم رئيس الجمهورية بتولى مهام السلطة التنفيذية وممارستها على الوجه الذى يحدده الدستور وهو الذى يعين نوابه ، ورئيس مجلس الوزراء ويعفيهم من مناصبهم المواد ١٣٩ ، ١٤١ ، وله حق دعوة مجلس الوزارء للانعقاد ورئاسة الجلسات التى يحضرها، وهو الذى يعين الموظفين المدنيين والعسكريين والممثلين السياسيين وفقا للقانون ، ويصدر اللوائح التنفيذية للقوانين ، ولوائح الضبط ، كما يصدر القرارات اللازمة لإنشاء تنظيم المرافق والمصالح العامة، وفى الحالات الضرورية التى

لاتحتمل التأخير أو التأجيل له أن يصدر ، فى غيبة مجلس الشعب، قرارات لها قوة القانون ، على أن تعرض على المجلس فيما بعد للنظر فيها .

٥- يكفل الدستور لرئيس الجمهورية حق إعلان حالة الطوارئ على الوجه المبين بالقانون ، على أن يعرض هذا الإعلان على مجلس الشعب خلال الخمسة عشر يوما التالية ، وله حق العفو عن العقوبة أو تخفيضها .

٦- تنص المادة ٧٤ من الدستور على انه من حق رئيس الجمهورية أن يستفتى الشعب فى المسائل الهامة التى تتصل بالمصالح العليا للبلاد، وذلك إذا قام خطر يهدد الوحدة الوطنية أو سلامة الوطن أن يعوق مؤسسات الدولة عن أداء دورها الدستورى أن يتخذ الإجراءات السريعة لمواجهة هذا الخطر ، ويوجه بيانا إلى الشعب، ويجرى الإستفتاء على ماأتخذ من إجراءات خلال سنتين يوما من اتخاذها ومن جهة أخرى فإن نظام الحكم فى مصر يأخذ من الانظمة البرلمانية عدد من الخصائص أهمها :

١- سيادة القانون .

٢- وجود مؤسسات سياسية نشطة (مجلس الوزراء - مجلس الشعب -مجلس الشورى - أحزاب سياسية)

٣- تشير المادة (١٢٧) من الدستور إلى الجمع بين النظامين البرلمانى والرئاسى من حيث العناصر التالية :

(أ) إن مسئولية الوزارة أمام المجلس مسئولية فردية .

(ب) ليس من حق المجلس سحب الثقة من الحكومة ككل .

(جـ) يمثل رئيس الجمهورية دور الحكم بين السلطتين التشريعية والتنفيذية .

٤- التوازن الدقيق بين السلطة التشريعية ممثلة فى مجلس الشعب والسلطة التنفيذية الممثلة فى الحكومة .

أهم المؤسسات السياسية والدستورية فى مصر

يختلف النظام السياسى الديمقراطى عن النظم الديكتاتورية ، بأنه نظام مؤسسى ، أى يعتمد فى قراراته السياسية على المؤسسات الدستورية التى يقوم عليها النظام ، وذلك على العكس من الأنظمة الديكتاتورية التى تقوم على حكم الفرد المطلق ، والذى يتركز فى يديه مسئولية صنع القرارات السياسية فى مختلف المجالات .

ويتميز النظام المؤسسى بأن الحاكم لايتحمل وحده عبء القرارات السياسية ومن ثم فإن السلطات لاتتركز فى يد الفرد الواحد المتمثل فى الحاكم ، ولكنها موزعة بين مختلف السلطات التى تحكم النظام السياسى

المؤسسى . كما يتميز النظام المؤسسى ايضا بخاصية عدم التداخل بين السلطات ، واستقلال كل سلطة عن السلطة الأخرى.

وبالنسبة لمصر فإن السلطات الدستوزية تمثل أربع سلطات هى كالآتى :

(أ) السلطة التشريعية .

(ب) السلطة التنفيذية .

(جـ) السلطة القضائية .

(د) سلطة الصحافة .

(أ) السلطة التشريعية .

وتضم هذه السلطة مؤسستين هامتين هما :

١- مجلس الشعب . ٢- مجلس الشورى .

١- مجلس الشعب .

وهو عبارة عن المؤسسة الدستورية أو الهيئة التشريعية التى تملك حق سن القوانين ومناقشتها ، وتعتمد فى صياغة القوانين على فقهاء القوانين فى أغلب الأحوال أو كلها وأنه من حق هذه المؤسسة إقرارا السياسة العامة للحكومة والخطط العامة للتنمية ، وكذلك إقرارا الميزانية العامة للبلاد .

ويرشح لعضوية مجلس الشعب من لهم الحق اصلا فى الإنتخاب ، ممن ينتمون إلى الأحزاب السياسية ، ويشترط فى المرشح أن يكون

مواطنا مصريا ، ولم تصدر فى حقه أحكام قضائيــة ، وأن يكون خاليـا من الأمراض التى تنتقص من أهليته .

وقد اتبع النظام السياسى فى مصر إبان الإنتخابات الأخيرة لمجلس الشعب فى عام ١٩٨٤ نظام القوائم الحزبية مع ضرورة التمثيل النسبى على الا يقل نصيب الحزب الذى يمثل فى مجلس الشـعب عن ٨٪ مـن جملة اصوات الناخبين على مستوى الجمهورية ، وذلك حتى يتمكن من التمثيل فى مجلس الشعب .

وتقوم طريقة الإنتخاب بالقائمة علـى أن يقيـد المرشـحون فـى قوائـم إنتخابية منفصلة ، كل قائمة تمثـل حزبـا سياسـيا ، وللنـاخب أن يعطـى صوتا واحدا للقائمة التى يرغب فى تمثيلها ، ثم تحسب عـدد الاصوات التى حصلت عليها كل قائمة .

وفى هذه الطريقة تقسم الدولة الى عـدد صغير مـن الدوائـر الكبيـرة الحجم ، ويمثل الدائرة فى هذه الحالة عدة نـواب ، ويشـير النـاخب إلـى القائمة بأسماء النواب الذين يريد إنتخابهم .

غير أنه فيما قبل انتخابات عام ١٩٨٤ اتبع نظام الإنتخاب الفردى ، وفى هذه الطريقة كانت الدولة تقسم إلى عـدد مـن الدوائـر يتسـاوى مـع عدد النواب الذين يتألف منهم المجلس ، فيصوت الناخب لمرشــح واحـد ويكون لكل دائرة نائب واحد .

وتنص مواد الدستور على بعض الضمانات لأعضاء المجلس لكى يبدون آراؤهم بحرية تامة وبدون أية قيود ، وذلك حتى يتمكنوا من إقامة الحوار البناء ، والنقد الذى يحقق الأهداف المجتمعية العامة، ومن ثم فإن للمجلس الحق فى مسائلة الوزراء ونواب رئيس الوزراء ويضع المجلس لائحة تنفيذية تحدد تنظيم العمل وتعمل على المحافظة على النظام العام داخل المجلس .

٢- مجلس الشورى :

وهو عبارة عن مؤسسة دستورية ثانية بالإضافة إلى مجلس الشعب كمؤسسة تشريعية أولى . وهناك بعض الدول تأخذ بنظام المجلس الواحد، وأخرى تأخذ بنظام المجلسين ، وفى نظام المجلس الواحد يتولى السطلة التشريعية مجلس واحد وأما فى نظام المجلسين فإنه يتولى السلطة التشريعية مجلسان ، ونشأ هذا النظام نتيجة التطور التاريخى لنظم الحكم العالمية حيث ظهر على التعاقب مجلس اللوردات، ومجلس العموم ثم أخذت أكثر الدول بهذا النظام لما فيه من مزايا تفوق مزايا النظام الفردى .

ومن أهم مبررات نظام المجلسين مايلى :

١- تلافى الأخطاء فى التشريع ، فوجود مجلس آخر كفيل بتلافى ماعسى أن يقع فيه المجلس الأول من أخطاء .

٢- إمكان تمثيل مصالح الأقليات فى الدول الحديثة .

٣- إمكان الانتفاع بكفايات غير متوفرة بمجلس الشعب ، إما عن طريق التعيين وإما باشتراط كفايات خاصة .

٤- منع استئثار مجلس واحد بسلطة التشريع وتحقيق نوع من التوازن بين السلطات .

غير أن سلطة مجلس الشورى فى مصر لاتتجاوز سلطة ابداء الرأى فى مشروعات القوانين سواء منها مايتعلق بالدستور ، أو مايتعلق بالسياسة العامة للدولة سواء فى المجالات الداخلية أو الخارجية.

ومعنى هذا ان السلطة التشريعية لاتزال تتركز فى أيدى هيئة تشريعية واحدة هى مجلس الشعب، ويمثل مجلس الشورى رأيا استشاريا فقط بالنسبة لمشروعات القوانين المختلفة .

وبالنسبة لمجلس الشورى فى مصر فإن رئيس مجلس الشورى يمثل رئيسا للمجلس الأعلى للصحافة فى نفس الوقت .

هذا فضلا عن أن السلطة التشريعية المتمثلة فى مجلس الشعب لاتزال هى السلطة الوحيدة التى تمتع بحق مساءلة الحكومة فى السياسات العامة للبلاد .

(ب) السلطة التنفيذية .

وهى عبارة عن السلطة التى تقوم بتنفيذ إرادة الشعب التى تعبر عنها القوانين الصادرة عن السطلة التشريعية ومن ثم يكون موظفو الدولة ابتداء من رئيس الجمهورية إلى رجل الشرطة باستثناء القضاة

هم الهيئة التنفيذية ، ولكن احيانا يطلق اسم " السلطة التنفيذية " على رئيس الجهورية ورئيس الوزراء فقط ، وأما باقى الموظفين فيسمونهم الموظفين ، أو الإداريين ، أو رجال الإدارة . أو الهيئة الإدارية . ويجب التفرقة بين السلطة التنفيذة الإسمية . والسلطة التنفيذية الفعلية ، فالملك فى الحكومات الملكية المقيدة ، ورئيس الجمهورية فى الجمهوريات البرلمانية ، كلاهما رئيس السلطة التنفيذية ، وكلاهما سلطته التنفيذية اسمية ، أما السلطة الفعلية فى كل منهما فيمارسها رئيس الوزراء بمعاونة الوزراء .

وفى مصر يقوم مجلس الوزراء بالإشتراك مع رئيس الجمهورية فى ضع السياسات العامة للدولة، ومتاعبة تنفيذها والإشراف على هذا التنفيذ كما يقوم مجلس الوزراء والوزراء بإعداد القرارات ومشروعات القوانين التى تعرض على السلطة التشريعية بغرض الموافقة عليها ، هذا فضلا عن السياسات الأخرى الخاصة بالموازنة وخطط التنمية المختلفة التى يتم إعدادها من قبل الوزراء ومجلس الوزراء ويتم عرضها على السلطة التشريعية لأخذ الموافقة عليها .

(جـ) السلطة القضائية .

ويقصد بها السلطة التى تفسر القانون ، وتطبقه على الوقائع المعينة التى تعرض أمامها ، فالقاضى مهمته أن يفسر القانون ويطبقه ، ولكن القوانين لايمكن أن تلم بجميع المشاكل التى تعرض على القائت ، وفى

هذه الحالة يترك للقاضى حرية اختيار القانون الذى يتلاءم مع الحالة المعروضة عليه ، فإن لم يجد فإن الأمر متروك لإدراكه واجتهاده ومن هنا تنشأ السوابق التى يعتمد عليها القضاة فيما بعد فى إصدار أحكامهم، فالقاضى فى هذه الحالة يعتبر مشرعا ، ومفسرا للقانون فى آن واحد .

ويتم تعيين القضاة عن طريق السلطة التنفيذية ، وينص الدستور المصرى على استقلال السلطة القضائية ، وذلك لضمان أن تصدر أحكام القضاة غير متأثرة بنزعات حزبية ، أو سلطات اخرى فوق سلطاتهم فتشوب أحكامهم عدم الموضوعية .

(د) سلطة الصحافة .

كفلت المادة ٤٨ من الدستور حرية الصحافة كما سبق الإشارة إلى ذلك فيما يتعلق بحرية الكتابة والنشر ، غير انه فى تعديل أخير تم إضافة الصحافة إلى السلطات الثلاثة الأخرى لتكون بمثابة سلطة رابعة، وذلك حتى يتمكن الصحفيون من أداء رسالتهم دون قصف للأقلام أو الحجر على حرية فكر فى الإطار العام الذى تواضع عليه المجتمع .

التنظيمات السياسية فى مصر

أخذت مصر بنظام الأحزاب السياسية منذ عام ١٩٧٧ حينما صدر القانون رقم ٤٠ بشأن تعدد الأحزاب السياسية كتنظيمات سياسية

للمشاركة فى الحياة السياسية للبلاد وذلك بعد ما مرت البلاد بعدد من التنظيمات السياسية الأخرى منذ عام ١٩٥٢ ، وكانت كلها تخضع لنظام التنظيم الأوحد أو التنظيم الواحد مثل ، هيئة التحرير، والإتحاد القومى والإتحاد الإشتراكى .

والحزب السياسى هو وحدة معقدة فهو منظمة إجتماعية ، لها جهاز إدارى كامل وهيئة موظفية دائمن ، كما أن لها انصارا عديدين من بين أفراد الشعب ينتمون إلى بيئات وفئات ثقافية مختلفة وقد تكون لهم عادات مختلفة ، وبالرغم من هذا التباين بين أفراد الشعب فإن هناك دافعا إلى الإنتماء إلى الأحزاب لتكوين مبادئ يمكن الاستناد اليها فى الحكم والتشريع .

والحزب السياسى ايضا هو أداة يستعملها الشعب للتعبير عن امانيه ويستطيع من خلالها أن يحقق هذه الأمانى وهو فى الوقت نفسه يحقق مصلحة خاصة . إذ ان مجموعة الافراد التى تركز أمانيها فى حزب ما، إنما ترمى إلى تحقيق وزن أكبر بهذه الأمانى . وتأمل تنفيذها عن طريق العمل المشترك الذى يتيحه جهاز الحزب .

وتقوم الأحزاب السياسية بعدد من الوظائف والمهام من أهمها مايلى:

(أ) يعمل الحزب على تقريب وجهات النظر بين الأشخاص والأفراد وكذلك الجماعات كما يعمل على التهوين من شأن

الإختلافات أو المصلحية أو الطبقية ، مع إعلاء شان كل مايرمى إلى تنمية المصالح المشتركة ، ومن ثم فإن الحزب يعمل على تحقيق الوحدة القومية.

(ب) يعمل الحزب على تقوية روابط الهيئة الناخبة بالهيئة الحاكمة ، كما يعمل من جهة أخرى على تمكين الجماعات المختلفة من التعبير عن رغباتها ومعتقداتها بطريقة منظمة وفعالة .

(جـ) إذا كان الحزب خارج الحكم فإنه يقوم بمهمة الرقابة على اعمال الهيئة الحاكمة .

(د) يؤكد نظام الأحزاب على تمكين الشعب من فرص الإختيار بين السياسات المتباينة كما يساعد على إتاحة فرص الإختيار لنوابه وحكومته من بين مرشحين متنافسين من بين ابناء الشعب .

نظام الحكم المحلى

تعتبر الإدار المحلية اسلوبا من اساليب الإدارة الذى يتجه إلى توزيع الاختصاصات الإدارية فى الدولة توزيعا إقليميا ، ويمتد هذا التوزيع ابتداء من الحكومة المركزية وبين الهيئات المحلية المستقلة فى جميع الأقاليم .

وتباشر هذه الهيئات المحلية إختصاصاتها من خلال الحدود الإدارية المرسومة لها من قبل الحكومة المركزية ، وتتم هذه المباشرة غالبا تحت إشراف ورقابة الحكومة المركزية .

الأسباب التى أدت إلى الأخذ
بنظام الحكم المحلى

لايمكن التسليم بأن الأسباب التى أدت إلى الأخذ بنظام الحكم المحلى فى العالم واحدة تماما ، وذلك نظرا لأن الفلسفات التى تصدر عنها تلك الأنظمة تختلف باختلاف ايدلوجية تلك الشعوب وعقائدها الإجتماعية والإقتصادية ، ومن ثم فإن الأنطلاقة التى تصدر عنها تلك الأنظمة تتفاوت إلى حد كبير بين البلاد وبعضها البعض .

غير أنه بالرغم من وجود هذا التفاوت بين الفلسفات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية التى تنطلق منها الدول حين الرغبة فى الأخذ بنظام الحكم المحلى إلا ان هناك ثمة معايير عامة يمكن أن تكون اساسا للأسباب التى تدعو إلى الاخذ بنظام الحكم المحلى ومن اهم هذه المعايير والأسباب مايلى :

١- التأكيد على نسبية وتفاوت المصالح داخل الدولة الواحدة بحسب اختلاف وتفاوت الخصائص الإقليمية لكل إقليم على حدة ، ومن ثم فإنه يعد هذا التأكيد بمثابة اعتراف بان ثمة مصالح اقليمية قد تكون متميزة عن غيرها ومن ثم يلزم استقلالها لتحسين الخدمات التى يمكن أن تقدم لها فى الإطار القومى العام .

٢- الرغبة فى أن يقوم على رعاية هذه المصالح الإقليمية مجالس منتخبة من سكان الإقليم ، وذلك انطلاقا من أن مثل هذه المجالس

تكون أقدر على رؤية المصالح الإقليمية ببصيرة نافذة أكثر من غيرها ، وذلك بحكم الإنتماء الإقليمي الذى يؤدى إلى حسن تقدير الظروف والأوضاع الإقليمية

٣- استقلال هذه الادارات المحلية استقلالا لايساعد على حسن سير الأمور بالنسبة لتلك الوحدات المحلية المشمولة بالنظام ، ولايمنع هذا الاستقلال من وجود ثمة رقابة إشرافية من جانب السلطة المركزية على اختصاص تلك المحليات ، ولكن بشرط ألا تؤدى هذه السلطة الرقابية إلى التأثير فى هذا الإستقلال أو فقده .

وفى جمهورية مصر العربية بدأت فكرة نظام الحكم المحلى بتطبيق نظام الإدارة المحلية ، حيث بدأ تطبيق القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦٠ بنظام الإدارة المحلية ، وقد تقرر فى هذا القانون تقسيم الجمهورية إلى وحدات إدارية هى المحافظات والمدن والقرى ، ويكون لكل منها الشخصية المعنوية على أن يمثل المحافظة مجلس المحافظة ، والمدينة مجلس المدينة والقرى أو مجموع القرى المجاورة ، المجلس القروى([1]).

وفى سبتمبر ١٩٧١ صدر قرار رئيس الجمهورية بالقانون ٥٧ لسنة ١٩٧١ بشأن الحكم المحلى ، وقد أدخل القانون تعديلات جذرية

---

[1] - قانون الادارة المحلية : الجريدة الرسمية العدد ٧٦ ١٤/٤/١٩٦٠م المادة ١٦٢.

وأساسية على نظـام الإدارة المحلية ، ومن أهم ماشتمل عليه قانون الحكم المحلى مايلى :

(أ) إعتبار المحافظات والمدن والقرى هى الوحدات الأساسية ويتم إنشاؤها والغاؤها من رئيس الجمهورية .

(ب) يحدد نطـاق المحافظـة بقرار من رئيس الجمهورية ، ويحدد نطاق المدينة بقرار من رئيس مجلس الوزراء ، بعد موافقة المجلس الشعبى بالمحافظة ، أما نطاق القرية فإنه يحدد بقرار من المحافظة بع موافقة المجلس الشعبى بالمحافظة .

(جـ) أن تقوم التشكيلات المحلية على اساس وجود مجلسين فى كل محافظة هما :

١- المجلس الشعبى .

٢- المجلس التنفيذى ٣١.

ثم صدر القانون قم ٥٢ لسنة ١٩٧٥ بشأن الحكم المحلى أيضا وتضمن بعض الأحكام المتعلقة بتشكيل المجالس المحلية واختصاصاتها وقد نصت هذه الأحكام على ضرورة أن يكون لكل وحدة من وحدات الحكم المحلى ، مجلس محلى من أعضاء منتخبين انتخابا مباشرا ، وأن يكون نصف عد الأعضاء على الأقل من العمال والفلاحين .

وفى عام ١٩٧٩ صدر قرار آخر بتعديل بعض احكام قانون الحكم المحلى خول بمقتضاه لوحدات الحكم المحلى إنشاء وإدارة جميع المرافق الداخلة فى نطاقها ، وتولى المحافظة جميع السلطات التنفيذية المقررة للوزارة فى القوانين واللوائح بوصفها سلطات أصلية للمحافظين ([1]) .

وتنص المادة رقم (٢) وهى معدلة بالقانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٨١ على ان تتولى وحدات الحكم المحلى فى حدود السياسة العامة والخطة العامة للدولة إنشاء وإدارة جميع المرافق العامة الواقعة فى دائرتها كما تتولى هذه الوحدات كل فى نطاق اختصاصها جميع الإختصاصات التى تتولاها الوزارات بمقتضى القوانين واللوائح المعمول بها ، وذلك فيما عدا المرافق القومية أو ذات الطبيعة الخاصة التى يصدر بها قرار من رئيس الجمهورية .

كما تنص المادة رقم (٣) وهى ايضا معدلة بالقانون قم ٥٠ لسنة ١٩٨١ على ان يكون لكل وحدة من وحدات الحكم الحلى مجلس شعبى يشكل من أعضاء منتخبين انتخابا مباشرا وفقا لأحكام هذا القانون ، ويكون نصف عدد الأعضاء على الأقل من العمال والفلاحين ، وذلك

---

[1] - قرار رئيس الجمهورية رقم ٥ لسنة ١٩٧٩ بتعديل بعض أحكام اللائحة التنفيذية لقانون الحكم المحلى ، جمهورية مصر العربية

طبقا لتعريف العامل والفلاح المعمول به بالنسبة لأعضاء مجلس الشعب ويشترط ان يكون من بين اعضاء المجلس عنصر من النساء .

اختصاصات المجالس الشعبية المحلية للمحافظات

وفى المادة رقم (١٢) المعدلة لنفس القانون السابق تتعدد اختصاصات المجلس الشعبى للمحافظة فى حدود السياسة العامة للدولة بأن يتولى هذا المجلس الرقابة على مختلفة الأعمال والمرافق، كما يتولى الإشراف على تنفيذ الأعمال الخاصة بالتنمية المحلية ورعايتها ، ويختص فى إطار الخطة العامة والموازنة المعتمدة وبمراعاة القوانين واللوائح بما يأتى :

١- إقرار مشروعات خطط التنمية الإقتصادية والإجتماعية ومشروع الموازنة السنوية للمحافظة. ومتابعة تنفيذها والموافقة على مشروع الحساب الختامى .

٢- تحديد وإقرار خطة المشاركة الشعبية بالجهود والإمكانيات الذاتية للمعاونة فى المشروعات المحلية.

٣- الموافقة على المشروعات العامة بما يفى بمتطلبات الإسكان والتشييد ، واقتراح مشروعات التخطيط العمرانى والتعمير .

٤- الموافقة على إنشاء المرافق التى تعود بالنفع العام على المحافظة .

٥- إقرارا انشاء المشروعات الإنتاجية المحلية ، وعلى الأخص المشروعات المتعلقة بالأمن الغذائى .

٦- إقتراح فرض الضرائب ذات الطابع المحلى .

٧- فرض الرسوم ذات الطابع المحلى ، وفقا لأحكام القانون أو تعديلـه أو تقصير أجل سريانها أو الإعفاء نها أو الغاؤها بعد موافقة مجلس الوزراء .

٨- دراسة وإعداد الخطط والبرامج الخاصة بمحو الأمية وتنظيم الأسرة فى نطاق المحافظة وتوفير الإحتياجات اللازمة لذلك ومتابعة تنفيذها .

٩- إصدار التوصيات فى المقترحات والخطط المتعلقة بصيانة النظام والامن المحلى .

١٠- إقرار القواعد العامة لنظام تعامل أجهزة المحافظة مع الجماهير فى كافة المجالات .

١١- إقتراح انشاء مناطق حرة وشركات استثمار مشتركة مع رأس مال عربى أو أجنبى وكذلك القيام بمشروعات مشتركة مع المحافظات الأخرى أو مع الوحدات المحلية أو الأشخاص الإعتبارية الأخرى بعد موافقة جهات التخطيط المختصة .

١٢- مباشرة الإختصاصات المحلية فى نطاق المحافظة والتى لاتتمكن هذه المجالس من القيام بها.

١٣- الموافقة على تمثيل المجلس فى المؤتمرات الداخلية والإشتراك فى الندوات والمناقشات والدراسات التى تجريها السلطات المركزية([1]).

وأما فيما يتعلق باختصاصات المجلس الشعبى بالنسبة للمجالس الشعبية المحلية الأخرى فى نطاق المحافظة فإن المادة ١٣ من نفس القانون تنص على القواعد التالية بالنسبة لهذه الإختصاصات .

(أ) الاشراف والرقابة على أعمال ونشاط هذه المجالس .

(ب) التصديق أو الإعتراض على القرارات التى تصدر من هذه المجالس فى الحدود التى تقررها اللائحة التنفيذية .

(جـ) الموافقة على اقتراحات المجالس بإنشاء و إلغاء الوحدات المحلية فى نطاق المحافظة أو تغيير اسمائها .

تكوين المجالس الشعبية المحلية

عضوية المجالس الشعبية المحلية :

تشير المادة ٧٥ المضافة بالقانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٨١ إلى أن ثمة شروط لعضوية المجالس الشعبية المحلية لعل أهمها يلى :

---

[1] - قانون الحكم المحلى - الباب الأول - التنظيمات الأساسية للحكم المحلى - القرارات الكبرى لثورة ٢٣ يوليو ص ١٩٥ - الجزء الأول - قرارات سياسية - جمهورية مصر العربية ، وزارة الاعلام - الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٨٥ . ص ٢٥٢.

١- أن يكون متمتعا بجنسية جمهورية مصر العربية .

٢- أن يكون بالغا من العمر ٣٥ سنة ميلادية كاملة على الأقل يوم الإنتخاب .

٣- أن يكون مقيدا فى جداول الإنتخابات بالوحدة المحلية التى يرشح نفسه فى دائرتها وله محل إقامة فى نطاقها .

٤- أن يجيد القراءة والكتابة .

٥- أن يكون قد أدى الخدمة العسكرية الإلزامية أو أعفى من أدائها طبقا للقانون .

المجالس الشعبية المحلية للمراكز

يتولى المجلس الشعبى المحلى للمركز فى نطاق السياسة العامة للمحافظة الإشراف والرقابة على أعمال المجالس الشعبية المحلية للمدن والقرى الواقعة فى نطاق المركز ، كما يتولى الرقابة على مختلف المرافق ذات الطابع المحلى التى تضم أكثر من وحدة محلية فى نطاق المركز ، ويختص فى حدود القوانين بما يأتى :

١- اقرار مشروع الخطة ومشروع الموازنة السنوية للمركز ومتابعة تنفيذها وإقرار مشروع الحساب الختامى .

٢- تحديد وإقرار خطة المشاركة الشعبية بالجهود والإمكانيات الذاتية على مستوى المركز فى المشروعات المحلية وتاعبة تنفيذها .

٣- اقتراح انشاء مختلف المرافق التى تعود بالنفع العام على المركز .

٤- تحديد وإقرارا القواعد العامة لإدارة استخدام ممتلكات المركز والتصرف فيها .

٥- الموافقة على القواعد اللازمة لتنظيم المرافق العامة المحلية للمركز ورفع كفاءة العمل به .

٦- اقتراح خطط رفع الكفاية الإنتاجية .

الأقاليم الإقتصادية و هيئات التخطيط الأقليمى

تنص المادة السابعة من نفس القانون السابق على تقسيم جمهورية مصر العربية إلى أقاليم اقتصادية يضم كل منها محافظة أو أكثر ويكون كل أقليم عاصمة ، وذلك على النحو الذى يصدر به قرار من رئيس الجمهورية .

وفى المادة الثامنة من نفس القانون يشار إلى أن ينشأ بكل أقليم اقتصادى مكتبا للتخطيط الإقليمى ، تشكل برئاسة محافظ عاصمة الإقليم، وعضوية كل من :

١- محافظى المحافظات المكونة للإقليم .

٢- رؤساء المجالس الشعبية المحلية للمحافظات المكونة للإقليم .

٣- رئيس هيئة .

تمثل الوزارات ، ويصدر قرارا من الوزير .

وتختص هذه اللجنة بما يأتى :

١- التنسيق بين خطط المحافظات وإقرارا الأوامر التـى تقترحهـا هيئـة التخطيط الإقليميـى ، والتـى تتخـذ اساسـا فـى وضـع بدائـل الخطـة الإقليم ، وذلك على ضوء الموارد المتاحة محليا ومركزيا.

٢- النظر فى التقارير الدورية لمتابعة تنفيذ الخطة ، ودراسة التعديلات التى تقترحها هيئة التخطيط الإقليمى فى الخطة وفقا للظروف التـى تواجـه تنفيذهـا ، ويعرض مـاتصدر اللجنـة مـن التوصيـات علـى المجلس الأعلى للحكم المحلى .

التنظيمات الدولية العالمية

عقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى ظهرت نزعة لدى عديد من الدول الى الإتجاه نحو الإصلاح ، وظهرت كتابات المفكرين التى تعالت بالدعوة إلى السلام . وترددت هذه الدعوة فى أنحاء العالم لإنشاء منظمة دولية عالمية باسم " عصبة الأمم "

عصبة الأمم

تعالت النداءات بعد وأثناء الحرب العالمية الاولى من أجل انشاء منظمة دولية جديدة تعمل على حفظ السلام العالمى ، غير أن الدول اختلفت حول طبيعة المنظمة الجديدة . وتقدمت عديد من الدول بمشروعات عديدة ، وحاولت بعض الدول منح هذه المنظمة الجديدة إختصاصات أمنية واسعة .

واجتمعت لجنة مشكلة من مندوبين عن كل دولة من الدول الخمس . والولايات المتحدة . وفرنسا . وانجلترا . وايطاليا . واليابان ، ومندوب واحد عن الدول العشر المتحالفة ،و انتهت أعمال اللجنة فى ١٣ فبراير ١٩١٩ حيث وضعت مشروعا نهائياة لعصبة الأمم المتحدة ، ومن أهم المبادئ التى تضمنها المشروع مايلى :

١- العمل على نشر السلام والأمن بين دول العالم وايقاف الحروب مايترتب عليها من نزيف الدول والشعوب وتقبل الدول التزامات معينة تتعهد فيها بذلك .

٢- إقامة علاقات بين الدول اساسها التعاون الدولى على اساس القانون الدولى وقوامها العدالة والإحترام الدولى .

أم التنظيمات الأساسية لعصبة الأمم المتحدة

قامت عصبة الأمم المتحدة على اساس ثلاثة تنظيمات اساسية :

(أ) الجمعية العامة .

(ب) المجلس .

(جـ) الأمانة العامة .

(د) محكمة العدل الدولية .

(أ) تتكون الجمعية العامة لعصبة الأمم من مندوبين يمثلون جميع الدول الداخلة فى عصبة الأمم بلا استثناء ، وتقوم هذه العصبة بعدد من الإختصاصات أهمها .

١- القضاء على النزاع بين الدول بالطرق السلمية .

٢- انتخاب الإعضاء غير الدائمين فى مجلس العصبة وقبول الاعضاء الجدد .

٣- إقرارا الميزانية العامة لعصبة الأمم .

وتجتمع الجمعية العامة اجتماعا عاديا كل عام فى شهر سبتمبر .

(ب) المجلس :

ويختص المجلس بإعداد المشروعات التى تضمن الإستقلال السياسى للدول الأعضاء وفرض العقوبات على الدول المخالفة ، وقد تكون

المجلس فى بداية تكوينه من تسعة أعضاء ثم أصبح يضم خمسة عشرعضوا ، ويجتمع هذا المجلس مرة كل عام ولكن بالرغم من ذلك فمن الممكن أن يجتمع أكثر من مرة أثناء العام بناء على طلب الدول الأعضاء

(جـ) الأمانة العامة لعصبة الأمم :

الأمانة العامة لعصبة الأمم المتحدة هى عبارة عن هيئة إدارية تمثل حلقة الوصل بين الجمعية العامة والمجلس فعن طريق الأمانة العامة يتم حفظ المعلومات والمستندات الخاصة بالعصبة . كما تقوم الأمانة العامة بتنظيم عملية جمع الحقائق والبيانات المطلوبة لكل من المجلس والجمعية العامة ، كما تقوم بتسجيل المعاهدات الدولية ونشرها .

(د) محكمة العدل الدولية :

وتختص بتقديم الفتوى القانونية والتشريعية لعصبة الأمم . وللدولة الحق فى أن تلجأ إليها فى المنازعات المختلفة أو لاتلجأ ، أى أن اللجوء إلى هذه المحكمة يخضع لرغبة الدول فى التقاضى أمامها ، وكان مقر هذه المحكمة فى مدينة لاهاى .

اخفاق عصبة الأمم المتحدة :

انتهى أمر عصبة الأمم بالإخفاق . وتم الغاؤها عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وفيما بين٨، ١٨ من إبريل ١٩٤٦ عقدت بعض الدول الأعضاء اجتماعا للجمعية العمومية ، وكان هذا الإجتماع هو الدورة

الحادية والعشرين والأخيرة للجمعية ، وكان الغرض منه اتخاذ القرارات اللازمة لتصفيتها وتسليم ممتلكاتها للهيئة الجديدة التى حلت محلها . وهى " هيئة الأمم المتحدة " .

هيئة الأمم المتحدة

على أثر إخفاق عصبة الأمم المتحدة .. وفى ٧ أكتوبر من عام ١٩٤٤ تم الإتفاق بين الدول على بعض المبادئ لإقامة تنظيم دولى جديد حيث كانت نهاية المؤتمر الذى عقد فى إحدى ضواحى واشنطن ، وكان من اهم المبادئ التى اتفق عليها هذا المؤتمر مايلى :

١- قيام تنظيم دولى جديد يعرف بأسم " الأمم المتحدة " يكون من اهدافه : حفظ السلام والأمن الدول ، وتحقيق التعاون الدولى ، ويعمل على تحقيق هذه الاهداف وفق المبادئ الآتية :

(أ) المساواة بين الدول .

(ب) حسن النية فى تنفيذ الإلتزامات السلمية .

(جـ) فض المنازعات الدولية بالطرق السلمية .

(د) عدم استعمال القوة فى العلاقات الدولية .

(هـ) الإمتناع عن مساعدة أية دولة يتخذ أزاءها عمل من أعمال القمع .

التنظيمات الأساسية لهيئة الأمم المتحدة

الأمم المتحدة تشتمل علىستة فروع أساسية هى الجمعية العامة ، ومجلس الأمن ، والمجلس الإقتصادى والإجتماعى ، ومجلس الوصاية والأمانة العامة ، ومحكمة العدل الدولية .

الجمعية العامة للأمم المتحدة :

تضم الجمعية العامة للأمم المتحدة مندوبين عن جميع الدول الأعضاء المشتركين فى الهيئة ، ويقوم مبدأ العضوية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة على المساواة بين الدول الأعضاء ، وتعقد الجمعية العامة للأم المتحدة مرة كل عام ، وقد تنعقد أكثر من مزة فى الظروف الطارئة.

ويتبع الجمعية العامة للأمم المتحدة بعض الفروع الأخرى مثل قوة الطوارئ الدولية .. وتصدر قرارت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين المشتركين فى التصويت .

مجلس الأمن :

ويعتبر هيئة دائمة ، يضمن مجلس الأمن خمسة مقاعد دائمة ، كما يضم عشرة مقاعد دائمة يشغلها أعضاء الأمم المتحدة يطريق الإنتخاب من قبل الجمعية العامة لمدة سنتين قابلة للتجديد ، ويعمل مجلس الأمن على ضبط السلام الدولى ، وذلك باستخدام عدة أساليب منها التسوية

السلمية ، وكذلك التدخل العسكرى ومنع المعونات الإقتصادية وقطع العلاقات الإقتصادية .

المجلس الإقتصادي والإجتماعي :

ويتولى هذا المجلس مهمة الإشراف على التعاون الإقتصادى والإجتماعى من الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة .

ويضم المجلس الإقتصاد والإجتماعى لهيئة الأمم المتحدة عدة لجان منها اللجان الإقتصادية ولجان تنظيم المؤتمرات ولجان التشاور مع الهيئات الدولية غير الحكومية ، ولجان الخبرة وغيرها ويختص المجلس الإقتصادى بالقضايا الإجتماعية والاقتصادية ، ويعمل على تحقيق مستوى معيشة ملائم لأفراد المجتمع الدولى ، كما يسعى لايجاد حلول للقضايا الإقتصادية والإجتماعية الدولية والتى تواجه العالم .

مجلس الوصايا :

وكان قد أسس هذا المجلس للإشراف على الأقاليم التى لم تحصل على حكمها الذاتى ولاتزال موضوعة تحت الوصاية من قبل الامم المتحدة .

ولم يصبح لهذا المجلس من وجود بسبب استقلال كل الأقاليم التى كانت مشمولة بالوصاية قبل ذلك .

الأمانة العامة للأمم المتحدة :

تتكون الأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة من مجموعة من الموظفين الدوليين الذين يعملون تحت اشراف الأمين العام ومن اختصاصات الأمين العام أنه يشير على مجلس الامن ببعض القضايا التى تهدد الأمن والسلم الدوليين .

محكمة العدل الدولية :

تعتبر محكمة العدل الدولية هيئة قضائية تختص بالنظر فى قضايا النزاع الدولى التى قد تنشأ بين الدول ، وهى تتكون من قضاة منتخبين عن طريق الجمعية العامة ومجلس الأمن ويتم اختيارهم على اساس مؤهلاتهم وخصائصهم العلمية وكفاءتهم بغض النظر عن جنسياتهم . ولكل دولة من الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة حق اللجوء إلى محكمة العدل الدولية إذا كان هناك ثمة منازعات دولية حول بعض القضايا ، غير أن كثيراً من الدول اصبحت تلجأ إلى الأساليب الدبلوماسية لحل المنازعات الدولية بينها . وقلما تلجأ الدول إلى محكمة العدل الدولية من أجل القضاء فى بعض القضايا محل التنازع بين الدول .

الفصل الثامن

أ - القيم الاجتماعية:

١- تطور الاهتمام بدراسة القيم في الفكر الاجتماعى.

٢- أثر التنشئة الاجتماعية في تغيير السلم القيمى.

٣- تصنيف القيم.

ب- العادات:

١- العوامل المؤثرة في تكوين العادات.

٢- علاقة العادات بالنسق الثقافى في المجتمع.

جـ- التقاليـد.

د - العــرف.

هـ- اللغة كأحد عناصر التراث الثقافى.

(٢) القيم الاجتماعية

- تطور الفكر الإجتماعى الخاص بدراسة القيم .
- أثر التنشئة الاجتماعية فى تغيير السلم القيمى .
- نسبية القيم .
- تصنيف القيم .

تطور الاهتمام بدراسة القيم فى الفكر الاجتماعى

لقد حظيت دراسة القيم باهتمام الكثير من المفكرين ، وخاصة منذ القرن التاسع عشر ، ولكنها استخدمت بمعان مختلفة ، وفسرت تفسيرا مختلفا بحسب الطبيعة الخاصة بكل مفكر تناول دراستها وحاول فهمها .

ولعل أول من استخدم لفظ القيمة وهو باللغة الألمانية " Wert " الألمانى لوتز " Latze " وقد استخدمها بالمعنى الفلسفى وعمل على نشرها ، وكذلك اللاهوتى ريتشل " Ritshl " وعلماء الاقتصاد النمسويون بوجه خاص من أمثال مانجر " Manger " وفون وايزر " Von Wiser " وفون بوم بافرك " Von Bohom Baverk " وقد نتج عن انتشار فلسفة الفيلسوف الألمانى نيتشة " Nietzsche " أن ذاع استعمال كلمة " القيمة " بين جمهرة المثقفين . ومن ثم فقد نالت نظريات القيمة مكانتها فى ألمانيا منذ عام ١٩٠٠ وفى انجلترا وأمريكا حوالى ١٩١٠ . أما فى فرنسا فقد

ظل الأمر على العكس من ذلك بالرغم من البحوث المتفرقة التى نشرت بعد ذلك .

وفى أواخر عام ١٩١٢ بدأ عالم الاجتماع كولى " Cooley " سلسلة من المقالات جمعت أخيرا فى كتاب واحد ، واهتم فيها بأبراز أهمية القيم فى ميدان دراسة الظواهر الاجتماعية وتحليلها ، وخص بالذكر دورها فى النظم الاجتماعية . ومنذ هذا الوقت بدأ كل علم من العلوم الإجتماعية يهتم بدراسة القيم ، ويعترف بها كمعطيات اجتماعية Social Data .

وقد كان من نتيجة ذلك أن ترابطت هذه العلوم ترابطا كبيرا ، وظهر مايسمى بعلوم القيم ، واصبح من النظريات المرتبطة بها " نظرية القيمة Theory of Value " وكان الغرض الذى من أجله ظهرت نظرية القيمة هو علاج المشاكل المشتركة بين طائفة علوم القيمة ، تلك العلوم التى تتضمن علم الأخلاق وعلم الجمال والاقتصاد والسياسة والانثربولوجيا وعلم الاجتماع والتربية ونظرية المعرفة ، ومن المعروف أن التخصص كان قد فرق بين هذه العلوم تفرقة كبيرة وعزلها بعضها عن بعض . وتعد نظرية القيمة حركة فى الاتجاه المضاد لفرقة العلوم وانعزالها ،

فهى حركة الغرض منها استخلاص لب المشاكل التى تشترك فيها جميع هذه العلوم (١) .

ولايفوتنا فى هذا المجال أن نسجل ملاحظة ' جماعة كورنيل لدراسة القيم ' وهى ان مفهوم القيم اصبح نقطة تقابل مختلف العلوم الاجتماعية ، كما اصبح ايضا مفتاحا لمفهوم التكامل فى الدراسات الإنسانية ، فمفهوم القيم يعمل كقنطرة أو حلقة اتصال تربط كثيرا بين مختلف الدراسات المتخصصة بعضها ببعض ، فهو يربط دراسة علم النفس التجريبى عن الإدراك بدراسة تحليل الأيدلوجية السياسية ، كما يربط دراسات الميزانية فى الاقتصاد بالنظرية الجمالية وفلسفة اللغة ، وكذلك يربط أدب اللغة بثورات الشعوب .

تعريف القيم:

مفهوم القيمه من المفاهيم الجوهرية التى تكاد تمس جميع جوانب الحياة ، وقد تناوله كثيرمن المفكرين بالتعريف، وتنوعت واختلفت تعريفاتهم حيث ذهبت بعض التعريفات إلى تعريف القيمة بأنها عملية تقويم . ورأت تعريفات أخرى أن القيمه هى الإطار المرجعى أو المقياس العام المستهدف حينما نحكم على شئ ما ، كما يرى بعض المفكرين أن

---

١ - محمد عبد السميع عثمان : دور التربية فى مواجهة تغيرات القيم الاجتماعية المرتبطة بتنظيم الأسرة فى المجتمع الريفى . دراسة حالة ، جامعة الازهر المركز الدولى الاسلامى للدراسات والبحوث السكانية . القاهرة ١٣٩٩ - ١٩٧٩ . ص ٣٣.

القيمة هى عبارة عن تنظيم لبعض الأحكـام العقليـة ، وتناولتهـا تعريفـات اخرى باعتبار أنها عبارة عن عملية اختيار بين بديلين بنـاء علـى اعتقـاد مـا مـن جـانب القـائم بعمليـة الاختيـار ، إلـى غـير ذلـك مـن الآراء .وسنعرض لأهم هذه التعريفات .

فلقد عرفها الدكتور نجيب اسكندر بأنها الصفـة التـى يكتسبها شئ أو موضوع مافى سياق تفـاعل الإنسـان مـع هـذا الشـئ ، ويمعنـى انـه لفظ يطلق ليدل على عملية التقويم يقوم بها الإنسان تنتهى بإصدار حكم علـى شئ ما أو موضوع ما أو موقف ما . تبدأ هذه العلمية عادة حينما يسـتثار الشك حول الشئ عن إحدا ث الاستمتاع ، نتيجة وصولنـا إلـى حالـة مـن التشبع منه ، أو ظهور موضوع آخر ينافسه فى الاستحواذ على اهتمامنا.

وفى بحث الدكتور محمد ابراهيم كاظم بعنوان القيم السائدة بين الشـباب من معلمى المرحلة الابتدائية قدم تعريفا للقيمة مؤداه أن القيمـه هـى كـل صفة ذات أهمية لاعتبارات نفسية أو اجتماعيـة أو اخلاقيـة أو جماليـة ، وتتسم بسمة الجماعية فى الاستخدام . والقيم بصفـة عامـة هـى موجهـات السلوك أو العمل ، ومعنى ذلك ان مجموعة القيم التى يدين بهـا شـخص مـن الأشـخاص هـى التـى تحركـه وتدفعـه إلـى السـلوك بطريقـة خاصـة ويتخذها مرجعا فى الحكم على سولكه بانه مرغوب فيه أو مرغوب عنـه ، ولاشك أن أثر ذلك يعود على المجتمع خيرا أو شرا طبقا لنمط لسـلوك وكيفيته والمرجع القيمى لـه ، إذا فالقيمـة فـى المجتمـع هـى مرجـع حكم

أفراده على أنماط سلوكهم ، وهي فـي حد ذاتها هدف لهم يسعون إلى تحقيقه فى انفسهم ، هم ومن يلوذ بهم ويهمهم أمرهم ، ثم هى ايضا باعث على العمل فى نطاقها ودافع من دافع السلوك فى اتجاهها ، إذا قبلها لافرد وتبناها واعتز بها ، بل هى ايضا التى تحد له اهدافه فى ميادين كثيرة ، وتدله على المعوقات المؤثرة أو الأشياء الساعدة على تحقيق هذه الأهداف[1] .

كما قدم الدكتور عطية هنا ، تعريفا للقيمه فى بحث له بعنوان " القيم " دراسة تجريبية مقارنة "، ويقرر فى هذا التعريف ان القيم هى عبارة عن تنظيمات معقدة لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الاشخاص أو الأشياء أو المعانى ، سواء أكان التفضيل الناشئ عن هذه التقديرات صريحا أم ضمنيا ، وإن من الممكن أن تتصور هذه التقديرات على اساس أنها امتداد يبدأ بالتقبل ويمر بالتوقف وينتهى بالرفض .

كما عرفها الدكتور عاطف غيث على أنها عملية تفضيل . وفى هذا التعريف يقرر أن القيم هى عبارة عن الصفات الشخصية التى يفضلها أو يرغب فيها الناس فى ثقافة معينة ([2]) .

---

[1] - محمد ابراهيم كاظم : القيم السائدة بين الشباب من معلمى المرحلة الابتدائية فى جمهورية مصر العربية ، ١٩٧٠ ص ٢٣.

[2] - عاطف غيث - علم الاجتماع - دار المعارف بمصر ١٩٦٣ ص ٢٥٧.

وتعرض لتعريف آخر ، وهو يجمع الكثير بين الخصائص القيم ، وهذا التعريف وارد فى قاموس علم الإجتماع ، ومؤداه أن القيمه هى الاعتقاد بأن شيئا ما ذا قدره على اشباع رغبة انسانية ، وهى صفة الشئ التى تجعله ذا أهميه لفرد أو لجماعة . والقيمه على وجه التحديد حقيقة سيكلوجية وليست قابلة للقياس بأية وسيلة من وسائل القياس التى توصل إليها العلماء حتى الآن ، ولابد من تمييز القيمه تمييزا دقيقا عن المنفعة، لأن حقيقتها تكمن فى العقل البشرى لا فى الشئ الخارجى نفسه. والقيمه بالتحديد مسألة اعتقاد فى الشئ ، فالشئ ذو المنفعة الزائفة تكون له نفس القيمة كما لو كان حقيقيا إلى أن يكتشف الخداع ([1]) .

كما أورد لنا الدكتور الساعاتى تعريفا للقيمه فى بحث له بعنوان : " تعاطى الحشيش كمشكلة اجتماعية " وفى هذا التعريف يقرر بأن القيم هى الأفكار الاعتقادية بفائدة كل شئ فى المجتمع ، وقد تكون الفائدة صحة جسمية أو توقدا فى الذكاء أو نشوة و لذة أو بسطة فى الرزق أو حسن السمعة أو غير ذلك من المنافع الشخصية ([2]) .

ومن التعاريف التى عرفت القيمه على انها تعبير عما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه ، وتعريف للدكتور إبراهيم كاظم ، وهذا التعريف

1- Fair child & Others Dictionary of Sociology . P. 931.

٢ - حسن الساعاتى : تعاطى الحشيش كمشكلة اجتماعية ، أعمال الحلقة الثانية . الجمهورية العربية المتحدة . يناير ١٩٦٣ .ص١٩

ارد فى بحث له بعنوان " تطورات فى قيم الطلبة : دراسة تربوية تبعية لقيم الطلاب فى خمس سنوات ' . ومؤدى هذا التعريف أن القيمه عبارة عن مقياس او مستوى أو معيار نستهدفه فى سلوكنا ونسلم بانه مرغوب فيه أو مرغوب عنه .

ومن الذين عرفوها على هذا النحو ايضًا عالم الاجتماع جيلن " Gillin " إذ يعرفها بأنها كل ماهو مرغوب فيه لدى ثقافة معينة أثناء تفاعل أعضائها .

كما تستخدم كلمة قيمة فى علم النفس الإجتماعى للدلالة على مايخدم كهدف عام مجموعة شاملة لعدد من الاتجاهات ، فمثلا رفاهية الطفل ، تكون عادة قيمه من قيم الأم ، أى أن اتجاهاتها نحو موضوعات متعددة كالتشريع الصحى وتحديد النسل والتعليم تنتظم كلها حول طفلها كقيمه مركزية. ويقتصر استخدام كلمة " القيم " فى علم النفس الإجتماعى على الأهداف التى تكون موضوعات لاتجاهات شاملة ، فالنظافة بوجه عام ، أو الراحة بوجه عام ، قد تكون قيما لبعض الأشخاص ، وقد تنتظم المدارس الفكرية أو فلسفات للحياة لكثير من الناس حول قيم تصبح بالنسبة لهم أكثر شمولا .

وأخيرا فإننا نرى على ضوء التعريفات السابقة للقيمه أن التعريف الآتى قد يكون تعريفا مناسبا للقيمه ، حيث نرى أن القيمه هى مسألة

اعتقاد فى شئ مانتيجة تفاعل الإنسان مع هذا الشئ أثناء خبرته العادية فى الحياة . ونحن هنا فى هذا التعريف نركز على فكرة الاعتقاد ، فهى على درجة كبيرة من الأهمية ، لأنه بدون الاعتقاد فى الشئ سواء بالسلب أو الإيجاب فإن هذا الشئ سوف يصبح غير ذى قيمه .

اختلاف الرأى حول تفسير القيم :

مفهوم القيم من المفاهيم التى يتوافر استخدامها لدى جميع الناس ، لأنها تتصل بكثير من شئون الحياة ، فهى من المفاهيم العامة : بمعنى انها لاتخص مجتمعا دون آخر . ولما كانت المجتمعات تختلف فيما بينها من حيث نظمها الاجتماعية والأوضاع السياسية والاقتصادية بها ، وتتفاوت درجة الاختلاف هذه من مجمتع لآخر ، فإنه تبعا لذلك لابد أن تتفاوت نظرة المفكرين إلى القيم ، ولعل هذا هو السبب الذى أدى إلى وجود اختلاف بينهم فى تفسيرها ، ففى الوقت الذى يرى فيه المفكر رأيا ، يرى غيره رأيا آخر قد يناقضه كل التناقض .

وقد حدا هذا بأحد علماء الاجتماع ويسمى " فون مرنج Van Miring " أن يقول بأن هناك فى ميدان البحوث فى القيم بوجه خاص ندرة فى النظريات المتناسقة وخصبه فىالنظريات المتضاربة (1) .

هذا ويمكننا ان نقسم الخلاف فى تفسير القيم إلى ثلاثة أقسام :

1- Merring . Otto . Van . Agrammar of Human Values P. 64. Op cit .

الرأى الأول ، ويذهب إلى أن القيم ذاتية وليست موضوعية ، ويرى صحاب هذا الرأى أن الشئ يكتسب قيمته من خلال عملية المقويم التى قوم بها الإنسان نفسه، وبغير هذا التقويم من جانب الإنسان لن يصبح لشئ المعين قيمة . هذا فضلا عن أن تتفاوت نظرة الإنسان إلى الأشياء جعل هناك تفاوتا للقيم المصاحبة لتلك الاشياء ، إذ أن عملية التقويم هذه لتى يقوم بها الإنسان إزاء الأشياء تختلف من انسان لآخر بحسب ثقافة كل إنسان ، فما يبدو حقا بالنسبة لإنسان ماقد لايكون كذلك بالنسبة لإنسان آخر وكذلك بالنسبة للشعوب ، فما يراه شعب من الشعوب على نه حقيقة قد لايراه شعب آخر كذلك ، وكذلك بالنسبة للعصور المختلفة إن القيمه تختلف باختلاف الزمان ، فما كان حقا فى عصر من العصور د لايصبح كذلك فى عصر آخر . فمثلا كان ينظر قديما فى المجتمع لمصرى أن مسألة خروج المرأة للتعليم والعمل على انه عمل شاذ خارج عن المألوف وأنه مسألة معيبة ، أى أن القيمة التى كانت مصاحبة لذلك كانت قيمة سلبية أو قيمه رفض ، أما الآن فقد اصبح لأمر على العكس من ذلك ، إذا أنه اصبح ينظر إلى شأن البنت التى لاتتعلم على أنه أمر غير طبيعى ، فقد اصبح من المألوف الآن ذهاب لمرأة إلى العمل والتعليم ، وقس على ذلك سائر القيم والمعايير ، فالقيم لحالية التى تصادف عند شعب من الشعوب قبولا قد لاتصادف نفس هذا لقبول لدى شعب آخر . وكذلك المعايير الخلقية فإنها تختلف بحسب

ثقافات الشعوب ونظرتهم إلى الحياة ودرجة تحضرهم ، ومعنى ذلك أن القيم ذاتية ، على العكس من سائر الأشياء الأخرى ، نظرا لأن الإنسان هو الذى يسبغ على الأشياء قيمها ويلونها كما يتراءى له .

وفى هذا المعنى يقول الدكتور الأهوانى إن القيم فى صميمها إنسانية ، على العكس من سائر الأشياء الأخرى الموجودة فى العالم ، فإن الموجودات الأخرى كونية ، أى تتعلق بالكون ، مستقلة عن الإنسان بعيدة عنه كهذه الشجرة أو هذا القلم ، ومن هنا جاء الاختلاف الكبير بين القيم وسائر الموجودات فى الطبيعة ، إذن خضع الأخيرة للتحديد ، ويمكن أن تقاس قياسا مضبوطا فيعرف طولها وعرضها ، وبذلك تصبح موضوعا للعلم ، أما القيم فلأنها إنسانية فإنها غير محددة ولايمكن أن تقاس كما تقاس الكائنات الطبيعية الأخرى ([1]) .

ولما كانت القيم إنسانية فإن الذى يجعل الشئ مقدسا ليس صفات ذاتية نابعة من الشئ نفسه ، وإنما المواقف والتصورات العقلية التى يتخذها الفرد حيال الشئ المقدس ، فالإيمان يعتمد على الاعتقاد النابع من القلب لا على الدلائل المادية . هذا الاعتقاد بأن الشئ مقدس هو الذى يضفى

---

[1] - أحمد فؤاد الأهوانى : القيم الروحية فى الاسلام - القاهرة . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - وزارة الأوقاف ١٩٦٢. ص ١١١.

على الشئ المحسوس صفة القداسة ، وبـدون هذا الاعتقاد يصبح الشئ المقدس أمرا لايختلف عن مثله من الأمور العادية ([1]).

كما يؤيد فكرة الاعتقاد هذه عالم الاجتماع " إميل دوركايم " إذ يقول إن هناك أمثلة كثيرة تبين لنا أنه ليس هناك أية علاقة على الإطلاق بين خصائص الشئ الكامنة فيه ، وبين القيمه التى تنسب إليه، فـالمعبود مثلا قد يكون مجرد قدعـة حجر أو قطعة حشب لاتضر ولاتنفع ، أى انها اشياء لاقيمـه لها فى ذاتها ، ومع ذلك يشعر القوم نحوها بـالتقديس والرهبة والخوف ، ولم خل حقبة فى تاريخ الإنسـانية من ظاهرة عبادة اشياء عادية أو تافهة أو وضيعة ، فكم قدس الإنسان من حيوانات لاتضر ولاتنفع وليس لها أية فـائدة او جاذبيـة أو جمـال ، وظـاهر أن قيمـة المعبودات فى نظر النانس لايمكن أن تكون متوقفة على صفاتها الذاتية . وماطابع البريد إلا مربع صغير من الورق الرقيق ليس له فـى كثير من الأحيان أى جمال أو فن ، ومع ذلك قد ينفق الشخص جنيهات للحصول عليه . وكيف نفسر ارتفاع قيمة الماس واللؤلؤ والفراء والدانتيل وغيرها

[1] - مصطفى الخشاب وآخرون : أصول علم الاجتماع - القاهرة . مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٦٢ . ص ص ١٤٦ : ١٥٧

من الملابس وأدوات الزينة ؟ لايمكن أن تكون طبيعـة أو خصـائص هـذه الأشياء الكامنة فيها ، هى المسئولة عن ارتفاع قيمنتها ([1]).

ويزيد شكسبير هذا الاتجاه حين قـال علـى لسان هملـت : ليس هنـاك شئ طيب أو خبيث ، ولكن الظن هو الذى يجعله كذلك .

There is nothing either good or bad but thinking makes it so .

وأخيرا فـإن مؤدى هذا الرأى أن القيم ذاتيـة وليسـت موضوعيــة ، بمعنى أنها ليس لهـا وجـود مسـتقل عـن شـعور الانسـان وفكـره . إذ أن الشيء الجميل على سبيل المثال لايمكن تحديده بأى صفات موضوعيــة ، وإنمـا مقياسـه هـو شـعور الانسـان وانفعالـه بـه . وهكـذا نجـد أن النـــاس تختلف فى احكامهم الجمالية بحسسب اختـلاف الزمـان والمكـان ، وليس ثمه معيار موضوعى يمكن الاعتماد عليه لحسم هذا التنوع والاختلاف ، ومن هنا قيل انه ليس ثمة مناقشة للأذواق ([2]) .

وعلى طرف النقيض من الرأى السابق يوجد من يقولون بموضوعيـة القيم أى أن القيم لها وجودها الموضوعى المستقل عنا . ذلك انهـم يـرون أن القيمة صفة تكمن فى الشيء نفسه ، مثلها فى ذلك مثل سائر الصفـات

---

[1] - فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية . مع دراسة ميدانية . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٩ ص ٣٥.

[2] - أميرة حلمى مطر : مقدمة فى علم الجمال . دار النهضة العربية . ص ١٠٧ بدون تاريخ .

لتى توجد فى الاشياء . فإن الذى يجعلنى أحكم على هذا الشىء بأنه أبيض مثلا هو صفة البياض التى يحملها هذا الشىء ، وليس حكمى عليه بالبياض . هو مجرد حكم أتبرع به من عندى لهذا الشىء ، ولو لم يكن أبيض فعلا لما حكمت عليه بهذا الحكم ، واذا فمصدر الحكم هو الصفة التى يحملها الشىء موضوع الحكم ، وهى صفات لايختلف فيها الناس مهما اختلفت عصور المكان والزمان . وإذا أخذنا الحقيقة الرياضية على سبيل المثال ، فأننا نرى قيمة الصدق التى تحملها مثل تلك الحقيقة مصدرها ذاتى ، ولاتستمد صوابها من الانسان الذى يدركها ، وتظل صادقة بالنسبة لكل مدرك عادى لها ، وقس على ذلك سائر الحقائق الأخرى مثل الحقائق الطبيعية والخلقية ، فالقيم الخلقية المثلى ، مثل قيمة الخير ، حقائق موضوعية ، ولاقبل لنا بتغيرها ، ولانستطيع أن نقول إنها تستمد مثاليتها منا ومن ذواتنا . والحق يكون حقا بالنسبة للناس جميعا، والخير كذلك يكون خيرا بالنسبة لكل الناس ايضا ، نظرا لأننا لن نختلف على تلك القيم المثلى .

ومن الفلاسفة الذين يؤمنون بموضوعية القيم الفيلسوف اليونانى " أفلاطون " فقد افترض أفلاطون عالما معقولا غير العالم المحسوس الذى نعيش فيه ، وتوجد فى هذا العالم (المعقول) الصفات الثابتة للأشياء، وجميع الكمالات كما هى ، وقال بأن العالم المحسوس الذى نحيا فيه عالم متغير متقلب مضطرب لايمكن أ ن يكون مصدرا للقيم ، لأنه

عالم ناقص لايمكن أن يكون مصدرا للقيم ، لأنه عالم ناقص للأسباب السابقة ، فلا يبقى إلا أن لهذه القيم مصدرا آخر مستقلا عن حياتنا الواقعية الحسية المتغيرة ، هذا المصدر هو العالم المعقول ، والنفس عرفت كل القيم الكاملة فى هذا العالم المعقول حين كانت تحيا فى هذا العالم قبل هبوطها إلى البدن . وحين نحكم على شئ بانه خير أو حق ، فإن هذا الحكم سببه هو ان النفس تتذكر هذه القيم بمجرد رؤيتها للأشياء التى توجد فى الواقع وتكون موضوع الحكم ، أما عن الاشياء المحسوسة فى ذاتها فلا تحمل أى قيمه على الإطلاق .

ومن الفلاسفة اذين ساروا فى هذا الاتجاه ايضا " ديفيه روس " إذ يقول: " إننا نعنى بكلمة جميل صفة لاتعتمد أبدا على الذات المدركة بل نعنى به شيئا موجودا فى الشئ نفسه وجودا كاملا ، غير معتمد فى وجوده على علاقة الشئ بالعقل المدرك .

وخلاصة القول : أن هذا الرأى يذهب إلى أن القيم ليست ذاتية ، ويرى أن القيم لها وجود موضوعى مستقل عن الإنسان الذى يحكم بمقتضى تلك القيم . وإن حكمنا بأن شيئا ما جميل يرجع إلى الصفات المحددة الثابتة الموجودة فى الشئ الجميل ، وعلى نحو وجود الذهب فى أعماق البحر ، أو الأكسجين فى الهواء . وعلى ذلك فإن الإنسان عند حكمه على الجمال إنما هو يكتشف ماهو موجود فقط ( ) . والنتيجة

الحتمية يمقتضى هذا الرأى : أن القيم لن تكون نابعة منا ، بل إن الأشياء هى التى سوف تصبح مصدرا للقيم بما تحمله من صفات محددة .

غير أن الخلاف بين الاتجاهين السابقين مالبث أن تمخض عن اتجاه ثالث هذا الاتجاه الثالث له شيوع فى العصر الحديث ، ويذهب هذا الاتجاه إلى اتخاذ موقف وسط بين الطرفين المتناقضين ، حيث يرى أن القيمه هى محصلة التفاعل بين الشئ الذى يقع عليه الحكم وبين الإنسان الذى يصدر هذا الحكم ، ولايمكن أن تكون القيمه مصدرها الإنسان وحده الذى يصدر الحكم ، أو يكون مصدرها الصفات الكامنة فى الشئ موضوع الحكم . ويدللون على صحة رأيهم هذا بقولهم : إن وجود الشئ وحده بصفاته الكاملة يصبح غير ذى معنى بدون الإنسان المدرك لهذا الشئ ، وكذلك الحال بالنسبة للذات الإنسانية ، فإن وجود الإنسان نفسه دون أن يكون هناك من شئ يحكم عليه أو شئ يقيمه يصبح أمرا لامعنى له ايضا. وإذا فرضنا وجود لوحة فنية رائعة بقيت موجودة دون أن يقع عليها نظر إنسان ما ، فهل يصبح لها معنى او قيمه ؟ ثم ماذا يكون معنى الخير بدون أن يكون هناك إنسان يفعله أو يتلقاه ؟ أى أن مؤدى هذا الرأى نه لكى يكون للقيمه من وجود فلابد من ان يتفاعل الطرفان معا : الذات المدركة والشئ موضوع الحكم ، ويقول اصحاب هذا الاتجاه إنه حتى لو اعترض اصحاب النظرة الموضوعية القيم ، بأن الشئ الجميل سوف يبقى جميلا حتى وإن لم يكن هناك إنسان يدركه ، لكان

اعتراضهم هذا غير ذى معنى ، لأنهم يقصدون اصلا أن هذا الشئ الجميل سوف يكون جميلا لدى أى انسان يدركه .

ومعنى هذا أن وجود الطرفين معا أمر ضرورى لكى يحدث التقويم ، فوجود الإنسان الذى يقوم الأشياء بقيمها أمر ضرورى . وكذلك وجود الأشياء التى يريد لها هذا التقويم ، غير أنه لايكفى مجرد وجود الإنسان فقط والشئ فقط ، بل بد كذلك من وجود عنصر الاهتمام من قبل الإنسان بالشئ موضوع الحكم حتى يحدث التفاعل بينهما ، ومن ثم يصدر فعل التقويم ، ولعل هذا هو ماذهب اليه " رالف بارتون بيرى Ralf Barton Perry " فى نظريته المعروفة باسم النظرية العامة للقيمه " General Theoy of Value " .

فلقد ذهب هذا الأخير إلى ان اى الاهتمام بأى شئ يجعل هذا الشى ـا قيمه ، فالواقع أنه من الخصائص المميزة للعقل البشرى أن يقبل بعض الأشياء ويرفض البعض الآخر . ويقول إن أى شئ يكون موضع اهتمام فإنه حتما محمل بالقيمه ، كما يقول : يعتبر الشئ ذا قيمه إذا اتصف بفعل فيه اهتمام ، ومعنى هذا أن أى شئ ما أيا كان يكتسب فيمة مادام هناك اهتمام به من أى نوع كان ، تماما كما يحدث عندما يصبح أى شئ أيا كان هدفا لأى شخص ، قد اتجه نحوه ، أى أن القيمة تنبع من الاهمام والرغبة ، وليس ينبع الاهتمام والرغبة من القيمة .

وفى هذا المعنى يقول الفيلسوف الهولندى اسبينوزا : لايحـدث فـى أى حال من الأحوال أن نسعى إلى شئ أو نتتمناه أو نتشـوق اليه أو نرغب فيه لأننا نعتقد بانه خير ، بل الحقيقة أننا نعتقد أن الشئ خير، لأننا نسعى إليه ونتمناه ونتشوق إليه ونرغب فيه .

غير أننا لكى نلقى مزيدا من الضوء على مفهوم الاهتمام الذى نحن بصدده والذى يقصده " بيرى " فلابد أن نشير إلى نظرية المجال النفسى فى تفسير السلوك الإنسانى ، فهذه النظرية الاخيرة ترى أننـا لايمكننـا أن نفهم السلوك أى سلوك إلا إذا وضعنا فـى اعتبارنـا المجـال الـذى ينبعث منه هذا السلوك . ويذهب اصحاب هذه النظرية إلى أن العوامل الخارجية وحدها لاتكفى لكـى يحدث السلوك ، وكذلك العوامل الداخلية وحدهـا لاتكفى لكى يحدث السلوك ، بل لابد من تفاعل ديناميكى يتم بين هذه العوامل الداخلية والخارجية حتى يحدث السلوك ، ولنضرب مثلا لذلك : إذا كنا أمام مصدر للماء المثلج فى يوم شديد القيـظ ، وتصادف أن وجد شخصان أحدهما قد أصابه العطش بدرجة كبيرة، والآخر كان قد شرب قبل ذلك حتـى ارتـوى ،فـإن الـذى سـوف يحـدث أن الأول سيقبل علـى مصدر الماء بينما الآخـر سوف يكون اتجاهـه الإحجام وعدم القبول ، وهذا يدلنا على اهمية تفاعل العوامل الداخلية مع الخارجيـة حتـى يحـدث السلوك، ومن ثم تظهر اهمية عنصر الاهتمام فى حـدوث السلوك. الـذى يهمنا هنا فى هذا الموضوع فكرة الدينامية فى الاهتمام نفسه ، بمعنـى أن

أى تغيير فى الاهتمام أو الشئ موضوع الاهتمام ينتج عنه تغير فى القيمه المصاحبة له ، ومعنى ذلك أننا نستطيع أن نغير من قيم الشخص إذا غيرنا من موضوعات اهتمامه ، فكلما غيرنا من اهتمامات الشخص حول الموضوعات المختلفة أدى ذلك إلى تغير مماثل فى القيم المصاحبة لموضوعات الاهتمامات هذه ، كما أننا من الممكن أن نستفيد من عنصر الإهتمام هذا فى خلق وابتكار قيم جديدة لم يكن لها وجود قبل ذلك ، فإذا اسبغنا على عدة موضوعات اهتماما معينا وحاولنا إدخالها فى حياة الأفراد كان ذلك مدعاة إلى خلق قيم جديدة مصاحبة لتلك الموضوعات ولعل هذا هو ماتستفيد به سيكلوجية الاعلانات حينما تركز على جذب اهتمام الجمهور نحو موضوعات معينة تنص عليها مادة الإعلان ، فتخلق فيما ايجابية نحو مادة الاعلان .

وأخيرا فإننا نرى أن هذا الرأى الأخير فى تفسير القيم هو الذى يمكننا أن نستفيد به فى تأكيد هذا الموضوع ، ومن ثم فإننا نرى أن مهمة المغير الاجتماعى ، تكمن فى عملية تغيير الاهتمام هذه ، والتربية تستطيع أن تفعل ذلك ازاء القيم التى اصبح التمسك بها غير مجد أو غير ملائم لروح العصر، أو يكون التمسك بها مما يؤدى إلى تعويق خطط التنمية المعلقة . ومن ذلك على سبيل المثال القيم الخاصة بالإنجاب فى المجتمعات الريفية أو القيم التى تشكل النظر إلى النوع والعدد ، وقيم الزواج المبكر . كما تستطيع التربية أن تغير من هذه القيم عن طريق

تغيير الاهتمام بها ، فتقوم المؤسسات التربوية بإبراز عيوب تلك القيم السابقة وتوجيه النقد اليها وبيان أهم مساوئها وتوضيحها، فيؤدى ذلك إلى ان يفتر الاهتمام بها بالتدريج ، ثم ينتهى الأمر بأن يمحى هذا الاهتمام كلية ، وبالتالى فإنه سوف تتغير القيم المصاحبة لهذا الاهتمام السابق . ثم تستطيع التربية فى الوقت نفسه أن تخلق لدى الأفراد قيما جديدة تحل محل القديمة ، وذلك عن طريق إدخال موضوعات جديدة فى حياة الأفراد وإبراز أهم محاسنها وتوضيح مزاياها وبيان قوتها ، وأهميتها فتستطيع من ثم أن نستحوذ على اهتمام الأفراد نحوها ، وبالتالى تخلق قيما إيجابية مصاحبة لها ، ولعل هذا هو هدف التغير القيمى فى نهاية الأمر من بيان الدور الذى يمكن ان تقوم به التربية إزاء المتغيرات فى القيم الإجتماعية.

السلم القيمى ونشأته :

الواقع أن القيم فى حقيقتها هى عملية انتقاء واختيار يقوم بها الإنسان فى مجالات الحياة المختلفة ، التى تضم اتجاهاته الأساسية وميوله العميقة الجذور ، والأشياء التى تحظى منه الاحترام والتقديس ، وهى تنبثق فى سياق تتابع حياته ، ومن ثنايا مايمر به من خبرات فى الوسط المحيط به . فالقيم هى نتيجة عملية الانتقاء واختيار ، كما أن الانتقاء والاختيار يقوم على اساس القيم ، أى أن الإحالة متبادلة بينهما ، ولكن ينبغى أن نذكر أن عملية الاختيار لاتتم فى فراغ ، وإنما يقوم بها الفرد متأثرا

بالاساس الثقافى الذى يعيش فيه ؛ أى الوسط الذى ينشأ فيه ، ومايتضمنه من نظم التقاليد المرعية ، ومن العرف ، ومن أنماط سلوكية وعادات اجتماعية ، ثم انتقاءها واستقرارها ، فالقيم الاجتماعية هى بلا شك نتائج خبرات اجتماعية ، وهى تتكون نتيجة عمليات انتقاء جماعية يصطلح افراد المجتمع عليها لتنظيم العلاقات بينهم .

وفى هذا المعنى قول كلكوهن Klukhohn " وهو من المهتمين بدراسة القيم : إن الحياة الإنسانية فى الحقيقة خلقية ، ولابد أن تكون خلقية لأنها حياة اجتماعية . وفى الجنس البشرى لايحدث التعاون أو غير ذلك من ضروريات الحياة الاجتماعية بصورة آلية كما فى الحشرات الاجتماعية ، بل إن البداهة توضح لنا أن الأخلاق هى قيم تتصل بالخلق وبكافة السلوك، تتفق الجماعة وتتواضع عليها ، وبهذه الدرجة تعتبر الأخلاق قيما اجتماعية هى نتائج التفاعل الاجتماعية فى نطاق الثقافة .

ولما كانت القيم تقتضى الاختيار ، والاختيار يفضى إلى الإيثار ، ويقوم الإيثار على الترجيح والتفضيل ، كان لابد من وجود ما اصطلح العلماء علىتسميته ' بسلم القيم " The Value Scale فالتفضيل ينتج عن وضع الأشياء فى مراتب ودرجات بعضها فوق بعض ، وبعضها أرفع من بعض ، ولذلك فإن من خصائص القيم أنها تترتب فيما بينها ترتيبا هرميا ، فتهيمن بعض القيم على بعضها الآخر أو تخضع لها ، فالمفروض أن يحاول الفرد فى حياته تحقيق كل رغباته التى يعتقد أن

ها قيما عنده ، ولكن طبيعة الحياة نفسها ، وطبيعة الظروف التى تحيط ه ، تحول دون ذلك . وكثيرا مايحدث تعارض بين القيم التى يدين بها ، لذلك نجده يحاول أن يخضعها بعضه لبعض ، فيخضع الأقل قبولا عند لناس للأكثر قبولا وفقا لترتيب خاص به .

فإذا فرضنا أن شخصا مالديه مبلغ من المال ، وأخذت تتصارعه القيم فى انفاقه ، هل ينفقه على اولاده فيحسن من مستواهم الاجتماعى بحصولهم على درجات أعلى من التعليم والثقافة ، أم ينفقه فى مشروعات استثمارية تدر له دخلا إضافيا ؟ فإن الذى سوف يحدث أن هذا الشخص سوف ينفق هذا المبلغ بحسب ما يترتب من أهمية للتسلسل القيمى عنده . فإذا ما كان التعليم يحتل القيمة العليا عنده، فإن التعليم فى هذه الحالة سوف يعطى الأولوية ، ثم تليه المشروعات الاستثمارية ، ثم يليها الإنفاق على الترف والرفاهية مثلا ، وهكذا فإنه سوف يرتبها فى سلم قيمى حسبما الأهمية التى تنشأ لديه .

أثر التنشئة الاجتماعية فى تغيير السلم القيمى :

إن ترتيب قيم الأشخاص والمعانى والاشياء لايظل على حال واحدة ثابتة فى سلم قيم الشخص ، بل تتغير بالنسبة لتغير نظرة الشخص للحياة على العموم ، وبالنسبة لنموه وتطوره ونضجه الجسمى والعقلى والاجتماعى ، وتبعا للمؤثرات الثقافية والاجتماعية . من هنا يأتى دور

التنشئة الإجتماعية باعتبارها الأداة الهامة فى التـأثير الثقـافى ، وبالتـالى فى تبديل وتغيـير قيم الأشـخاص وتحويـل اهتمامـاتهم، فـإن التنشـئة من الممكن لها أن تحـدث تعديـلا فـى ترتيـب قيـم الأشـخاص تبعـا للقيـم ذات الأهمية وذات الجدوى فى عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

نسبية القيم:

مما لاشك فيه أن القيـم تختلـف وتتغـير تبعـا للزمـان والمكـان ، فإنهـا تتغير من وجهـة نظـر المجتمـع الواحـد علـى طـول الزمـان ، كمـا أنهـا تختلف فى الزمن الواحد بيـن المجتمعـات المختلفـة ، أمـا عـن الاختـلاف بالنسبة للمجتمـع الواحـد فـإن ذلـك يتضـح مـن خـلال نظرتنـا إلـى تغـير العادات والأعراف الاجتماعية .

ففى مجتمعنا المصرى علـى سبيل المثـال : كـانت تقـام فيمـا مضـى بمصـر حفـلات عيـد وفـاء النيـل ، فيقـدم للنيـل قربانـا علـى هيئـة تمثـال اعترافـا بفضلـه وعطائـه ، وقد اختفت الآن مثل هـذه الظـاهرة تمامـا ، وكذلك اختفاء بعض العادات الخاصة بالزواج فى الريف المصرى ، فإنـه كان يحرم على العريس مثـلا أن يـرى عروسـة قبـل الدخـول بهـا ، وقـد اختلـف الأمـر الآن فـإصبح العريـس يـرى عروسـه مـرارا وتكـرارا بـل يتحدث اليها قبل الدخول بها .

ويقاس على ذلك سائر الأشياء التى تتغير على طول الزمان فى لمجتمع الواحد ، وذلك مثل الموضات الخاصة بالملابس والزينة ، فمثل هذه الموضات فى تغير دائم . ومن المعروف ايضا أن قيم الأبناء تختلف عن قيم الآباء ، وهذا هو مايسمونه فى العصر الحديث باسم " صراع لاجيال" فما كان مرغوبا فيه منذ عشر سنوات قد لايكون كذلك الآن ، والعكس صحيح ، وهذا هو الدليل على النسبة الزمانية للقيم إن جاز لنا ستعمال مثل هذا التعبير .

والقيم تختلف ايضا من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى ، بل تختلف من مكان لآخر داخل المجتمع الواحد ايضا ، فإن من الملاحظ على سبيل المثال فى مجتمعنا المصرى ، أن هناك بعض العادات والقيم فى مجتمعات الوجه القبلى ، ولايوجد لها نظير فى مجتمعات الوجه البحرى مثلا ، وذلك مثل عادات الأخذ بالثأر ، وكذلك بعض العادات الخاصة بالخطبة والزواج التى قد تختلف إلى حد ما فى الوجه القبلى عنها فى الوجه البحرى ، وكذلك تختلف القيم من مجتمع لآخر ؛ فإننا على سبيل المثال نلاحظ فى مجتمعنا المصرى أن هناك احتراما لنظام الأسرة وتقديرا للزوجة وقداسة للحياة الزوجية بصفة عامة، وهذا الأمر قد يختلف اختلافا تاما فى بعض الثقافات الأخرى ، ونلاحظ أن هذا الاختلاف أوضح مايكون لدى بعض القبائل التىتسكن جنوب الهند ،

حيث إن هذه القبائل تعيش حياتها الأسرية فيما يسمى بـ " نموذج تبادل الزوجات " بين الأخوة والاصدقاء .

وهذا الاختلاف بين الثقافات داخل المجتمع الواحد ، وكذلك بين المجتمعات المختلفة ، يدلنا ايضا على وجود مايسمى بالنسبة المكانية للقيم.

تصنيف القيم:

يعتبر الكتاب الذى ألفه " شبرانجر " Spranger والذى أطلق عليه أنماط الرجال Types of men من أحسن ماورد فى تصنيف القيم من حيث محتواها .

ويمكن تصنيف القيم على وجه العموم ، كما يأتى :

أولا : بعد المحتوى : **Dimension of Content**

ثانيا : بعد المقصد : **Dimension of Intent**

ثالثا : بعد الشدة : **Dimension of Intensity**

رابعا : بعد العمومية : **Dimension of Generality**

خامسا : بعد الوضوح : **Dimension of Expliciteness.**

سادسا : بعد الدوام : **Dimension of Permanency .**

أولا : بعد المحتوى : Dimension of Content

أورد لنا شبرانجر تصنيفا للقيم من حيث محتواها فى كتابه السابق يضم ستا من القيم هى ١- القمية النظرية ٢- القيمة الاقتصادية ٣- القيمة الجمالية ٤- القيمة الاجتماعية ٥- القيمة السياسية ٦- القيمة الدينية.

ويقصد بالقيمة النظرية : اهتمام الفرد وميوله إلى اكتشاف الحقيقة ، وهو فى سبيل ذلك الهدف يتخذ اتجاها من العالم المحيط به ، فهو يوازن بين الأشياء المحيطة به على اساس ماهيتها ، كما أنه يسعى وراء القوانين التى تحكم هذه الأشياء ، بقصد معرفتها دون النظر إلى القيمة العملية أو الصورة الجمالية لها ، والحق أن هذه القيمة تكاد تكون قيمة عامة يشترك فيها الناس جميعا ، فإن النزعة إلى التساؤل والتفلسف ظاهرة طبيعية فى الإنسان ، ومرتبطة به من حيث كونه إنسانا ([1]) .

أما القيمة الاقتصادية فيقصد بها اهتمام الفرد وميوله إلى ماهو نافع مفيد ، وهو فى سبيل ذلك الهدف يتخذ من العامل المحيط وسيلة للحصول على الثروة وزيادتها عن طريق الإنتاج .

---

[1] - عطية محمود هنا : القيم دراسة تجريبية مقارنة . فى كتاب قرارات فى علم النفس الاجتماعى ، تأليف لويس كامل مليكة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة . ص ٦٠٢ .

أما القيمة الجمالية ، فيقصد بها اهتمام الفرد وميله إلى ماهو جميل من ناحية الشكل والتوافق .

وأما القيمة الاجتماعية فيقصد بها اهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس ، فهو يحبهم ويميل اليهم وإلى مساعدتهم وحل مشاكلهم .

وأما القيمة السياسية فيقصد بها اهتمام الفرد وميله للحصول على القوة. والشخص الذى تغلب عليه هذه القيمة شخص يهدف إلى السيطرة والتحكم فى الأشياء أو الأشخاص .

أما القيمة الدينية ، فيقصد بها اهتمام الفرد وميله إلى المسائل الدينية والكشف عنها ، ومعرفة ماوراء العالم الظاهرى .

غير أن هذا التقسيم الذى قدمه شبرانجر للقيم لايعنى أن الأفراد يتوزعون عليها ، ولكن يعنى أن هذه القيم توجد جميعها فى كل فرد من الأفراد ، غير انها تختلف من فرد لآخر قوة وضعفا فى الفرد ومجموعات الأفراد .

ثانيا بعد المقصد : Dimension of Intent

تنقسم القيم من حيث المقصد إلى : قيم وسائلية ، وقيم غائية أو هدفية. والقيم الوسائلية هى التى تعتبر وسيلة إلى غاية أخرى تختفى وراءها ، وبينما القيمة الغائية أو الهدفية هى تلك القيمة التى تعتبر غاية فى ذاتها ، ولاتهدف إلى غاية أخرى غيرها .

ثالثا : بعد الشدة : Dimension of Intensity

تتفاوت القيم من حيث شدتها تفاوتا كبيرا ، وتقدر شدة القيمة بدرجة الإلزام التى تفرضها ، ونوع الجزاء الذى تفرضه أو تقرره ، وتبعا لهذا يمكننا تقسيم القيم بحسب شدتها إلى : قيم الزامية ، وهذه تكون ملزمة للجميع ، ويرى المجتمع تنفيذها بقوة وحزم ، وكذلك القيم المفضلة، وتلك التى تشجع المجتمع على الاقتداء بها ، ويكافئ من ينجح فى أدائها ، ولكنها غير ملزمة . وكذلك هناك القيم المثالية ، مثل القيم التى تدعو إلى مقابلة الأساءة بالإحسان .

رابعا : بعد العمومية Dimension of Generality

تنقسم القيم من حيث شيوعها وانتشارها إلى قسمين أساسيين :

(أ) قيم عامة : (ب) قيم خاصة :

أما القيم العامة فهى تلك القيم التى تعم المجتمع كله ريفه وحضره وطبقاته وفئاته المختلفة ، فلا تخص فئة دون أخرى أو جماعة دون أخرى . ومن أمثلة القيم العامة فى المجتمع المصرى احترام نظام الاسرة وقداسة الحياة الزوجية ، وتفضيل الذكور على الإناث ، وكذلك احترام كبار السن .

أما القيم الخاصة فهى تلك القيم التى تخص فئة من الفئات ، أو طبقة من الطبقات ، ولاتعم المجتمع كله .

خامسا : بعد الوضوح : Dimension of Expliciteness

يعتبر هذا البعد أحد الأبعاد القيمية الهامة في تركيب البناء القيمي ، وتنقسم القيم من حيث وضوحها إلى قسمين :

(أ) قيم ظاهرة أو صريحة .   (ب) قيم ضمنية أو مضمرة .

أما القيم الصريحة فهى تلك القيم التى يعبر عنها الفرد باللفظ صراحة، كما تظهر واضحة فى سلوكه متفقة مع اللفظ ايضا ، ولكن القيم الضمنية على العكس من ذلك . فقد يعبر عنها الشخص باللفظ ، ولكنها تظهر فى سلوكه وفى انماط اختياره وانتمائه للأشياء ، فيستدل عليها من خلال تصرفاته إزاء المواقف المختلفة .

والذى يهمنا من أمر هذه القيم هو مدى اتفاق القيم المعلنة او الصريحة مع القيمة الضمنية الى يضمرها الشخص فى داخله ، فقد يكون الشخص يرغب حقيقة فى كثرة الإنجاب ويفضل العدد الكبير من الأطفال لكنه لايعلن ذلك صراحة ، بل يجوز أنه يعلن على الضد من ذلك انه لايرغب فى كثرة الإنجاب أو العدد الكبير من الأطفال ، وذلك بقصد ارضاء من أمامه ، وخاصة إذا كان يشعر أن الشخص الذى أمامه بفضل ذلك ، ونحن فى كثير من الأحيان ننخدع إزاء القول المعلن الصريح ، دون البحث عما يخفى وراءه من قيم ضمنية .

ولكننا يجب علينا ألا نكتفى بالقول وحده فى معرفة القيمة الحقيقية ى الشخص ، بل يجب النظر إلى مدى تواكب السلوك مع القول .

سادسا : بعد الدوام: Dimension of Permenanenoy

كما يهمنا ايضا فى هذا المبحث أن نشير إلى اهمية القيم من حيث وامها ، حيث إن هذا البعد يفيد أن القيم تنقسم إلى قسمين : قسم عابرة قيم دائمة .

وإذا أردنا الحديث عن القيم العابرة عرفنا أنها هى تلك القيم الوقتية لعابرة العارضة القصيرة الدوام السريعة الزوال مثل القيم المرتبطة بالمودات ، كمودات الزى والتجميل ، خاصة عند النساء ، وطرق تأثيث لمنزل وبنائه وزخرفته ، وكذلك القيم المتعلقة بالبدع والنزوات والتقاليع . فما الموادات والبدع والنزوات والتقاليع إلا مظاهر الذوق العام ، والمزاج العام للناس او الجماعات منهم فى فترة معينة . ولذلك فإن القيم المرتبطة بها قيم عابرة عارضة تعبر عن التذبذب والتغير والصعود والهبوط فى أذواق الناس ومزاجهم . والملاحظ أن هذه القيم العارضة الوقتية لاتكون لها صفة القداسة الى تتصف بها نقيضتها الدائمة ، وذلك لأنها تتعلق بالحاضر ولاتتصل بالماضى . وإذا جاز لنا أن نستعير نفس تشبيه فوزية دياب حيث تشبه القيم الدائمة بالماء الذى يجرى فى النهر الهوينى ، قلنا إن القيم الوقتية أو العابرة تشبه الأمواج العالية المتغيرة

على الدوام ، التى تضرب وجه هذا الماء ، وهى مع قلة أهميتها اظهر أمام العين من سير النهر نفسه . وليس معنى هذا أنها قليلة الشأن أو ضعيفة الأثر فىحياة الناس .

ومن القيم العابرة أو الوقتية التى قد أصابها التغير فى الريف المصرى على وجه الخصوص ، تلك القيم التى تتعلق بزى المرأة ، فقد كانت المرأة فيما مضى فى المجتمع الريفى ترتدى زيا من شأنه أن يحجب كل جسدها . اما الآن فقد تغير الوضع ، حيث إنها ق تخففت كثيرا من مثل هذا الحجاب ، وكذلك بعض القيم المرتبطة بالزواج فى الريف المصرى . فقد كان الأمر فيما مضى بالنسبة لما يتعلق بعادات الزواج فى الريف مختلفا عما هو الآن ، حيث كان الزواج فى الريف المصرى فيما مضى عبارة عن اتحاد بين اسرتين أو عائلتين ، أكثر منه اتحادا بين شخصين (رجل وأمرأة) ، حيث كان يتقدم والد العرس إلى اسرة العروسة ، ويقرا الفاتحة مع والد العروسة ويتفق معه بشأن كل شئ ، وما دور العريس إلا كدور المتفرج الذى لارأى له ، بل عليه أن يسمع الأمر ويطيع ، حتى تسلم له العروس ليلة الزفاف . أما الآن فقد تغيرت مثل هذه العادات كثيرا عن الماضى ، حيث أصبح دور العريس دورا إيجابيا إلى حد كبير .

والقيم الدائمة ، هى تلك القيم التى تبقى زمنا طويلا مستقرة فى النفوس لذى الناس ، تتناقلها الأجيال ، مثل القيم المرتبطة بالعرف

والتقاليد ، فالعرف والتقاليد عادات تتعلق بالماضى ، وكثيرا ماتمتد جذورها إلى أغواره البعيدة . وبالطبع لايقصد بالدوام هنا الدوام الأبدى، وإنما الدوام النسبى.

والقيم المؤقتة أو العابرة هى موجات فجائية من التغيير الاجتماعى المؤقت تعترى نظرة الناس إلى بعض الأوضاع الاجتماعية وتدفعهم إلى الأخذ بهذا التغيير فى الفكر والسلوك أو العمل .

ولاتدوم القيم المؤقتة فترة طويلة لأنها تتأثر بظروف اجتماعية يستجيب لها المجتمع بسرعة مثل المودات فى الزى واساليب الترويح والتسلية والفنون والأمور الكمالية فى الأثاث والعمارات والأدوات المستعملة وبعض الأفكار العلمية المتسرعة التى قد تروج لطرافتها وسهولة فهمها .

وتقوم القيم المؤقتة على اساس نفسى هو رغبة الناس فى التغيير وسأمهم من روتينية الحياة ، وصرامة التقاليد وحاجتهم إلى مجاراة العصر والتطلع إلى المستقبل والنفور من الماضى . ولذلك يقبل على هذه القيم الشباب أكثر من الشيوخ .

ويبدأ انتشار هذه القيم على هيئة بدعة أو ابتكار فى أحد النظم الاجتماعية والسلوك الاجتماعى العام (مثل التحية برفع اليد عن بعد بين بعض الفئات من المصريين) أو استخدام الاجهزة وأدوات

المنازل والمدارس والمؤسسات والديكور . وتقابل هذه القيم فى أول الأمر بمعارضة ثم لاتلبث بطرافتها أن تجتذب بعض النفوس التى تشعر أنها تحقق بعض المزايا مثل الشعور بالتمييز أو الانتماء إلى الطبقة المتيسرة أو القدرة على تحدى الأوضاع القائمة .

ولاتستمر هذه القيم مدة طويلة فإنه بمجرد أن يصبح شائعا يفقد طابع الجدة والجاذبية ، ولايعود ليلا على التميز الطبقى وتنصرف عنه الطبقات التى رحبت به فى المبدأ وتفكر فى موجة جديدة من موجات الذوق العام .

وقد تنطفى موجة هذه القيم المؤقتة قبل أن تنتشر لأنها لم تجد قبولا أو ترحيبا من فئة تكفى لنشرها وذلك إذا كانت هذه الموجة مخالفة للدين أو للنظام السياسى أو الاقتصادى للمجتمع أو كانت خاصة بجماعة معينة من جماعات المجتمع ذات مكانة دنيا .

وتتوالى موجات القيم المؤقتة لكى تخلق توازنا فى المجتمع بين الماضى والحاضر تجعل الحركة الاجتماعية ممكنة وتيسر انتقال المجتمع بأمان نحو المستقبل وهو مرتكز على قواعد ثابتة من البناءات الثقافية الاجتماعية الماضية (العادات والتقاليد والعرف) .

وتأخذ بعض الفئات التى تتعلق بالماضى وتعتبره هو العصر الذهبى للمجتمع تقوم هذه القيم وتهاجمها كلما احتوى على ماينـاقض

التراث الاجتماعى وقد تتهمها بالخروج على الدين جهلا منهم بوظيفة الدين فى الحياة الاجتماعية ، ولكن تيار هذه القيم يكون قويا بحيث يستطيع أن يكتسح كل معارضة ، لأنه يمثل أرادة التغيير الاجتماعى وينبع من تناقضات الأوضاع القائمة فى النظم الاجتماعية بفضل المنطق الجدلى والحوار الاجتماعى .

ومن أمثلة ذلك أن الحرب العالمية الثانية استمرت ست سنوات (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ودمرت معظم المدن والمصانع الأوربية وقاسى العالم ويلات الحرمان والجوع والعرى والمرض ومع ذلك فإنه ماأن انتهت الحرب وسرحت الجيوش الا وقد ظهرت موجة (موضة) خاصة بملابس السيدات هى (موضة) الفساتين الطويلة جدا .

وقامت قيامة الصحف والحكومات والرأى العام تتهم بيوت الأزياء والنساء بالتبذير والسخف وعدم مراعاة الظروف القاسية التى يجتازها العالم حيث أن المصانع لم تكن قد حولت بعد من الانتاج الحربى إلى الانتاج السلمى والبلاد محتاجة إلى آلاف البلايين من الجنيهات لإصلاح الطرق والمبانى وشبكات المياه والإنارة والمواصلات وإعادة الحياة إلى طبيعتها الأولى بالتدريج .

ولكن كان منطق هذه القيم هو أن نساء العالم عشن طول مدة الحرب بالملابس العسكرية القصيرة وعانين النوم فى المخابئ بجوار

الغرباء مما أفقدهن الشعور بحرمة الانوثة والرغبة فى اخفاء ماكانت تظهره تلك الظروف من جسم المرأة فرحبت النساء بهذه الموجة وأقبلن عليها رغم نقص الأقمشة وارتفاع اسعارها وحاجة الملايين من السكان فى اوربا والعالم إلى مايستر أجسامهن.

ومالبثت هذه الموجة بعد أن قامت بوظيفتها أن تخلت عن مكانها لموجة الملابس القصيرة (أى نقيض الموضوع) وهكذا تتوالى موجات القيم المؤقتة العابرة فى مجالات الحياة الاجتماعية وفقا للمنطق الجدلى مما يؤدى إلى احياء موجات قديمة جدا فى صورة جدية تتسم بالطرافة والجاذبية .

وهناك ثمة اسباب تدعو إلى انتشار القيم العابرة المؤقتة لعل أهمها مايلى :-

- سيادة الديمقراطية حيث يعشر الناس بالمساواة وزال القيود التى كانت تميز الطبقات بزى معين وأسلوب خاص فى الحياة والعمل .

- انتشار المدن التى تجمع اعدادا كبيرة من السكان لايتشعون مثل الريفيين بقوة التقاليد .

- لذلك يميلون إلى التجديد والاقبال على موجات الذوق العام بفضل الايحاء والتقليد والرغبة فى الظهور بمظهر المكانة العالية .

- سيادة الفلسفة المادية التى تعبر عن روح العصر وتدعو إلى التمتع بمباهج الحياة وارضاء الرغبات النفسية وإخفاء مظاهر النقص .

- قيام الصناعة الآلية الحديث على الإنتاج الضخم الذى ينتج للعالم كله كميات هائلة من المنتجات وحاجة المصانع إلى تصريف هذا الإنتاج بسرعة .

- حاجة المصانع الرأسمالية إلى استمرار انتاجها بكميات كبيرة حتى تضمن استمرار العمل فيها لآلاف العمال وزيادة ارباح اصحابها ، فتلجأ إلى التجديد فى مصنوعاتها فى كل موسم ، وتسخر فى سبيل ذلك جيشا من العلماء والمخترعين للأبحاث وعددا هائلا من رجال الدعاية لترويج السلع الجديدة .

- ارتباط العالم كله بوسائل مواصلات سريعة تجعل امكان نقل المنتجات إلى أى مكان فى العالم سهلا بنفقات معقولة وكذلك بوسائل دعاية قوية النفوذ والانتشار مثل الصحف والاذاعة والتلفزيون والسينما والمعارض .

- وقيام المتاجر الكبرى والبنوك التى تيسر عمليات البيع والشراء بالتقسيط والقروض وتشجيع ذوى الدخل المحدود على مجاراة ذوى اليسار .

- انتشار التعليم فى المجتمعات أكثر مـن أى وقـت مضـى ومـاأظهره من الأصول الخرافية لبعض التقاليد مما قلل مـن الشـعور بقدسـيتها وأهمية التمسك بها .

وهى أنواع من السلوك الاجتماعى يغلب عليه الطابع النفسى لأنه
رضى مشاعر وجدانية تنشط فى ظروف اجتماعية معينة وتؤدى هذه
لأنواع من السلوك إلى إرضاء هذه المشاعر مثل عادات التزاور
الاحتفاء بالاغراب وأداب الحديث والمشاركة فى العمل والقيام
سلوك معين فى الافراح والمآتم والأعياد والمواسم وتقديم الهدايا
قبولها .

ويتفاوت بناء العادات فى المجتمع ، فبعض العادات تعتبر نظاما
حياتيا سلوكيا يوميا مثل عادات الطهو وطرق تناول الطعام وعادات
لنظافة وغيرها ، والبعض الاخر يعتبر أوضاعا غير دائمة تخضع
للظروف والملابسات . ومن أمثلة ذلك عادة الأخذ بالثأر وعادة رد
العدوان بأشد منه وعادة زيارة القبور ، وعادة الاحتفال بالزار ،
والاحتفال الموسمى بموتى الأضرحة الذين تقام لهم الموالد والأعياد
والاحتفالات .

والواقع أن هذا التقسيم لايقوم على أساس علمى وإنما يستند الى
اساس أخلاقى إذ أن جميع العادات سواء كانت يومية أم غير دائمة
إنما ترجع إلى ظروف اجتماعية بيئية ، وكانت حينئذ ملائمة لتلك
الظروف ولكن تلك العادات ظلت باقية رغم انقضاء ظروفها فكأنها

أثار متحفيه بقيت فى بعض الجماعات التى لم تتطور ثقافتها بتطور ثقافة المجتمع الكلية بل بقيت ثقافتها متخلفة مثل عادة احتفاظ البعض بلبس الطربوش فى مصر وامساك العصا أو حمل المذبة (المنشة) أو اصرار بعض الحجاج على رسم مناظر الحج على منازلهم بعد عودتهم من الحج والتمسك بلقب الحاج .

وقد تلجأ بعض الطوائف والفئات إلى اصطناع عادات معينة تميزهم عن الطوائف والفئات الأخرى مثل عادة بعض رجال الدين فى ارتداء زى معين أو بأرسال اللحية وعادة المحامين واساتذة الجامعات فى ارتداء الروب أثناء المرافعة فى المحاكم أو المحاضرة فى الكلية ومثل عادة المصريين فى احترام الصغير للكبير وعدم التدخين أمامه او التقدم عليه فى السير أو الجلوس أو تناول الطعام أو الخروج او الدخول قبله . وثمة عادات خاصة بالمجامع العلمية والحفلات والجامعات .

وهناك عادات خاصة بمواسم معينة مثل عادات المصريين فى شهر رمضان وفى عاشوراء وفى مولد النبى وفى موالد الأولياء الصالحين وفى حفلات (السبوع) والختان والنجاح فى الامتحانات أو المشروعات ومثل عادات زيادة الاضرحة فى المناسبات الخاصة وزيارة المرضى وحفلات أعياد الميلاد .

ويتميز بناء العادات الاجتماعية داخل النسق الاجتماعى بعدد من الخصائص لعل أهمها :

١- العادات تشير الى أنها سلوك نفسى إجتماعى ينشأ فى المجتمع تلقائيا لأرضاء نزعات نفسية طبيعية .

٢- أن العادات مطلوبة لذاتها وأنها مرغوبة فى كثير من الاحيان ملزمة فان الأفراد يتمسكون بها لرغبتهم فى القيام بها .

٣- أن العادات قديمة وأنها تاريخية بمعنى أنها نشأت فى المجتمع فى ظروف معينة وتوارثتها الجماعات بسب قيمتها الوجدانية .

٤- تتناول التفكير وأنها خاصة بالسلوك العملى أو التفكير أو الاعتقاد .

٥- تتميز بأنها كلية وجزئية فى آن واحد وأنها قد تبقى جزئية أو تعم المجتمع كله طبقا لمدى تجانس ثقافة المجتمع وعدم تخلف بعض الفئات .

٦- تتميز العادات بأنها ديناميكية وأنها آلية بمعنى أنها حركات تتم عندما عندما تستدعى الظروف القيام بها دون أن يفكر الإنسان فى مدى أهميتها أو صلاحيتها للظروف الاجتماعية الجديدة .

٧- يشير استقرارها إلى انها زمنية وأن الزمن يضفى عليها نوعا من القداسة بحيث يصعب التخلى عنها بل وقد ينسبها المتزمتون إلى اصل دينى حرصا منهم على بقائها .

٨- تتمتع العادات بمرونة أكثير من التقاليد والعرف وأن الخروج عليها لايحرج المجمتع بشدة مثلما يحرجه الخروج على التقاليد أو العرف .

٩- تتميز العادات بأنها مجهولة المصدر ولايعرف أحد فى الغالب أصلها ولابدايتها وإذا عرف هذا الأصل قلل ذلك من قيمتها وأهميتها .

بعض العوامل المؤثرة فى التركيب البنائى للعادات واستمراره

يتأثر ثبات التركيب البنائى للعادات بطبيعة حجم المجتمع فكلما قل عدد السكان أدى ذلك إلى معيشة الناس وجها لوجه فى علاقات أولية مما يؤدى إلى ثبات العادات إذ يكون سلوك كل منهم أمام الأخرين مكشوفا وجزاؤه فوريا .

وأنقسام المجتمع إلى طبقات يجعله حربا على بقاء العادات لأنها تعمل على إثبات النظام الطبقى .

وعزلة المجتمع وانغلاقه وعدم اختلاطه بالمجتمعات الأخرى يجعله متمسكا بعاداته لايرى سببا لتغييرها .

كما أن خصائص الحياة البيئية تلعب دورا فى ثبات العادات فى مجتمعات مثل مجتمعات الصيد والرعى والزراعة تجعل العادات تثبت لأن الطبيعة لاتتغير منذ أن قامت الظروف الى خلقت العادات .

وثبات النظم الاجتماعية وعدم الرغبة فى تغييرها بسبب عدم وجود عوامل التغير مثل الاختراعات الجديدة سواء كانت صناعية أم ثقافية يؤدى إلى الثبات النسبى فى التركيب البنائى للعادات هذا فضلا عن استمرار سلطة مدة طويلة فى أيدى اسرة معينة يهمها الاحتفاظ بامتيازاتها التى منحتها اياها الظروف الاجتماعية يجعلها تقاوم كل حركة تهدف إلى تغيير العادات.

ويرى بعض العلماء أن العادة لاتعم المجتمع كله وأنها ذات طبعية نفسية ومن هذا يتضح أن مايراه بعض المشتغلين بعلم الاجتماع من أن العادة الاجتماعية تسود جميع الحالات الاجتماعية ليس الا مبالغة لأنه إذا كانت العادة تعم المجتمع كله فانه من الصعب تعديلها أو تغييرها ثم أنها لن تكون ثمة عادات موسمية والمشاهد أن العادة الجماعية قد تتغير نظرة المجتمع اليها بعد معرفة اصلها أو أهميتها الاجتماعية فيتخلص منها بالتدريج مثلما تخلص المصريون من لبس الطربوش للرجال اليشمك للسيدات ولم يستعيضوا عنها بالنتعة والعادة الموسيقية ليست ملازمة ولا عامة فمثلا الاحتفال شم النسيم فى مصر لايتمسك به كثير من المصريين والفئات المثقفة تستنكر مايقترن به هذا اليوم من عادات أكل الفسيخ والبصل بل وزيارة الحدائق بسبب ماتزدحم به من بعض الجماعات ومايمارسونه من مباذل .

وكذلك الاحتفال باعياد الميلاد فإنه لايقبل عليه سوى الطبقة الوسطى والعليا وهناك عادات خاصة ببعض الفئات أو الأقاليم لايشاركهم فيها غيرهم مثل عادات اعداد الخبز فانها تختلف فى كل اقليم فى مصر عنها فى اقليم أخر كما انه لكل من الأقباط والمسلمين عادات خاصة بهم . فمثلا عادة التدخين منتشرة فى جميع بلاد العالم ومع ذلك فانها لم تصبح تقليدا ، لأن فى العادة عنصرا فرديا تختلف به عن التقاليد وهذا العنصر الفردى هو الذى يجعل العادة تختلف فى‌مدى تمسك الجماعات بها ، وبتغييرها أو تعديلها أو التخلص منها .

ومن شواهد هذه التفرقة بين العادة الاجتماعية والتقليد أنه فى المآتم التى يجتمع فيها النساء قد استعيض فيها اخيرا عن السيدة التى كانت تقوم بالنواح على الميت ويسمونها المعددة " بأمرأة تقرأ القرأن ولم تصبح هذه العادة الجديدة تقليدا لأنها لم تعمم فى المجتمع كله مثلما عمته فى البناء الخاص بالرجال من المأتم حيث اصبح قارئ القرآن فيه من التقاليد الثابتة ولاشك أنه إذ عمت عادة قراءة القرآن فى المـآتم الخاصة بالنساء فان هذه العادة ستتحول إلى تقليد .

ومثال ذلك ايضا أن من العادات المستحدثة فى مصر أن بعض المسلمين يقومون بعقد زواجهم فى المساجد ، ومن الواضح أنه إذا استمرت هذه العادة شملت كل عقود الزواج فان العادة ستصبح تقليدا

بل وقد يصبح من شروط عقد الزواج فى المستقبل أن يكون فى المسجد .

علاقة العادات بالنسق الثقافى فى المجتمع :

هناك علاقة وثيقة بين نمط العادات وطبيعة النسق الثقافى السائد حيث تعمل على تجديد ثقافة المجتمع فكل عادة مستحدثة تؤدى إلى تغيير بعض الأوضاع الجامدة .

وترضى العادة بعض الطوائف التى تسود فيها لأنها تزيد من تضامنهم وتميزهم عن الجماعات الأخرى حتى لايذوبوا فيها ، مثلما يلاحظ فى العادات الخاصة بالاقليات .

وتكشف بعض العادات عن جوانب من تاريخ المجتمع لأنها تنتمى الى حوادث أو عقائد مضت وبقيت هذه العادات كأثار لتلك الحوادث أو العقائد مثل عروسة المولد فى مصر .

وقد تصبح العادة الاجتماعية تقليدا فتعمل على ثبات ثقافة المجتمع واستقرار اوضاعه . وقد تنتهى وظيفتها بانتهاء الظروف التى أدت اليها فتبقى أثارها عاملة على بقاء اوضاع اجتماعية فىنطاق ضيق .

ويؤدى التمسك ببعض العادات القديمة بعد زوال ظروفها إلى بقاء وسائل الإنتاج المرتبطة بها وعدم اندثارها مثل بعض عادات الطهو وماتحتاج اليه من أوانى قديمة .

وتساعد العادات الاجتماعية على بقاء بعض الفنون القديمة واستمرارها مثل عادة لبس الخلخال أو الملاية اللف والتزين بالذهب الكثير عند بعض الطبقات .

ويحدث صراع بين العادة القديمة والجديدة وتنتصر منهما العادة التى توفر الوقت والمجهود لو تكلف زيادة فى المال مقابل دلالتها على مكانة الجماعة التى تمارسها مثل حلول عادة السفر بوسائل الموصلات الحديثة الذى حل محل عادة السفر بالوسائل القديمة .

وتساير العادة الاجتماعية التطور الثقافى والتكنولوجى وتعبر عنه على نحو ما نلاحظ من حلول عادة استعمال المخترعات الحديثة مثل الثلاجة والغسالة والتلفزيون والملابس الجاهزة وقلم الحبر والقلم الجاف والآلة الكاتبة والكمبيوتر . والمصابيح والأجراس الكهربائية والساعات الاوتوماتيكية والأسنان والشعور الصناعية والنظارات الطبية ويرها من الأدوات .

ح) التقاليد

يشير مفهوم " التقاليد " كمفهوم اجتماعى إلى ذلك السلوك الجمعى الذى يشير إلى توحد بعض الفئات والطبقات تحت نمط معين من أنماط ذلك السلوك وتناقله بين الأجيال ، سواء عبر ذلك السلوك عن تعبيرات مادية أو معنوية أو اخلاقية .

فالتقاليد هى سلوك الجماعة بما فى ذلك التعميمات الفلسفية والاخلاقية المراد بها خير الجماعة والتى ترتضى بها هذا السلوك وتلتصق به اثناء نموها .

وينشأ التقليد من العادات الاجتماعية فان العادة تفرضها ظروف إجتماعية معينة فمثلا من المعروف أن سلوك اعضاء الجماعة البدائية وأوفرهم تجربة يستوجب نفوذا عظيما ويؤدى هذا النفوذ إلى قيام عادة أكرام المسنين وتبجيلهم وحسن معاملتهم ويتمسك المسنون بهذه العادة ويبحثون عن أصل لها فى الماضى حتى تصبح تقليدا وينشأ الاطفال ويرون آباءهم يستسلمون دائما لنفس التقليد ويطيعون نفس الاشخاص . ويلاحظون أن الحديث من حق الكبار وحدهم وإذا تدخلوا فى الحديث زجرهم الكبار والزموهم إطاعة هذا التقليد وكذلك يلاحظون مواقف كثيرة تؤكد هذا التقليد وتمتدح من يطيعونه وتذم من يخرجون عليه فينطبع فى اذهانهم (الاطفال) طابع الاحترام للتقاليد حتى ينالوا إعجاب المجتمع وثناءه .

وقد تنشأ التقاليد من عادات فى ظروف معينة وتمسكت بها الجماعة نتيجة استدلال منطقى خاطئ ومن الامثلة على ذلك كثير جدا من التقاليد .

فقد حدث فى مولمبو أن انتشر الطاعون عقب وفاة أحد البرتغاليين فاذا بسائر الجماعات المقيمة هناك تتخذ كل اجراء ممكن لكى لاتترك أى رجل ابيض يموت فى حدودها .

وحدث فى جزر نيكويان أن توفى بعض الأهليين وكانوا على وشك البدء فى صناعة الفخار فكانت النتيجة أن حرمت الجماعة هذه الصناعة وأصبح ذلك من التقاليد المحرمة .

وتصادف أن قدم البيض إلى رجل من البوشمان بأحدى القرى الوطنية عصا مزخرفة ليستعملها رمزا للسلطان ومات الرجل وخلف العصا لولده الذى تصادف أن مات بعده سريعا ، فما كان من الأهلين الا أن ردوا العصا وحرموا على رؤسائهم اقتناءها لئلا يموتوا جميعا.

وكان من تقاليد وسط مدغشقر حتى عهد قريب عدم أقامة بناء من مواد غير قابلة للاحتراق فى أى مدينة استنادا إلى خرافة مأثورة .

وحدث لجماعة من الاسكيمو أن خرجت للصيد فلم تظفر بشئ فرجع أحد أفرادها إلى زحافته وأخذ يأكل فخذ كلب وبينما هو عائد وعظمه الفخذ فى يده صادف أحد عجول البحر وقتله ومنذ ذلك الحين والجماعة لاتخرج إلى الصيد الا ومعها عظمة .

وحدث أن انتشر مرض الجدرى بين الياكوت عقب مشاهدتهم الجمل لأول مرة فباتوا يعتقدون أنه السبب فى الوباء واصبح من التقاليد لديهم تجنب رؤية الجمل والفرار منه .

وتزوجت أحدى نساء هذه القبيلة نفسها رجلا من قبيلتها وتصادف أن فقدت بصرها بعد ذلك بوقت قصير فارجع القوم ذلك إلى انها تزوجت زوجا داخليا وبذلك تمسكوا بتقليد الزواج الخارجى أى من خارج القبيلة .

وقد تنشأ التقليد نتيجة لعقيدة دينية ففى بعض القبائل البدائية يلقون متاع الميت خارج بيته حتى لايرجع اليه بعد دفنه .

بينما كان الأمر فى مصر على العكس من ذلك إذ كان بسبب اعتقادهم فى الخلود ورغبتهم فى رجوع الروح إلى الجسد كانوا يحرصون على التحنيط ويودعون مع الميت كل ماكان يتمتع به فى حياته من اثاث وأوانى وأجهزة وملابس وتاريخ .

وقد أوجدت التوتمية محرمات تتصل بالتوتم - فالهنود يقدسون البقرة ويمنعون استخدامها بينما يستغلون الثور فى أعمالهم ونجد الليبيين يأكلون لحم الثيران دون البقر مثلهم فى ذلك مثل الفينيقيين .

وقد كان من التقاليد الراسخة فى جميع انحاء الهند الجنوبية تحريم قتل الثعبان لاعتقادهم أن من يقتل ثعبانا قصدا أو مصادفة خاصة إذا كان من نوع الكوبرا فانه يلقى فى حياته أو الحياة الأخرى عقابا من ثلاث : العقم أو الجذام أو الرمد .

وفى كل عام يهلك آلاف المرض فى الهند ممن كان شفاؤهم ممكنا لو أنهم تناولوا الغذاء الصحيح وتعاطوا الدواء الذى يصفه لهم الأطباء ولكنهم يعتقدون أنه محرم عليهم لمس هذا الغذاء والدواء .

وبفضل العامة منهم أن يموتوا على أن يتناولوا طعاما أعده أصحاب ديانة أخرى مالم يقدس بتقديمه إلى صنم من أصنامهم .

وهم يفضلون قتل بناتهم على عار بقائهن بدون زواج بعد سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة على الأكثر ولذلك يشيع فى الهند تقليد زواج الأطفال .

ومن هذا يتبين أن التقاليد تنقسم إلى قسمين :-

١- تقاليد توجب القيام بأفعال معينة .

٢- تقاليد تحرم القيام بأفعال معينة .

فمن التقليد الموجبة مايحث منا على الدفاع عن القبيلة والتضحية فى سبيلها واحترام الكهنة وتقديم القرابين وأطاعة الكبار والمشاركة فى الإنتاج والزواج من عناصر محددة وتناول أطعمة معينة فى ظروف معروفة .

ومن التقاليد المحرمة مايعين أشياء يجب الامتناع عنها وبعض هذه المحرمات يمليها الفزع الغامض من الأشباح التى تغضبها أفعال معينة كما تتضمن تلك المحرمات ايضا أفعالا مما أظهرت التجربة تنتهى

بعواقب وخيمة فيما يتصل بالطعام أو الحرب أو الصحة أو التأثير فى عدد أفراد الجماعة .

وتتضمن المحرمات دائما عنصرا عقليا أقوى مما تشتمل عيه الأوامر الايجابية ذلك أن المحرمات تشير إلى السبب كأن تنصب على فعل معين فيه اساءة إلى الأشباح .

وترجع المحرمات البدائية كذلك إلى واقع حياة الإنسان التى كانت تحيط بها المخاطر . فكان طلبه للطعام مقيدا يتجنب النباتات السامة . وصحته يجب ان يحفظها بتحريم مايضرها .

وثمة محرمات أخرى تقوم على منع ماتعود بالضرر على الجماعة مثل المحرمات المتصلة بالجنس والملكية والحرب والكهنة والرؤساء والأرواح .

ويمكن تقسيم المحرمات إلى طائفتين : وقائية وهدامة .

الوقائية : ترمى إلى الحماية والتأمين .

والهدامة : ترمى إلى القمع والأبادة .

وتخضع النساء لبعض المحرمات التى تفرض عليهن باعتبارهن مصدر ضرر محتمل رجال خاصة اثناء الحيض والنفاس .

كما يخضعن لمحرمات اخرى تعفيهن من واجبات الرجال أو تجنبهن مايتعرضون له من أخطار ومن أجل هذا كان الغرض من

التقاليد هو صالح المجتمع عن طريق المحافظة علـى مصلحـة الأفـراد وفق مايخيل للمجتمع أنه يحقق ذلك أى وفق ثقافة المجتمع السائدة .

ويتمسك المجتمـع بالتقـاليد ويحـارب كـل محاولـة لتغييرهـا وذلـك للمحافظة على التنظيم الاجتماعى ثابتـا . ومـن هنـا كـانت الشـدة الـى يقمع بها المجتمع أى سلوك ينحرف عن التقـاليد ، وكـان العنـف الـذى قـابلت بـه العصـور الوسـطى أى نزعـة إلـى تغيير التقـاليد نابعـا مـن الحاجة إلى ارغام رقيق الأرض على الاستمرار فـى العمل الزراعـى إذ كانوا يشقون بهذا العبئ ويلوذون بالفرار عندمـا تمنـح لهـم الفـرص فقد كـانت التقـاليد إذن تعمـل علـى رعايـة مصـالح الطبقـة الحاكمـة وتضمن بقاءها اعتقادا بأن فى ذلك بقاء المجتمع ، وكانت التقاليد قديما وحديثا تسود فى الأوساط غير المتعلمة وفى المجتمعات المتخلفة وفـى القرى أكثر من المدن والمجتمعات المثقفة .

وللتخفيـف مـن صرامـة التقـاليد وضغطهـا علـى النفوس ابتدعـت المجتمعات نظام الأعياد والحفلات الصاخبـة وأيـام المجـون الموسـمية التى يتحرر فيها الناس فترة محددة من قيود التقاليد .

وقد تطورت هذه الاحتفالات فى العصور الوسطى إلى المهرجانات التى كان الحرفيون فى نظام الطوائف يقيمونها للتفريـج عـن همومهـم ومتـاعبهم وإلـى مايسـمى الآن بالكرنفـالات وهـى مناسـبات خاصـة تتراخى فيها القيود الاجتماعية فترة محدودة ويحتفـل الغربيـون بـاليوم

الرابع من يوليو من كل عام احتفالا يتسم بالمرح والانطلاق والمغامرات حيث تباح فيه أمور يمكن أن لايسمح بها فى أى وقت آخر .

ولكن المجتمع يدرك أن هذه المناسبات ليست إلا مسكنات يخفف عن طريقها من الثورة المكبوتة فى نفوس أفراده ضد التقاليد .

ولذلك فإنه يسمح أحيانا بضع التغيير فى التقاليد حتى لايضطر إلى مواجهة المهاجرين منه مثلما هاجر البيوريتان (المتطهرون) إلى نيوانجلند وكونوا مستعمرة جديدة وأن كانوا بسبب تزمتهم قد التزموا بتقاليد لاتقل صرامة عن التقاليد التى تركوها أو يضطر المجتمع إلى مواجهة ثورة عاتية تطيع بالتقاليد الجامدة وتعمل على ارساء تقاليد جديدة مثل كل الثورات التى قامت فى العصر الحديث لتصفية الاستعمار والتقاليد القديمة التى كانت للطبقة الحاكمة .

ومن أمثلة هذا التغيير الذى أحدثته الثورات مالمسته المجتمعات التى عمت فيها الثورة على التقاليد فى البلاد العربية وظهور طبقات ذات قيم جديدة فى طريقها إلى أن تقيم تقاليدها محل التقاليد التى قضى عليها .

٤) العرف :

يشير مفهوم " العرف " إلى خلاصة الحكمة الشعبية التى استخلصها المجتمع من تجاربه فى تاريخه وتطوره الحضارى بين

مختلف المراحل وتشيع هذه الفلسفة فى الأوساط الشعبية خاصة ولهذه فإن الاعراف قد ترجع إلى عقائد اندثرت أو اساطير قديمة أو خرافات كانت من عناصر ثقافة المجتمع فى طور من أطوار مسيرته التاريخية وتبعا لذلك قد يبدو بعضها غير معقول او ظاهر السخف أو مجهول المصدر ولكن المجتمعات وخاصة الشعبية منها تتمسك بالأعراف بقوة وتعيب كل من يخرج عليها . ولاتقدم تبريرا لهذا التمسك سوى أن العرف من تراث الأجدد فقيمته من قيمتهم .

ويعبر المجتمع عن هذه الحكمة الشعبية فى صورة الحكم والأمثال وهى عبارات موجزة مسجوعة غالبا يتداولها الناس فى الظروف التى تتلاءم مع معانيها تعبيرا عن السلوك الذى يجب أن يتبع فى مثل تلك الظروف .

ويمثل العرف جميع النظم الاجتماعية وله فى كل مجال منها رأى ومثل يهدف إلى تثبيت الخبرة الاجتماعية والاستفادة من عبرتها حتى لاتنسى وتكلف المجتمع ثمن تجربة أخرى .

ويمكن تصنيف هذه الحكم والأمثال طبقا لموضوعاتها بين اسرية وتربوية واقتصادية وسياسية واخلاقية وفينة ونفسية وقد ألفت كتب كثيرة فى جميع اللغات تجمع هذه الأمثال وترتبها مبوبة وتفسرها وتقارن بينها وبين مثيلاتها فى المجتمعات الأخرى .

وقد يبلغ العرف مبلغ القداسة ذلك لأنه يعبر عن عقيدة أولئك الذين يعتنقونه ويعدونه عنصرا رئيسيا فى الدلالة على قيمتهم ورمزا كرامتهم ولذلك يطيعونه طاعة عمياء لأن مخالفته انتقاص للشهامة والمروءة .

قهر العرف وقوته :

ويروى كتاب الأمثال اليمانية لقاضى إسماعيل بن على الأكوع اليمنى هذه القصة للدلالة على نفوذ العرف وهى أن مفتى ذمار القاضى ابن احمد العنسى خرج الى البادية لقسمة تركة رجل بين ورثته وتبين لهذا القاضى وهو يقسم التركة أن على المتوفى دينا ينبغى قضاؤه فأخذ يخرج الدين من اصل التركة قبل قسمة الأنصبة على الورثة فاعترضوا عليه ورفضوا قسمته فبين لهم رأى الشرع وحكمه فى ذلك وقرأ عليهم قوله تعالى " **من بعد وصية توصون بها أو دين** " فلم يقتنعوا فأخذ القاضى يتأهب للتخلى عن هذه المهمة وعندئذ تذكر مثلا يعبر عن عرف معين عندهم فقال لهم : أن على بن زيد الحكيم المشهور لديهم يقول : " الدين قبل الوراثة " فما كاد الورثة يسمعون منه ذلك حتى انصاعوا وقالوا له اقسم ياقاضى وهكذا كان للعرف عندهم سلطان فوق كل سلطان .

ونظرا لأن العرف تراث اجتماعى عبر الينا التاريخ ليذكرنا بأفكار قديمة فإنه قد يكون ذا فائدة لنا من ناحية أنه يكون وسيلة للتواصل

الثقافى بين الحاضر والماضى ومنع قيام فجوة بينهما، وبهذا يشعر المجتمع بامتداد جذوره فى أعماق التاريخ واتصال الأجيال اتصالا عرفيا وثقافيا .

(هـ). اللغة كأحد عناصر التراث الثقافي

تعتبر اللغة من أهم عناصر البيئة الثقافية التى نشأت بفضل الحياة الإجتماعية التى تتطلب التعاون والتجاوب فى التفكير والسلوك وتنظيم العمل الجماعى على تحقيق مصلحة المجتمع . وقد ظهرت اللغة فى الجماعات البدائية الاولى فى صورة إشارات وإيماءات بالرأس وحركات من اليدين والوجه والكفين حتى أن إحدى القبائل البدائية فى افريقيا لايستطيع أفرادها التفاهم فى الليل إلا إذا جلسوا حول النار .

وبعد أن تحولت اللغة من مجرد إشارات إلى أصوات ثم تحولت الأصوات من تقليد الطبيعة إلى أصوات رمزية اصطلاحية متفق عليها، تقدمت اللغة نحو مزيد من سهولة الاستعمال ، والدلالة على المعنى المقصود واختصار الحركات والأصوات .

وكانت اللغة فى كل هذه المراحل تنتقل شفاها ويتعلمها الصغار من الكبار بالمحاكاة وتزداد المفردات بالممارسة . اتقانا ووضوحا .

ولما احتاج الانسان إلى تسجيل بعض المعلومات التى يهمه الاحتفاظ بها والتى يخشى نسيانها حاول اختراع الكتابة فبدأ برسم صورة تمثل الاشياء المطلوب التعبير عنها مثلما ابتدأ الكلام بتقليد صوت الشئ المقصود ثم انتقل إلى التعبير عن الأفعال بصورة تمثل حركات هذه الأفعال ، ثم ارتقى من هذه المرحلة التصويرية إلى

مرحلة اختصار الصور إلى جزء منها يدل عليها ثم أكتفى بهذا الجزء وحده كرمز للدلالة على الاشياء والأفعال وهى المرحلة الأخيرة المعروفة بالمرحلة الصوتية التى تدل على الأصوات المختلفة وهى الرموز المعروفة الآن بالحروف الهجائية .

وقد ظهرت أولا فى مصر ثم هذبها الفينيقيون وجعلوها ٢٦ حرفا صامتا ، ثم أضاف اليها اليونانيون الحروف المتحركة واكتملت اللغة كأداة للتفاهم والتعبير والعلم باختراع الارقام وبذلك أمكن التعبير عن المعانى العلمية بالرموز الاصطلاحية المتفق عليها .

واللغة تنشأ وتتطور بتفاعلها مع مختلف الظروف الثقافية والحضارية وتنمو بكثرة الاستعمال واتساع الحياة الاجتماعية وتقسيم العمل ، وتتأثر بما يحدث بين المجتمعات من صراع وحروب فتنتصر اللغة بانتصار اصحابها أو تنهزم بانهزامهم فتتسع دائرة المتكلمين بها أو تضيق وهى فى كلتا الحالتين تتأثر باللغة الأخرى من ناحية الالفاظ والحروف والقواعد والتعبيرات والتراث الثقافى. وقد تموت اللغة المنهزمة وتتلاشى ولكنها تترك بعض الآثار فى اللغة المنتصرة مثلما قضت اللغة العربية على اللغة القبطية واللغة السريانية : وقد تبعث اللغة من جديد لأسباب قومية أو سياسية مثلما بعثت اللغة الايرلندية والتركية والعبرية .

وتزيد اللغة وترقى بدخول الألفاظ الجديدة فيها بحالتها الأصلية ، مثل الراديو والسينما والتلفزيون والمصطلحات العلمية أو بصورة محرفة تلائم اللسان الذى اقتبسها مثل كلمات الفلسفة والديمقراطية والكيمياء والفيزياء والبرلمان والدستور .

وتقوم اللغة بوظيفة الإبداع فى العمل الاجتماعى إذ يتغنى بها العمال أثناء عملهم ويؤلفون حينئذ كلمات تعبر عن انفعالهم السائد ، كما تقوم اللغة بحفظ التراث الاجتاعى ونقله من جيل إلى جيل تال.وتعمل على توحيد الفكر والسلوك وتجانس المجتمع، وتوسيع الحياة بالخيال وتعميقها بالتفكير على اساس استعمال الألفاظ .

وبفضل اللغة ترك لدى الجماعات التراث الثقافى مما أدى إلى استفادة المجتمعات بخبرات بعضها والاضافة إليها وبذلك تقدمت الانسانية وإزدادت مقدرتها على مواجهة الاخطار وتجميع الجهود فى العمل المشترك والتعاون فى سبيل مصلحة المجتمع فى الحال والاستقبال . وتعمل اللغة على توليد افكار عامة ومعانى جديدة عن طريق الاتفاق وتحت الألفاظ وخلق عالم من الفكر المجرد يساعد على سرعة التفكير واستخلاص النتائج العقلية دون اتصال بالواقع المحسوس .

كما تعمل اللغة على خلق فنون جميلة تثرى الحياة الإنسانية وتهذب من الطباع وترقق من اساليب المعاملة وتساعد على تطهير النفوس من هموم المتاعب وشيق الحياة وروتينيتها مثل الشعر والغناء الجميل .

وتتأثر اللغة بالمجتمع بتتفرع إلى لهجات مثلما تحولت اللغة العربية إلى لهجات إقليمية لدى الشعوب العربية الحالية وفى داخل المجتمع الواحد إلى فروع أخرى من هذه اللهجات مثل اللهجات المختلفة الموجودة فى القطر المصرى أو أى قطر آخر . وتدل لهجة كل اقليم على تراثه الثقافى وتاريخه الاجتماعى .

وتؤثر اللغة فى المجتمعات التى تتخاطب بها مثلما تأثرت المستعمرات السابقة فى افريقيا وآسيا بلغت المستعمرين إذ انتقلت اليها مع اللغة اثقافة الدولة المستعمرة وتراثها الحضارى وقيمها الاجتماعية بدليل مايلاحظ من الفرق بين المجتمعات التى كانت خاضعة للاستعمار الانجلزى وتلك التى كانت خاضعة للاستعمار الفرنسى او الاسبانى او البرتغالى .

ويؤدى موت اللغة إلى ضعف التراث الثقافى الذى تحمله، وقد يؤدى إلى نسيانه أو فقده وقد حدث بالنسبة إلى موت اللغة المصرية القديمة ونسيان الشعب المصرى لتاريخه وثقافته اجيالا طويلة حتى اتيحت له الفرصة أن يبعث هذا التراث عندما كشف النقاب عن هذه اللغة بفضل حجر رشيد.

وتدل لغة الشخص على ثقافته ومجتمعه وعصره ومهنته وتربيته إذ يؤثر كل ذلك فى الألفاظ والعبارات التى يستعملها وفى طريقة نطقه لبعض الألفاظ .

وتحمل اللغة مثل سائر النظم الاجتماعية أثرا التجارب والوقائع التى حدثت للمجتمع طوال تاريخه ففى اللهجة المصرية مثلا نجد الفاظا من لغات المجتمع التى احتلت مصر إذ ارتبطت بها برابطة طويلة الأمد ، والفاظا من الأديان والثقافات التى سادت مصر فى وقت من الأوقات .

وتدل اللغة على التطور الحضارى الذى يمر به مجتمعها فتختلف اللغة من الطور البدوى إلى الطور الريفى إلى الطور الحضارى التجارى أو الصناعى .كما تختلف من العشيرة إلى الإمبراطورية ومن الحكم الارستقراطى أو المالكى إلى الحكم الديمقراطى أو الجمهورى حيث يضيف اليها كل عهد من تلك العهود الألفاظ والعبارات التى تشيع فيه ثم لاتلبث تلك العبارات أن تتخذ صورة مجازية بعد انتهاء ظروفها فتدل على معان اخرى متشابهة أو تصبح رموزا لظروف معينة مثلما نلاحظ فى الحكم والامثال التى ماهى الا عبارات خلقتها ظروف تاريخية ثم زالت وبقى المثل أوالحكمة يشير إلى المغزى المستخلص من تلك الظروف .

الفصل التاسع

التغير الاجتماعى

١- مفهوم التغير الاجتماعى.

٢- خصائص التغير الاجتماعى.

٣- عوامل التغير الثقافى وعلاقتها بالتغير الاجتماعى.

٤- بعض المشكلات المترتبة على التغيير داخل النسق الثقافى.

٥- بعض موجهات النسق الاجتماعى للتقدم.

٦- معوقات النسق الاجتماعى.

٧- المعوقات الاقتصادية والاجتماعية لتغير النسق الثقافى.

التغير الاجتماعي

يشير مصطلح التغير الاجتماعى إلى كل تغير يطرأ على الظروف والعناصر الاجتماعية المختلفة بحيث يتناول هذا التغير عناصر البناء الاجتماعى فيحدث بها تغيرات بنائية أساسية فى أشكال لاحصر لها من الوظائف والعلاقات الاجتماعية وغيرها من العلاقات.

ولعل موضوع التغير الاجتماعى من أكثر الموضوعات التى تناولها الجدل فى الفقه الاجتماعى قديما وحديثا من حيث طبيعته وآثاره.

فالبعض يرى أن التغير الاجتماعى يبدأ من الأطر الاجتماعية أولا ثم ينطلق منه إلى الاوضاع الأخرى المختلفة فى حياة الانسان . فالتغير بحسب هذا الرأى يجب أن يصيب أولا البنى الخلقية والثقافية والعلاقات الاجتماعية . ثم ينطلق بعد ذلك إلى الاوضاع الاقتصادية والسياسية ألخ فيؤثر فيها بالتبعية .

ويرى البعض الآخر أن التغير الاجتماعى يبدأ من البنى الاقتصادية أو البنى التحتية أولا ثم يستتبع ذلك بالضرورة تغيرا فى الاوضاع الثقافية والاجتماعية ، وكافة النواحى الأخرى . وهذا هو الاتجاه الماركسى . الذى يذهب الى أن أى تغير لابد وأن يبدأ أساسا

من البنى الاقتصادية أو التحتية والظروف المادية بصفة عامة ، وتستدل الماركسية بشواهد من التاريخ تأييدا لهذا الاتجاه .

غير أن التجربة تدحض هذا الاعتبار الأخير بدليل شواهد التاريخ ذاتها حيث نرى أن ثمة تغيرا اجتماعيا كبيرا قد حدث فى التاريخ ، وذلك أبان ظهور الاسلام والدعوة المحمدية فى شبه الجزيرة العربية ، وكان تغيرا اجتماعيا ثقافيا بمعنى الكلمة وقد بدأ من البناء الفوقى ثم انتقل أثره إلى جميع الأبنية الأخرى فأحدث بها تغييرات جوهرية بقيت آثارها فى التاريخ .

وإذا نحينا هذا الجدل جانبا عن طبيعة التغير الاجتماعى ، واختلاف الرأى حوله ، فأننا نجد أن لظاهرة التغير الاجتماعى ثمة خصائص اساسية تميزها لعل أهمها :

١- الحتمية : حيث أن ظاهرة التغير الاجتماعى تعتبر من الظواهر الحتمية فلا يستثنى منها مجتمع من المجتمعات البشرية ، حتى فى أشد الحالات التى تتمتع فيها المجتمعات بشخصية استكاتيكية، مثل المجتمعات البدائية والمتخلفة .

٢- النسبية : تتسم هذه الظاهرة بالنسبية الزمانية فضلا عن اتصافها بالنسبية المكانية ، حيث تتأرجح وتتقارب بين مجتمع وآخر ومن

وقت لآخر ، ومن حيث مداها وعمقها وتأثيرها في السنن الاجتماعية المختلفة .

٣- صعوبة القياس : تعتبر ظاهرة " التغير الاجتماعي " من الظواهر العصّية على القياس حتى ولو لوادعي البعض بامكان التوصل الى مقياس يحدد درجة التغير وكيف فان مثل هذا الادعاء يجب ان يحاط بكثير من التحفظات ونظرا لأن عملية التغير الاجتماعي من أكثر الاشياء التي تتداخل فيها مع النتائج .

٤- التلقائية : تعتبر ظاهرة" التغير الاجتماعي " من الظواهر التي يمكن أن تحدث تلقائيا في المجتمعات المختلفة ويرى الاجتماعيون الآن أن ظاهرة التغير الاججتماعي تعتبر هي الوضع الطبيعي للمجتمعات اثناء سيرها العادي في الحياة .

وهناك ثمة عناصر تشملها عملية التغير الاجتماعي ومن أهم هذه العناصر مايلي :

١- القيم والاتجاهات والميول الفكرية وأساليب التربية :

٢- أساليب السلوك الفني (التكنولوجي) والاقتصادي والكفاية الانتاجية وأساليبها ومستواها

٣- طبيعة العلاقات بين المجتمعات الريفية والحضرية ودرجة تقسيم العمل واشكاله واسسه والبناء المهنى فى المجتمع والأهمية النسبية لكل قطاع من القطاعات الاقتصادية .

٤- النظام الاجتماعى العام ، وخاصة البناء الطبقى القائم ، ودور الجماعات الموجودة كالاسرة والمجتمع المحلى والاقاليم والدولة .

وإذا كان من أهم ما يميز " التغير الاجتماعىالتلقائية فإن " التنمية" على الضد من ذلك أى لاتتأتى لها التلقائية ، بل تعوزها قوة الدفع ، وتحتاج الى تراكم ثقافى واجتماعى واقتصادى مكثف وكبير نسبيا حتى يمكن لها أن تظهر للوجود العينى .

ومن جهة أخرى إذا كان " التغير الاجتماعى" يمثل ظاهرة حتمية لاتنفك منها واحدة من المجتمعات البشرية ، فأن التنمية تمثل الحاحا شديدا بصفة خاصة فى البلاد النامية التى تنتشر فيها ظاهرة الثنائية الاقليمية .

هذا ولما كانت البلاد النامية تسود فيها ظاهرة الثنائية الاقليمية ، وتتمثل هذه الثنائية فى وجود هوة كبيرة ومتزايدة بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية داخل المجتمع الواحد ، فإن المناطق الريفية تحتاج الى دفعة أقوى لتلحق بغيرها فى المناطق المتقدمة نسبيا ، ولتتحقق بذلك ظاهرة التكامل الاقليمى . ويستلزم ذلك الاخذ بنظام

التخطيط الشامل المكثف فى هذه المناطق وحدها بالاضافة الى نظام التخطيط العام الذى تأخذه به الدول النامية فى أغلبها ، فالمناطق الريفية ينبغى أن تزود بقدر أكبر من الخدمات الاساسية ، وخاصة الخدمات الوقائية مثل تزويد القرى بمياه الشرب النقية ، وبالمرافق الصحية الضرورية ، وتجنيد الحملات القومية للقضاء على الامراض المتوطنة واستئصالمسببات الأمراض .

وليست التنمية مطالبة فقط بتضبيق الهوة بين الريف والحضر عن طريق التخطيط الذى يهدف الى زيادة الخدمات فى المناطق الريفية – ولكن التنمية مطالبة ايضا بأن تنمى لدى القرويين الشعور بالمسئولية والاحساس بقضايا التنمية ، وتنمية روح التعاون بين القرويين وتنمية روح المشاركة فى اتخاذ القرارات ، بل واعدادها وتنفيذها وبصفة عامة المشاركة فى التنمية والتقدم.

وإذا كان مفهوم التغير الاجتماعى يشير الى تحول ثقافة المجتمع يؤدى به الى تغيير المعايير التى يضعها لأنها تلائم الثقافة الجديدة .

وهذا التغير الثقافى ظاهرة اجتماعية طبيعية مستمرة لاتتوقف ولايمكن القضاء عليها فالمجتمع فى تغير دائم مهما كانت حالته من العزلة أو البدائية حتى قيل أن التغير الثقافى الجدير بالدراسة الاجتماعية لأنه يشير إلى التفاعل الاجتماعى والعملية الإجتماعية التى

تتجلى في العلاقات والتبادل والنشاط الاجتماعي عموما وذلك لأن ديناميكية المجتمع تتطلب النظر اليه في حركته المستمرة باعتبار ظواهره حقائق متلاحقة تتضمن كل منها مضمونا ثابتا بان الظاهرة الاجتماعية تتغير في الشكل والمضمون تغيرا مضطردا وهذا التغير لاينبغي النظر اليه من موقف ثابت بل لابد من مسايرته وملاحظة أوجه التغيير المتواصل فيه بملاحظات موضوعية واعية . .

عوامل التغير الثقافي :

يرتبط التغير الثقافي بعديد من العوامل التي تسهم في حدوثه وتحديد خصائصه وأهم مظاهره ومن هذه العوامل :

١- طبيعة الفكر الانساني نفسه لأن الانسان لايكف عن التفكير حتى في النوم ويدفعه التفكير الى العمل ولذلك يميل الانسان إلى أن يغير من اموره حسبما يهديه تفكيره الى مايجب عمله.

٢- الاتصال بين ثقافتين يؤدي الى التلاقح بينهما سواء كان هذا الاتصال عرضا أم مقصودا وهذا التلاقح يؤدي إلى ايجاد ثقافتين متحدتين .

٣- البعثات الدراسية والمهام العلمية تعتبر إحدى الوسائل للاتصال بين الثقافات المؤدي إلى تغير ثقافي من نمط معين .

- الثورة المسلحة بالقوة والحسم تستطيع أن تحرز فى فتره وجيزة ما كانت الثقافة الاجتماعية تتطلع اليه منذ زمن طويل ومنعتها عن بلوغه السلطة الرجعية وثقافة الطبقة الحاكمة وتنجح الثورة اذا تغلبت ثقافتها على تلك الثقافة الجامده وتحدث تغيرات كبيرة وسريعة فى جميع مظاهر الحياة الاجتماعية وعلاقات الافراد فيها ومعاييرهم الثقافية . ويساعد الثورة الجديدة على النجاح أن ثقافتها لاتنشأ فجأة وأنما تنمو بالتدريج فى احضان الثقافة القديمة.

والعوامل البيئية تؤدى الى تغير الثقافة فتحول الأرض إلى رعوية من الصحراء يغير ثقافة المجتمع،وازالة الغابات وتحويلها الى أرض زراعية يغيرمن ثقافة المجتمع وكذلك تحويل الصحراء الى أرض زراعية . ومن أهم العوامل البيئية المؤدية إلى التغير الثقافى مايلى :

أ – المستحدثات والأكتشافات البيئية تؤدى الى تغير البناء الاجتماعى وبالتالى تغير ثقافته فاكتشاف البترول أو المواد الخام فى مكان ما يؤدى الى تغير المجتمع تغيرا كبيرا مثلما حدث ذلك فى الكويت والظهران بالسعودية وليبيا.

ب – استصلاح وتسكين واستكشاف المناطق المجهولة : المنعزلة يؤدى الى تغيير طبيعتها مثلما حدث فى استكشاف استراليا

وأمريكا والجزر النائية فى المحيطات أذ اتصلت بالعالم واستقبلت الحياة الجديدة ومن ثم ترتب على ذلك تغير ثقافى من نوع معين.

حـ- زيادة فهم التحليل الوظيفى للمواد العضوية مثل النار والمعادن والبخار والكهرباء والذرة والكترون والنيترون تؤدى الى تغيرات كبيرة فى ثقافة المجتمعات ، نتيجة لما ترتب على هذا الفهم من تغير فى الصناعة وأدوات الانتاج ووسائل الحرب وعلاقات الشعوب بعضها ببعض.

د- التغيرات الديموجرافية مثل زيادة السكان أو نقصهم أو تغير نسبة الجنسين أو الاعمار المختلفة .

هـ- التغيرات البيئية التى تنشأ نتيجة ظروف معينة مثل الكوارث والأزمات البيئية مثل الزلازل والبراكين وانتشار الأوبئة والأمراض الفجائية فى المجتمع .

ومن عوامل التغير الثقافى على المستوى العالمى مايلى :

التغيير الذى تحدثه الحروب وماتسفر عنه من مخلفات وأنتصارات وهزائم وعلاقات وأفكار وأختراعات فان الحروب تحدث تغيرا فى ثقافة الناس نتيجة مايتعرضون له من اخطار ومايسهمون به فى تكاليف النصر ، فيتقبل الناس هذا التغيير على انه من لوازم الحرب ثم يستمر هذا التغيير بعد انتهائها ويصبح ثقافة جديدة مثل

التغيير الذى لحق موقف المجتمع من المرأة نتيجه جهودها فى الحرب العالمية الأولى والثانية . ومن هنا نلمس سر التقارب فى الزى والمظهر السلوك بين المرأة والرجل فى الدول الصناعية كما أن اختراع بعض المخترعات اثناء الحرب وتحسين مخترعات قديمة مثل الطائرة والنفاثة والصاروخية والغواصة بل والديناميت من قبل أدى إلى استخدامها فى السلم. وأدى أختراع القنبلة الذرية والصواريخ الموجهة الى تغير كبير فى ثقافات المجتمع فامتنعت الحروب العالمية وازدادت حدة الحروب المحلية وزاد الفرق بين الدول الكبيرة والدول الصغيرة مما يؤذن بنوع من الاستعمار الجديد الذى لاتسنده الجيوش وأنما يسنده التقدم التكنولوجى .

وقد أدى هذا بالدول الصغيرة إلى ثقافة اجتماعية جديدة تقوم على توجيه الاقتصاد لمصلحة المجتمع كله ، وزيادة الاهتمام بالتقدم العلمى، والمساواه بين المرأة والرجل لامكان الاعتماد على كثرة العدد فى مواجهة الحرب التكنولوجية والتكتل بين الدول الصغيرة فى منظمات اقليمية ، وإلى نبذ أساليب الديمقراطية ذات المناقشات الطويلة والأحزاب المتعددة وإلى الميل الى اتخاذ أساليب الانتاج الحديثة ورفض كل معوق للتغيير الاجتماعى والفردى .

بعض المشكلات المترتبة على التغيير داخل النسق الثقافى :

قد يحدث التغيير الثقافى مواقـف متعارضـة داخـل النسـق الثقـافى بسبب التمسك ببعض القيم الثقافية القديمة غير المواتية لمسايرة التغير الاجتماعى والثقافى الحادث ومن ثم قـد يظهر ذلـك سببا فـى صـراع اجتماعى حـاد وتسمى حـالات التخلف التـى لاينالها التغيير أو التـى لاتتغير الظواهر المحيطة بها بنفس درجة تغيرها تسمى مشكلات اجتماعية ومن السهل معالجة المشكلات الاجتماعية إذالم نتمسك بالقيم القديمة ونعتبرها غير قابلـة للتغيير ، فإن القيم والمعايير إذا وجدت سارت عقبة فى سبيل التطور الاجتماعى وأدت الـى التخلـف ومن المشكلات الاجتماعية التى تترتب على التغير الثقافى مايأتى :

قد يشمل التغيير الثقافى بعض ظواهر المجتمع دون البعـض الآخر وقد يكون التغيير فى بعضها سريعا وملحوظا بسهولة بينما يكون فى بعضها الآخر بطيئا وغير ملحـوظ ويؤدى هذا الـى مشكلة التنسيق بين درجات التغيير حتـى لايكون التخلـف الثقافى فى احدى النواحى مانعا من الأخذ بالتغيير فى النواحى الاخـرى وحتـى لايؤدى التخلف الثقافى الى تعطل جانب من المجتمع من المساهمة الفعالـة فـى تكوين الثقافة الاجتماعية الشاملة ، وظهور أنماط جديـدة من المعـايير

الاجتماعية فقد تغيرت الأخلاق فى أوربا وخاصة فى ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية بسبب نقص الرجال عن النساء كما تغيرت الحال فى امريكا بسبب نقص الرجال عن النساء بسبب الحرب فى فيتنام وكوريا .

والهجرة وتغيير نوع السكان يؤدى الى نقل ثقافة جديدة كما حدث من المستعمرين ومن المهاجرين والمستوطنين فى امريكا الجنوبية حيث انتشرت الثقافة الاسبانية . وفى جزر الهند الشرقية حيث انتشرت الثقافة الاسلامية قديما .

بعض مظاهر التغير الاجتماعى المترتبة على تغير بعض عناصر البناء الثقافى :

تظهر أشكال وأنماط التغير الاجتماعى فى صور متعددة حينما يتم تغير بعض عناصر البناء الثقافى .

١- قد يكون التغير طبيعيا يسير وفق تطور المجتمع مثل تغير الأسرة إلى عشيرة أو قبيلة الى قرية ثم الى مدينة فإلى دولة وأخيرا لأمبراطورية كما حدث بالنسبة لروما ففى كل انتقال من هذه الانتقالات تتغير ثقافات المجتمع ومعاييره ويقوم صراع بين القديم والجديد يكون فيه كبار السن طبقة المحافظين ويكون الشباب طبقة المجددين وينتهى الصراع الى انتصار الثقافة

الجديدة رغم ماتلاقيه من عقبات ومقاومات كثيرة تبلغ أخيرا حد الاضطهاد ويتم الانتصار عن طريق اصطناع الشباب للثقافة الجديدة وتمسكهم بها وانتشارها بالتقاليد وقد يؤدى ذلك الى موت أنصار الثقافة القديمة فيتناقص عددهم عن عدد الشباب الذين يتزايدون باستمرار والواقع أن مايجعل كبار السن يعارضون الثقافة القديمة هو أنهم يحبون استمرار ماألفوه إذ يصبح لديهم سهل الممارسة أما الجديد فانه يحتاج منهم الى جهد التكيف للجديد والتخلص من القديم والانسان بطبعه وخاصة فى هذه السن يكره بذل المجهود الذى يمكن الاستغناء عنه وكذلك فان كبار السن يعتبرون الثقافة القديمة جزءا من شخصياتهم لانهم الذين صنعوها فكأن كل نقد أو تغيير يوجه اليها يعتبرونه انتقاصا على اشخاصهم وبالاضافة الى ذلك من المعروف ان الانسان يطمئن الى مايألفه ويخاف كل مجهول لديه والمجهول دائما مصدر للخوف .

٢- كذلك يحدث التغير الاجتماعى عندما تتغير ثقافة المجتمع باحد العوامل التى ذكرناها ولكن التغيير يكون فى هذه الحالة ملحوظا بدرجة أوضح ولهذا يكون مقاومته أشد فالبدو مثلا فى بعض البلاد العربية يحتقرون الزراعة والصناعة ويعيبون من يشتغل

بهما . ولكن الظروف أغرتهم باحترافها فتغيرت ثقافتهم كما فى المجتمعات النامية .

- قد يكون التغير سريعا مفاجئا فى الظاهر (كما فى حال الثورات) إذ تفاجىء الثورة المجتمع بقيامها فتلاقى مقاومة شديدة من العناصر التى يهمها بقاء الاوضاع كما هى ولكنها تنتصر على كل معارضة إذا كانت محققة للتطور الاجتماعى الذى تخلف لأسباب ضد ارادة المجتمع،فانجلترا مثلا لم يحدث فى تاريخها سوى ثورة كروموبل التى اعلنت النظام الجمهورى وانتهى هذا النظام بوفاة كرومومل التى اعلنت النظام الجمهورى ولكنها اصبحت اكثر استنارة لأنها لم تتدخل فى الحكم ووجهت اهتماماتها الى مسايرة تغير المجتمع بدل مقاومته.

وثورة ١٦٨٨ التى خلعت الملك جيمس الثانى لأنه أحيا نظرية حق الملوك الألهى فى الحكم وجنح بالكنيسة الانجليزية البروتستنتية إلى شىء قريب جدا للكثلكة فاتفق حزب التورى (المحافظين) وحزب الهويج (الاحرار) على خلعه فى تلك الثورة البيضاء التى عرفت فى تاريخ انجلترا بالتوفيق العظيم لأنها قامت على تراضى المحافظين والأحرار على أن تؤدى الى تغير الثقافة ويحدث الصراع بين اصحاب الثقافة الجديدة واصحاب الثقافة القديمة تكون نتيجة ضحايا من الجانبين حتى فى الاسرة ، اذا دخلتها ثقافة جديدة عن

العلاقات بين افرادها ، وانهيار نظم وقيام نظم أخرى . وكثيرا مالايستطيع بعض الافراد فى المجتمع مسايرة الثقافة الجديدة فلا يغيرون تطبعهم وبذلك يخسرون كثيرا ويخسرهم المجتمع وقد يتعطل كثير من العمال وأصحاب الانتاج لانصراف الثقافة الجديدة عن انتاجهم.

ولاتقضى الثقافة الجديدة على الثقافة القديمة قضاء تاما إذ تبقى من الثقافة القديمة بعض عناصرها القوية التى تواصل حياتها وبذلك تكون عاملا من عوامل النزاع الدائم فى المجتمع ففى كل تغيير اجتماعى تجد من الاشخاص من يظلون على ولائهم للماضى وينبذون النظام الجديد .

ونظرا لشمول التغير الاجتماعى كل جوانب الحياة الاجتماعية ، لأنه يقوم على ايدلوجيه كاملة، فإن هذا الشمول قد يترتب عليه مشاكل فى بعض ميادين الحياة من مادية وروحية وتطلب هذه المشاكل مجهودا دائما من رجال الفكر والآداب فى تزويد أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم بعناصر الثقافة الجديدة وتأكيد ارتباطهم بها حتى لايكون بعضهم فريسة للمشككين فى صلاحية هذه الثقافة أو الداعين الى الفوضى فى ظروف الانتقال حيث تسقط المعايير القديمة قبل أن تثبت المعايير الجديدة .

وتومئ الثقافة الجديدة الى تغير فى اساليب الانتاج لذلك يحتاج الامر الى تغيير هذه الأساليب واصطناع طرق ووسائل جديدة قد تكلف المجتمع كثيرا من التضحيات المادية والنفسية.

وقد يؤدى التغيير الثقافى الى الاستعانة بعناصر جديدة لم تكتسب بعد الخبرةالعالية أو الفنية وان كانت على درجة كبيرة من الايمان والعلم بمعايير الثقافة الجديدةولذلك يحدث النزاع بين الخبرة القديمة بثقافتها السابقة والثقافة الجديدة بخبرتها الضئيلة وكثيرا مايؤدى هذا الى اثار غير محمودة بالنسبة للبناء الاجتماعى .

وليس معنى حتمية التغيير الاجتماعىأن المجتمع مسير بجبرية صارمة وأنما يقصد بالحتمية المعنى العلمى ، الذى يجعلها أقرب الى الاحتمال منها الى الضرورة وفى امكان الزعماء والمصلحين تغيير ثقافة المجتمع وتوجيهها نحو مصلحة المجموع عن طريق وسائل الاعلام والسلطة والقانون إذا كان هذا التغيير متجها نحو مصلحة طبقة واحدة دون غيرها اذ ليس معنى التغيير الاجتماعى التقدم أو الرقى حتما إنما معناه التحول أو الانتقال من حالة الى أخرى طبقا لقيم ومعايير جديدة تجعل الحكم على التغير غير الحكم عليه كباقى المعايير القديمة .

وإذا كان التغير يحدث استجابة لرغبة المنطق الجمعى ، فإن العقول الفردية الممتازة فى المجتمع تستطيع التأثير فى العقل الجمعى وتوجيهه .

بعض موجهات النسق الاجتماعى للتقدم:

هناك العديد من موجهات النسق الاجتماعى نحو التقدم الاجتماعى، ويمكن أن يعرف مفهوم "التقدم الاجتماعى " على انه اسلوب الحياة الذى يحقق الرفاهية للمجتمع ، ولايعد التقدم الاجتماعى حالة راهنة نهائية يصل اليها المجتمع فيرى أنه قد حقق خاتمة الطور الاجتماعى وانما هو هدف متجدد تسعى المجتمعات إلى تحقيقه ، وكلما أدركت شيئا منه تطلعت إلى مابعده فالتقدم الاجتماعى هو الحالة التى أطلق عليها أحيانا لفظ " الحضارة " .

ويرتبط مفهوم " التقدم الاجتماعى " بمفهوم الرفاهية وتقوم الرفاهية الاجتماعية على دعامتين : (١) مادية (٢) ومعنوية .

فالناحية المادية هى التى تحقق لجميع أفراد المجتمع الحصول على قدر كاف من الحاجات الضرورية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ورعاية طبية وتعليم وسائل انتقال يتم ذلك عن طريق التقدم التكنولوجى .

والناحية المعنوية هى التى تحقق للمجتمع العديد من الأسباب الاجتماعية المؤدية للتقدم والرفاهية مثل الاستقلال والسلام مع

الجيران والأمن الداخلى والتوافق بين الجماعات والطوائف داخل المجتمع والمهاجرين خارجه .

وعلى المستوى الداخلى المساواة بين جميع أفراد المجتمع امام القانون ، وحق المحاكمة العادلة ، وكفالة الدفاع لكل من يخطئ فى حق القانون ، والمعاملة الطيبة لأفراد الشعب من موظفى الحكومة وهيئات الخدمات العامة .

ومن الناحية الاجتماعية . اتاحة تكافؤ الفرص الاجتماعية بين الجميع وخاصة بين النوع (ذكر ، أنثى) ، بحيث لايكون هناك أى تفرقة بسبب الجنس أو الدين أو اللون او الأصل الاجتماعى .

ومن الناحية الأخلاقية رجحان الدافع الاخلاقى المتمثل فى الضمير على الخوف من الجزاء القانونى ، بحيث يسود حكم الضمير سلوك الأفراد وعلاقاتهم اكثر من عوامل الضبط الاجتماعى .

وكذلك مراعاة كرامة كل فرد وقيمته الإنسانية سواء من ناحية حياته الخاصة باحترام اسرارها ، أم من ناحية حياته العامة بتمكينه من أداء واجبه على الوجه الأكمل .

وفى المجال السياسى سيادة النظام الديمقراطى بحيث يتاح لكل فرد أن يرى الرأى الذى يهديه إليه تفكيره فى حرية تامة وأن يعبر عن رأيه دون خوف من مصادرة أو اضطهاد وأن يكون له حق ممارسة الطقوس الدينية للدين الذى يعتنقه جهرة ودون مساس من نظرة

المجتمع التى قد تكون مخالفة ، وأن ينتخب من يمثله فى مجلس الشعب انتخابا حرا وأن يكون من حق كل دائرة انتخابية أن تنزع الثقة من ممثلها إذا خان أمانة التمثيل ، أو تحجبها عنه فى الانتخابات التالية.

وأن يكون لكل فرد حق العمل والأجر المناسب لذلك ولكل عمل إضافى ، يقرره قانون العمل من حقوق ، وأن يلتزم بما يفرضه العمل من واجبات .

وأن يضمن كل فرد تأمينا إجتماعيا فى حالات المرض المزمن والعجز والشيخوخة والبطالة بحيث لاتهدد كرامة الإنسان فى مثل هذه الحالات ، ايا كان موقف هذا الفرد من المجتمع .

وأن تهيأ الفرص لتنمية المواهب الفردية وتحقيق ذاتية كل مواطن بتشجيع استعدادته الجسمية والنفسية والعقلية .

والاقتصاد فى الوقت والمجهود والمال فى كل مايتعلق بالخدمات التى يقدمها المجتمع وذلك عن طريق استخدام أحدث الاختراعات فى كل مايمس حياة الناس حتى يعانوا من المتاعب فى العمل أو السكن أو الانتقال أو المعاملة . بينما يعمل العلم والتكنولوجيا على تيسير حياة الناس وتخفيف عوامل الشقاء والمعاناة .

واحترام الملكية العامة والمحافظة عليها ، والإسهام فى رعايتها وتقدها عن طريق المشاركة فى تمويلها وتقديم المساعدات الممكنة لها

مثل التبرع بالجهد أو الخبرة أو المال للمدارس والجامعات ومراكز البحث العلمى .

والحرص على البيئة الطبيعية وعدم الاسراف فى استهلاك موارد الطبيعة والمنتجات الصناعية المستمدة منها .

ولاريب أن تلك العناصر تعد معايير وموجهات للنسق الاجتماعى نحو للتقدم الاجتماعى يقاس بها مدى ماحققه المجتمع من رقى ، كما تعد هذه الموجهات فى الوقت نفسه قيما اجتماعية يمكن للمجتمع الاهتداء بها فى سبيل التقدم الاجتماعى .

ولما كانت كل حضارة تفقد مقومات بقائها عندما يتخلى عن القيم التى نشأت عليها فإن استمرار الحضارة يكون ممكنا إذا تمسكت الأسرة باعتبارها الجماعة الأولى التى يبدأ منها تكوين البناء الاحتماعى بالقيم الاجتماعية المذكورة ويتم ذلك عن طريق استمرار التوافق بين الأسرة والمجتمع وحرص كل منهما على القيام بدوره نحو الآخر ، وإن كان انهيار الحضارة يرجع إلى عوامل كثيرة جدا لاتستطيع الأسرة وحدها تلافيها ، لأنها أول نظام إجتماعى يتأثر بحالة المجتمع.

معوقات النسق الاجتماعى :

هناك العديد من العوامل المعوقات التى تعمل على تخلف النسق الاجتماعى ، ويشير مصطلح التخلف إلى تأخر مجتمع عن المستوى

الاجتماعى السائد فى عصر ما أو هو عدم مسايرة التقدم الحضارى العالمى ، وإذا ماظل هذا التخلف هو النموذج الأكثر صلابة وصمودا كان ذلك معوقا لتغير النسق الاجتماعى .

ويسمى التخلف إجتماعيا لأنه يشمل النظم الإجتماعية التى تطبع المجتمع بطابعها .

وقد يكون التخلف جزئيا أو كليا من الناحية البنائية والمورفولوجية ايضا ، فالتخلف الجزئى هو الذى يصيب جانبا أو أكثر من الجوانب الاجتماعية وذلك عندما يحدث تغيير اجتماعى يتناول بعض الانظمة دون بعضها الآخر أو التمسك بقيم معينة داخل نظام معين . فمثلا كان فى مصر قبل الثورة النظام الاقتصادى يتكون من نظام اقطاعى وزارعة متخلفة تقوم على مايشبه رقيق الأرض ونظام رأسمالى وصناعة حديثة وصناعة متخلفة ونقابات للعمال لاتملك شيئا امام قوى اتحاد الصناعات .

وكان فى مصر نظام سياسى يجمع بين الملكية المستبدة والوزارة المسئولة أمام البرلمان الذى لم يستطيع أن يسقط وزارة واحدة بل كانت الوزارات هى التى تحل البرلمان وكانت الانتخابات مزيفة مع أن الجميع يروجون للديمقراطية وكانت العائلات الكبيرة هى التى تتحكم عن طريق الأحزاب وكان فى مصر نظام للتعليم يجمع بين التعليم الجامعى والعالى مع أن التعليم الإلزامى لم يكن شاملا جميع

أبناء البلاد وكانت نسبة الأمية ومرتفعة جدا خاصة فى الريف . أما التخلف الاجتماعى الكلى فهو الذى يشمل سائر مظاهر الحياة الاجتماعية وهو الذى يدل على التأخر الحقيقى ويقاس هذا التأخر بالعامل الاقتصادى لأنه يترتب عليه سائر العوامل الأخرى ومن الممكن قياسه ومعرفة أثاره بسهولة ويتمثل هذا العمل فى انخفاض الدخل القومى والفردى ونقص فرص العمل وفقر موارد الطبيعة أو عدم استثمار الموجودة منها ونقص الخبرات الفنية والتمسك بتقاليد أو عادات اجتماعية مبددة للثروة المادية أو البشرية ونقص ضرورات الحياة الكريمة من ماء نقى ومساكن صحية وغذاء كاف وملابس لائقة.

المعوقات الاقتصادية والاجتماعية لتغير النسق الثقافى :

هناك العديد من المعوقات الاقتصادية والاجتماعية التى قد تحول دون تغير النسق الثقافى العام ومن أهمها مايلى :

(أ) انخفاض نصيب الفرد من الدخل القومى العام :

إنعدام الثروة الطبيعية للدولة أو إنخفاض الدخل الفردى وقد قدر بعض الاقتصاديين متوسط دخل الفرد فى اليابان بحوالى ٢٩٠٠٠ دولار بينما هو فى الولايات المتحدة ٣٩٠٠٠ دولار . وتبين من دراسة لجنة الإحصاء الدولية فى ٧٠ دولة أن هناك ١٢ دولة يعيش فيها نصف سكان العالم ومع ذلك لايزيد مجموع دخولها القومية عن

٤٪ من الدخل العالمى ويقل الدخل للفرد فيها عن ٥٠٠ دولارا فى السنة وظهر كذلك أن ثلثى سكان العالم يحصلون على ١٥٪ فقط من الدخل العالمى ويبلغ متوسط الدخل الفردى فيها حوالى ٢٠٠٠ دولار سنويا بينما يبلغ متوسط الدخل الفردى في البلاد الشرقية حوالى ١٠٠٠ دولار (باستثناء اليابان وتركيا) بينما هو فى نيوزيلاندا يصل الى ١٢٠٠٠ دولار وفى الولايات المتحدة يزيد على ١٥٠٠٠ دولار . غير الفقر فى الثروة الطبيعية ليس خطرا مثل الفقر فى المواهب والقدرة على الابتكار فبعض البلاد لاموارد لها ولكن تشتغل بالتجارة أو الملاحة أو السياحة .

(٣) عدم مسايرة التغير الاجتماعى أو الوقوف ضده .

فإن التغير الاجتماعى هو الحقيقة الأولى فى المجتمع وأن إغفال هذا التغير أو تجاهله أو التضييق عليه بأى سلطة قانونية أو بوليسية أو منعه من الاتصال بالمجتمعات الاخرى كما فعل الاستعمار العثمانى للبلاد العربية ، أو كما فعلت بعض القوى الاستعمارية فإن نتيجة ذلك هى التخلف ، إذ لايمكن لمجتمع أن يكتفى بنفسه ، فإذا اضطر إلى ذلك نقصت وارداته وصادراته وانقطعت صلته بتطور الثقافة العالمية وذلك يعيش عند المرحلة التى حبس فيها ، بل وقد يتأخر عنها ، ويشمل التخلف جميع النظم الاجتماعية فيفقد المجتمع

طموحه وقدراتــه الإبداعيــة ، ومـايلبث أن يكـون فريسـة لاسـتعمار أو الثورة جامحة .

(٣) الكوارث الطبيعية أو الاجتماعية :

مثل حدوث زلازل أو براكيـن أو سيول أو عوصـف خطـيرة ممـا يؤدى الى تخريب اقتصادى وإنسانى كبير ، وأو حدوث هزيمة حربية قاسية أو ثورة أهلية طويلة المدى ، أو قيام حكومات فاسدة .

(٤) سيادة ثقافة سلبية :

وذلك أن تشيع فى المجتمع ثقافة رجعية أو قـوى متخلفـة أو سـلبية تدعو إلى كراهة الثروة والمتع الحسية وتحبذ الزهـد والرضـا بـالقليل ، والقناعة بمـا هـو كـائن ، وتديـن الطمـوح أو التطلـع إلـى الأفضـل ممـا يؤدى بالمجتمع إلى الإنصراف عن الإنتاج والادخـار وكراهيـة الـترف والفنون مثلما فعلت بعض القوى الرجعية فى دول العالم الثالث واليونان فى بعض العصور .

الفصل العاشر
العمليات الاجتماعية

أ - مفوم العملية.

ب- تصنيف العمليات الاجتماعية.

جـ- العمليات المجمعة:

١- التعاون.

٢- التنشئة الاجتماعية.

٣- التكيف.

٤- التمثيل الاجتماعى.

٥- التواؤم.

٦- المزج الحضارى.

٧- الاتصـال.

د - العمليات المفرقة:

١- التنافس.

٢- الصراع.

٣- الخلل الاجتماعى.

هـ- الضبط الاجتماعى.

المبادئ العامة في العمليات الاجتماعية.

العمليات الاجتماعية

Social Processes

تعبر العمليات الاجتماعية عن مظاهر التفاعل الاجتماعى Social Interaction التى تحدث بين الأفراد، والجماعات والمجتمعات، متخذة في ذلك أشكالاً مختلفة، وتلعب دوراً هاماً في تحديد نوع العلاقات الاجتماعية السائدة بين الناس. ويتوقف على نوع التفاعل ومستواه ومداه، نوع ومستوى ومدى العلاقات الاجتماعية الناتجة عنه، وتعتبر بعض الأشكال التى تتخذها عمليات التفاعل الاجتماعى أشكالاً مرغوبا فيها، والأخرى غير مرغوب فيها، ويتم الحكم على ذلك من خلال نتائج هذا التفاعل، وهذه النتائج نسبية بصفة دائمة.

إن عملية التفاعل هذه قد تؤدى إلى التنافر والتفكك وينتج عنها عمليات منفرة ومفككة (disintegrative) كعمليتى الصراع والتنافس (Conflict, Competation)، وقد تؤدى إلى التجانب والتماسك وينتج عن ذلك عمليات تكاملية رابطة Integrative كعمليتى التوافق والتعاون (Accomodation, Co-Operation)، ويطلق بعض الباحثين والعلماء على النوع الأول من العمليات الاجتماعية، العمليات المفرقة، والنوع الثانى العمليات المجمعة، يؤدى

النوع الأول إلى انحلال البيان الوظيفى للمجتمع، والنوع الثانى ئى الترابط في البنيان الوظيفى للمجتمع.

أى أن العمليات الاجتماعية تعبر عن نماذج من التفاعل الاجتماعى، ومن هنا كانت الثقافة والجماعة والشخصية الإنسانية من هذه الزاوية نتاج تفاعل اجتماعى، وربما كان هذا النتاج الذى يميز التفاعل الاجتماعى الإنسانى عن التفاعل البيولوجى والفزيائى.

وتعتبر العمليات الاجتماعية نتاج للتفاعل الاجتماعى الذى يتم بين عنصرين اجتماعيين أو أكثر (فردين أو مجموعتين أو جماعتين)، هذا التفاعل لابد أن يتسم بصفة الاستمرارية وتصبح له معايير أو قواعد شبه ثابته تنظمه يطلق عليه تسمية العلاقة الاجتماعية Social relationship ويتخذ التفاعل حينذاك صوراً مختلفة تسمى بالعمليات الاجتماعية(١).

مفهوم العملية:

هى سلسلة من الحوادث المترابطة التى تؤدى إلى نتيجة محددة يمكن التنبؤ بها، وهذه السلسلة تتكرر باستمرار مؤدية إلى نتائج محددة(٢).

---

(١) سمير نعيم، أسس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٥٢.

(٢) محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

أو هى "مجموعة من التفاعلات التى تحدث داخل الجماعة في موقف معين" وهى كذلك "مجموعة من المثيرات والاستجابات التى تحدث داخل الجماعة، وتفاعل هذه المثيرات والاستجابات مع بعضها في المواقف التى تمر بها الجماعة".

وتعرف كذلك بأنها "عبارة عن سلسلة متجانسة نسبياً من الظواهر المرتبطة بعلل متبادلة وارتباطات بنائية – وظيفية"(١).

مثال ذلك: التنشئة الاجتماعية: فهى عبارة عن سلسلة طويلة بين الطفل، وبين الذين يربونه بفضل التكوين المتجانس للشخصيات الداخلة في هذا التفاعل وكذلك التربية: هى عملية اجتماعية بحكم أنها عبارة عن مجموعة ظواهر وتفاعلات متتابعة وموجهة نحو تكوين تربوى في الاتجاهات المرغوب فيها.

تصنيف العمليات الاجتماعية:

لقد بذلت محاولات عديدة لتنصيف العمليات الاجتماعية، نظراً لأهمية بل وخطورة هذه العمليات داخل أى مجتمع من المجتمعات، وكان أول هذه التصنيفات هو التنصيف الشكلى التالى:

---

(١) جمال مجدى حسانين، مبادئ علم الاجتماع، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٠، ص ٢١٨.

١- العمليات الجارية داخل الشخصية الإنسانية مثل عملية التعليم الذاتي.

٢- العمليات الجارية في العلاقات بين فردين.

٣- العمليات الجارية في علاقات الفرد بالجامعة.

٤- العمليات المغيرة للتنظيمات والأبنية الداخلية للوحدات الاجتماعية المختلفة.

٥- العمليات المغيرة للعلاقات بين جماعتين أو وحدتين اجتماعيتين.

٦- العمليات المغيرة لبناء وتنظيم المجتمع ككل.

لكن يعاب على هذا التصنيف أنه لا يكشف الطبيعة الداخلية للعملية، ولا عن الدوافع التى ساعدت على تغييرها.

ومن هنا ظهرت محاولات أخرى لوضع تصنيف أكثر دقة، وكان من أبرزها المحاولة القائلة بأن جميع العمليات المغيرة للمجتمع يمكن حصرها في إطار نوعين أساسيين من العمليات هى:

(١) العمليات المجمعة

ومن أمثلتها مايلى:

أ - التقارب.

ب- التكيف.

جـ- التعادل.

د - الوحدة.

(٢) العمليات المفرقة

ومن أمثلتها مايلى:

أ - التنافس.

ب- التعارض.

جـ- الصراع.

وكان نوع من هذه الأنواع ينقسم إلى عمليات أخرى ثانوية، فمثلاً في عملية التقارب رأى عالم الاجتماع الألمانى "ليوبولدفون فيزى" L.V. Wiese أنها تنقسم إلى ثمانية عشرة عملية أخرى ثانوية[1].

ويمكن تصنيف صور وأشكال العمليات الاجتاعية التى تحدث بالمجتمع كمايلى:

أولاً: العمليات المجمعة:

١- التعاون Co-Operation

بما أن التعاون ظاهرة مرتبطة بنشأة التقسيم الاجتماعى للعمل، فهو يعتبر من أهم العمليات المجمعة نظراً لإعادة على الأنشطة

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٢٢١.

والأعمال المتناسقة وأداء المهام الجزئية حتى يمكن أن تحقق الأهداف العاة بصرف النظر عن طبيعتها سواء أكانت أهدافاً سياسية أو اقتصادية أو تعبيراً عن أواصر الزمالة والصداقة.

ويقصد بالتعاون عمل الأعضاء مع بعض في سبيل أهداف مشتركة أو هو عملية تكامل الأدوار حيث يرى التعاون في الآخرين أناساً مختلفين عنه في المقومات والقدرات، فيسعى لتوظيف مقوماتهم وقدراتهم لتحقيق أهداف مشتركة بالتكامل فيما بين قدراته وقدراتهم، ويسعى المتعاون للتكيف مع من يتعاون على عكس المنافس الذى لا يحاول التكيف مع منافسه أبداً، ويمثل التعاون ظاهرة اجتماعية تعكس التأثير المتبادل للأفراد في أداء عمل معين، ويتعلم الفرد عن طريق التعاون الكثير من أنماط السلوك الاجتماعى اللازم لعملية التكيف الاجتماعى. إن المتعاون يرى في الآخرين أناساً غير متجانسين معه فيتخذ منهم موقفاً متعاوناً ليتكامل معهم ويتكاملوا معه هذا ويختلف التعاون من حيث النطاق، فقد يقتصر على أفراد جماعة معينة كفصل دراسى أو أسرة من الأسر، وقد يتسع نطاقه فيشمل اقليما، أو عدة اقاليم، أو عدة دول. ويرجع للأسرة الفضل في ترويض الأفراد على التعاون ويليها في الأهمية الجماعات الأخرى على اختلافها.

أشكال التعاون:

(أ) **التعاون الاختيارى:** مثل تعاون الأفراد في إطفاء حريق، أو التعاون لمساعدة المحتاجين، أو ضحايا الحرب، أو الكوارث ومنكوبيها من سيول وفيضانات وزلازل وغيرها.

(ب) **التعاون الاجبارى:** مثل تعاون العمال في نطاق العمل لتحقيق كفاءة الانتاج.

(جـ) **التعاون التعاقدى:** مثل إنشاء الجمعيات التعاونية.

وفي الحقيقة أن التعاون عنصر دائم في المجتمع حيث نجده في جميع أوجه النشاط الاجتماعى، وأن الحياة الاجتماعية مستحيلة بدونه، ويعتبر قوة موحدة وضرورية لبقاء المجموعات الاجتماعية بل وحتى لنجاحها في صراعها مع غيرها من المجموعات.

أهداف التعاون:

١- أهداف سلبية :

إذا كانت نتيجة التعاون ستؤدى في النهاية إلى الاضرار بالمجتمع ككل مثل تعاون أفراد العصابات الإجرامية، وتعاون المجموعات الاستغلالية في إستغلال وقمع غيرها من المجموعات، بل وحتى تعاون الدول الاستعمارية في تدمير الشعوب الضعيفة واحتلالها وإستغلال ثرواتها وقهرها لأغراض وأطماع سياسية. هنا تكون الأهداف سلبية.

٢- أهداف إيجابية:

أما إذا كان التعاون سيؤدى إلى خير وصالح المجتمع أو إسعاد البشرية كتعاون العلماء في الكشف عن أحدث الوسائل والإكتشافات العلمية للقضاء على الأمراض، أو تعاون المجموعات الثورية في القضاء على الاستعمار والاستغلال والتخلص من إذلال العبودية وكبت الحرية. هنا تكون الأهداف إيجابية.

دوافع التعاون:

(١) تماسك الجماعة مما عمل على إرساء روح التعاون بين أفرادها.

(٢) وجود هدف مشترك بين طرفى التعاون، أى فائدة متبادلة مشتركة.

(٣) اختفاء سمة الحقد والحسد بين أطراف التعاون نتيجة شعورهم الحقيقى بالمساواة في ناتج العمل، ومن هنا فالتعاون أمر مرغوب فيه عن قناعة.

(٤) حين تتحقق الثقة بين طرفين، مع توفير الوسائل والقواعد اللازمة لتأمين الطرفين في آن واحد من أى خلل قد يطرأ على هذه العلاقة، هنا يتواجد التعاون.

(٥) يوجد التعاون إذا تواجدت مجموعة من العلاقات الاجتماعية – واحدة أو أكثر – كالقربى، والجيرة، والصداقة والزمالة يحوطها سياج من التعاطف والمحبة.

(٦) يوجد التعاون حينما توجد قنوات ووسائل لتبادل التفاهم ومعرفة الشريك الآخر.

(٧) يوجد التعاون بعمق بين الشريكين حينما يتجنب كلاهما بعض القيم الخاصة والحد من الإستقلال الخاص بكل منهما في اتخاذ القرارات بدرجة معينة، ومن هنا فالتعاون كنسق من العلاقات والتفاعلات هو نسق غير ثابت ومتغير دائماً.

٢- التنشئة الاجتماعية Socialization

تعتبر التنشئة الاجتماعية من العمليات المجمعة، والتى يبنى على أساسها حضارة أمة وصلاح أجيال نظراً لأنها الركيزة الأولى التى ترتكز عليها مقومات الشخصية.

والتنشئة الاجتماعية هى العملية التى يتم من خلالها نقل التراث الثقافى والاجتماعى للفرد، حيث يشب ويكبر متشرباً ثقافة المجتمع، متعوداً على الأخذ بما تقضى به عاداته وتقاليده وسننه العامة(١)، ويرجع تكامل شخصية الفرد بما تتضمنه من تكيف اجتماعى وأساليب متعددة لتحقيقه بما يجعله قادراً على مواجهة كل التغيرات التى تتطلبها حياة المجتمعات، إلى نجاح عملية التنشئة الاجتماعية.

---

(١) عبد الهادى الجوهرى، أصول علم الاجتماع، ص ٢٥٥

وتختلف عملية التنشئة الاجتماعية من أسرة إلى أخرى، بل ومن بيئة محلية بما تشمله من حجم ووظائف إلى أخرى، فهناك مجتمعات تؤمن بحق الفرد في التطور والتدرج إلى أعلى درجات الدولة، ومن ثم تنشيط الحراك الاجتماعى، بما يشجع الأفراد على تحقيق النجاح والسعى نحوه بكل الوسائل، وهناك مجتمعات لا يسود فيها مثل هذا الاتجاه.

كما أن عملية التنشئة الاجتماعية، والمؤسسات التى تتولاها هى المسئولة عن غرس القيم الايجابية كحب العمل، والصدق، والتعاون، والإيثار، والأمانة، والانتماء بأشكاله، والتضحية، وحب الخير للغير... الخ، في نفوس أفرادها، ومن ثم صلاح المجتمع وتقدمه.

أى أن التنشئة الاجتماعية هى العملية التى تتم بواسطتها بناء القيم الاجتماعية وثقافة المجتمع بصفة عامة داخل شخصية الفرد، وتعتبر اللغة التى يتكلمها الانسان ويستعملها أفراد مجتمعه الأساسى الذى تعتمد عليه التنشئة الاجتماعية، حيث أنه بدون لغة للتفاهم بين الأفراد يتعذر وجود هذه العملية، وتصبح ثقافة المجتمع إن وجدت في هذه الحالة أولية وبدائية بسيطة، لأن اللغة هى الوسيلة التى تنتقل عن طريقها المعلومات وتنتشر بين أفراد المجتمع.

أهداف التنشئة الاجتماعية:

(١) تعليم الأفراد المهارات الاجتماعية التى تمكنهم من الاندماج في المجتمع والتعاون مع أعضائه والاشتراك في نواحي نشاطه المختلفة.

(٢) غرس الأهداف التى يطمع الأفراد تحقيقها في نفوسهم.

(٣) تعلم الفرد أدواره – ما له وما عليه – وطريقة التنسيق بينها وبين تصرفاته في مختلف المواقف.

(٤) تعلم الفرد كيف يكون عضواً في المجتمع، نظراً لتلقينه الطرق الأساسية للمعيشة في المجتمع.

(٥) تقويم سلوك الفرد حين يأتى بسلوك منحرف، حيث يمارس أفراد المجتمع عليه ضغطاً اجتماعياً يمنعه من الإستمرار في انحرافه، ورغم أن هذا التقويم يعود على صاحبه بالنفع إلا أن صالح الجماعة له النصيب الأكبر من الآثار الايجابية لهذا التقويم.

وعلى أية حالة رغم تعدد المؤسسات والجماعات التى تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية، إلا أن الأسرة يقع على عاتقها نصيب الأسد في تلك العملية، فالأسرة هى التى تكسب الفرد اجتماعيته حتى تخلصه من ميول العزلة والأنانية، وتشرف على سلوكه

وتوجيهه، وتلقنه لغتها ودينها، وتعوده على الأخذ بما تقضى به عاداتها وقيمها وتقاليدها، أى أن الأسرة هى المسئول الأول عن عملية ترويض الفرد لكى يكون كائناً اجتماعياً يستجيب لمؤثرات بيئته سواء كانت جغرافية أو اجتماعية ويخضع لأحكامها ومعاييرها[١].

٣- التكيف: Accommodation

يعتبر التكيف من العمليات المجمعة، وتعني محاولة الفرد في التوفيق القائم على التحمل والتضحية لقبول النظم والأوضاع الاجتماعية القائمة، ولو أدى ذلك الى تنازله عن جزء من مصالحه الخاصة.

أى أن التكيف عملية أخذ ورد ودين بين أفراد الجماعة من أجل الإنسجام والملاءمة بين الادارات الفردية المتصارعة، أو بين الهيئات والجماعات المتعارضة في مصالحها الطائفية أو المهنية، أو بين تقاليد قديمة وتقاليد مستحدثة.

وتظهر عمليات التكيف بوضوح في الحالات التالية:

أ - عندما ينتقل الفرد من مجال التحصيل الدراسى إلى الإنتاج والعمل.

---

(١) أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، ص ٩٥.

ب- عندما ينتقل الفلاح من العمل في الزراعة إلى العمل في الصناعة.

جـ- عند الهجرة - أو التهجير والتوطين - لمجتمع جديد، حيث ثقافة جديدة، وتنظيم اجتماعى مختلف عما تعود عليه الفرد في مجتمعه.

د - عندما تتغير ظروف البناء الاقتصادى والسياسى.

كل هذه الحالات تتطلب من الفرد اتفاقات يلجأ اليها بينه وبين نفسه لكى يتخلص من التوتر الذى نجم عن الظروف والحالات التى استحدثت.

الصور التى يلجأ اليها الناس لتحقيق التوافق أو التكيف الاجتماعى:

١- المهادنة Truce

وتعنى الكف عن الصراع الدائر على الرغم من عدم حل المشاكل موضوع الخلاف.

٢- التوفيق Compromise

عبارة عن ترتيب معين يتنازل فيه أحد الطرفين عن بعض مطالبه في مقابل موافقة الطرف الآخر عن التنازل عن مطالبه أيضاً. وفي الوقت نفسه يحدث تسليم بمطالب الطرفين نتيجة لهذا التوفيق. ولعل هذا النمط من التوافق من أهم الوسائل التى تلجأ اليها الجماعة

للإبقاء على تكاملها إزاء المواقف المتعددة التى تعرض لها، وقد تكـون مثار خلاف في الرأى بين الأعضاء.

٣- التحكيم Arbitration

نـوع مـن التوفيـق ذو طـابع رسمـى، ويتـم فيـه قبـول الطرفـين المتنازعين حكم طرف ثالث في موضو الصراع، وقد يكـون التحكيـم ودياً أو ثقافياً، أو نظاميـاً أى يخضـع لإجـراءات معينـة تقـوم بـه هيئـة منظمة، أو أن يكون ذا طابع اجبارى.

٤- التسامح Toleration

نوع من التوافـق تقـرر فيـه الأطـراف المتنازعـة أن يكفـوا عـن الاستمرار في النزاع دون محاولة من أى طرف للتغلـب، أو تعديـل أو قبول أى نمط من أنماط سلوك الجماعات الأخرى التى بدأت بالعدوان أول الأمر، هذا وينطوى التسامح في الوقـت نفسـه علـى قبـول أمـور صعبة أو غير ملاءمـة لأن قبـول عكسـها ربمـا كلـف الجماعـة مشـقة كبرى. لذلك تفضل أن تقبل الأمـر علـى علاتـه مهمـا كـان فيـه مـن قضايا مؤلمة(١).

٥- التبرير Rationalization

وهو عملية نفس اجتماعية لإحلال التوافق محـل النـزاع، علـى

---

(١) محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

أن يتم ذلك على أساس وضع أسس لتبرير هذا التوافق عن طريق ابراز معلومات جديدة عن موضوع الخلاف تعمل على إرضاء الفريقين المتصارعين ويظهر ذلك في محاولات بعض الموفقين بين اليهود والمسيحيين، أو بين المسلمين والمسيحيين عندما يبرزون بعض نقاط التشابه بين كل من العقيدتين، ومحاولات التوفيق بين البيض والسود في أبراز فضل الحضارة الزنجية وما ساهم به الزنوج من إضافات على الحضارة عامة. وهنا تحل الصداقة محل العداء، على الرغم من صعوبة توافر التوافق الكامل نظراً لصعوبة توحيد الفكر بين الأطراف المتصارعة، وظراً لأنهم وان كانوا سيعملون معاً ويخدم كل منهم الآخر إلا أن كلاً منهم سيظل محتفظاً بطريقته في التفكير وبوجهة نظره.

٦- الوساطة Mediation

ظهر هذا الشكل نتيجة رغبة الجماعات والأفراد لإنهاء خلافاتها، حيث تقوم الوساطة على أساس الجمع بين الأطراف المتنازعة من أجل الرغبة في حل خلافاتهم. ويمكن للوسيط أن يقترح أساساً للتوفيق إذا لم يتمكن كل من الفريقين من الاتفاق على أسس معينة. واقتراحات الوسيط في هذه الحالة غير ملزمة لأى من الطرفين، ومن أشهر الخلافات التى استخدمت فيها الوساطة على المستوى الدولى هو ذلك الصراع الذى دار في فلسطين بين العرب واليهود،

حين أرسلت الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ وسيطاً من طرفها من السويد واجتمع بالطرفين وخرج بمجموعة من الاقتراحات لحل المشكلة، لكنها لم تجد قبولاً من كلا الطرفين. وحدث نفس الشئ حين توسطت مصر لحل النزاع بين الهند وباكستان، وتوسطها كذلك لحل الخلافات بين دولتين من دول الخليج العربى هما قطر والسعودية خلال التسعينات من القرن العشرين.

أنواع التكيف:

ينقسم التكيف إلى نوعين:

١- النوع السلبى:

وفي هذا النوع يكون الفرد خاضعاً ومستسلماً للوسط الذى يوجد فيه (من مناخ وطبيعة وثقافة) ويلعب هذا الوسط دوراً ضاغطاً على الأفراد الذين يعيشون داخله حتى يطبعهم بطابعه، ويلائم أمزجتهم وأخلاقياتهم بما يتمشى مع ما يمليه عليهم.

٢- النوع الإيجابى:

وهذا النوع عكس السابق، حيث يكون للفرد تأثير واضح على كل من حوله، حيث يقوم بتغيير الوسط الذى يعيش بداخله، بل ويقوم بتسخيره والتحكم فيه قدر الإمكان وافقاً لقدرات الفرد وثقافته.

وفي هذه الحالة نجد لفظ التأقلم أقوى دليل ينطبق على هذا النوع الإيجابي.

تعقيب على التوافق والتكيف:

يخلط البعض بين مفهومي التوافق والتكيف، ولكن للكاتب وجهة نظر خاصة في هذا الشأن، وهى تفضيل لفظ "توافق" في علم الاجتماع، عن لفظ التكيف. ولكى تتضح الصورة سيعرض الباحث المفهوم العلمى الدقيق لمصطلح التوافق الاجتماعى والمتعارف عليه بين المشتغلين بعلم الاجتماع.

فالتوافق لغوياً مشتق من مادة (وفق) التى تعنى القبول والالتقاء، ففى المصباح المنير: وفق: وفقه الله توفيقاً سدده، ووفق أمره، يفق بكسرتين من التوفيق، ووافقه موافقة ووفاقاً، وتوافق القوم واتفقوا اتفاقاً، ووفقت بينهم أصلحت، وكسبه وفق عياله أى مقدار كفايتهم.

وفي أساس البلاغة للزمخشرى: وفق وافقته على كذا، وبينهما وفاق: وهما متفقان ومتوافقان، وجاء القوم وافقاً: أى متوافقين.

وفي المعجم الوسيط: التوفيق (في الفلسفة) أن يسلك المرء مسلك الجماعة ويتجنب ما عنده من شذوذ في الخلق والسلوك.

وفي الإنجليزية Adjust يرتب، ينظم، ينسق، أو Adapt يتكيف لمستوى أو غرض معين. وفي الفرنسية Agjuster من اللاتينية Apjnstare، وفي الفرنسية الحديثة Ajouter من اللاتينية القديمة Ad (Juxtare) بمعنى يوفق، من الكلمة Juxta التى تعنى قريب.

فكلمة التوافق Adjustement، إذن تعنى لغوياً التقريب والوفاق والانسجام والتضامن بين طرفين، أو العلاقة المتناغمة مع البيئة الاجتماعية تتضمن القدرة على إشباع أغلب حاجات الفرد والإجابة على أكثر المتطلبات الطبيعية والاجتماعية.

ويقصد به أيضاً تلك التغيرات والتعديلات السلوكية الضرورية لإشباع الحاجات والإجابة على المتطلبات مما يمكن الفرد من إقامة علاقة متناغمة مع البيئة .

ويعرف التوافق في علم الاجتماع بأنه: "علاقات منسجمة نسبياً مع الأفراد والجماعات، وهى العمليى التى يلجأ إليها الإنسان ليتمكن من الدخول في علاقة توازن أو انسجام مع من حوله، مع ضرورة توفر الشروط لتحقيق هذه العلاقة".

ويشير كذلك إلى الامتثال للمعايير والتوقعات السادنة في

الجماعة التى يعتبر الفرد عضواً فيها(١). أو هو: "الرغبة في التفاهم والاستقرار الاجتماعى بين الفرد والجماعة التى يعيش فيها"(٢).

أما لماذا التوافق الاجتماعى دون التكيف الاجتماعى، وهو أنه رغم التقارب الشديد بين المصطلحين، يصعب أحياناً التفرقة بينهما على أساس أن كليهما يعنى التآزر والانسجام، والمسايرة، والتلاؤم، والتآلف والميل إلى المشاركة والتعاون وكلها مصطلحات تقابل المصطلح الإنجليزى **Conformity**.

ولكن نظراً لأن مفهوم التكيف يستخدم بكثرة في دراسات علم النفس الاجتماعى، إذا ما قورن بالدراسات في مجال علم الاجتماع، فقد تعارف دارسو علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع، على أن التكيف مفهوم اشتق أصلاً من العلوم البيولوجية، حيث كان حجر الزاوية في نظرية (تشارلز دارون) عن التطور عام ١٨٥٩م.

---

(1) Anand G. Chandavarkar, "Use of Migramt's Remittances in Labour Exporting Countries" Finance and Development (International Monetary Fund and Word Bank) Vol. 17, No. 2 (June 80), p. 18.

(٢) مصطفى فهمى، التوافق الشخصى والاجتماعى، ط ١، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٧٩، ص ٢٢.

ومن هنا فالتوافق الاجتماعى مفهوم سوسيولوجى أكثر منه مفهوماً بيولوجياً، على العكس من مفهوم التكيف الاجتماعى الذى يعتبر مفهوماً بيولوجياً أكثر منه سوسيولوجيا.

هذا إلى جانب أن مفهوم التكيف يميل إلى البحث عن علاقة الإنسان بالظروف الطبيعية التى يعيش فيها، بينما التوافق يكشف عن علاقة الإنسان بالبيئة الاجتماعية والثقافية التى هو أحد مكوناتها(١).

٤- التمثل الاجتماعى Social Assimilation

وهو أيضاً من العمليات الاجتماعية المجمعة، وأصوله تمتد من استعارته من علم الفيزيولوجيا، أو علم وظائف الأعضاء، حيث يقوم الجسم بعملية تمثل المواد الغذائية التى يتناولها، عن طريق عملية الهضم، فى بداية الأمر يكون الغذاء فى شكل مواد غريبة غير قابلة للتمثل بشكلها الأساسى وبعد عملية المضغ والهضم يتحول الغذاء إلى

---

(١) انظر فى ذلك:

- عبد المنعم المليجى، النمو النفسى، ط ٤، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧١، ص ٣٧٦.
- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ١٨.
- مصطفى فهمى، الصحة النفسية، دراسات فى سيكولوجية التكيف، القاهرة، مكتبة الخانكى، ١٩٧٦، ص ١٩.

مواد مختلفة سهلة الامتصاص ويتمثلها الجسم لكى تصبح جزءاً من بنيته وتكوينه.

وفي علم الاجتماع يستخدم اصطلاح التمثيل ليشير إلى عملية التكيف المتبادل التى تقلل عن طريقها الجماعة تعارضها واختلافاتها مع الجماعات الأخرى بالصورة التى لا تعد فيها هذه الاختلافات ذات تأثير أو أهمية اجتماعية ملحوظة، ويحدث هذا عند إحتكاك ثقافات مختلفة في المجتمعات الكبيرة التى يفد إليها بين حين وآخر جماعات ذات ثقافات مختلفة، أى أنه عملية امتصاص وهضم الأفراد لعناصر ثقافية وحضارية ونظم اجتماعية دخيلة على تراث ثقافتهم الأصيلة.

بمعنى آخر إن التمثيل الاجتماعى حالة من التقبل تتولد لدى الأفراد والجماعات لمسات ثقافية من جماعات أخرى نتيجة إتصالهم الاجتماعى بينهم.

ويعمل التمثل الاجتماعى كعملية اجتماعية على امتصاص الاختلافات والتناقضات التى توجد بين العناصر أو الجماعات المختلفة الموجودة في المجتمع، ويسعى كذلك إلى زيادة مظاهر التوحد والانسجام في مكونات هذه العناصر المختلفة (أفكارها وقيمها واتجاهاتها) من أجل تيسير عملية الامتصاص والاندماج التى ستؤدى

إلى تحويل الجماعات الغريبة إلى جزء من بنية المجتمع وتكوينه، ومتجانسة مع بقية عناصره. وتعد اللغة المشتركة كعنصر أساسى لحدوث التمثل الاجتماعى، لأن اللغة تسهل المشاركة في حياة الأخرين، ويكون الاتصال الشخصى المباشر أكثر أنواع التمثل تأثيراً. ومن الملاحظ أن عملية التمثيل لا تحدث فجأة ولكنها تتطلب وقتاً، وخاصة بالنسبة للمهاجر، وتكون عملية التمثل ناجحة بقدر ما تحقق الانجسام والاندماج والتوحد بين العناصر أو الجماعات الطارئة أو الغريبة والمجتمع أو الجماعة المضيفة في قيمها واتجاهاتها وأهدافها وتطلعاتها. ويمكن لجماعتين معينتين أن تنطبق عليهما عملية التمثل إذ ما اندمجتا تماماً، واختفت الحدود والمفارقات والتناقضات التى كانت تفصل بينهما، وإذا ما اتجهنا إلى التوحد في جماعة أو مجتمع واحد لتحقيق أهداف وغايات مشتركة.

ومن الأمثلة على عملية التمثيل الاجتماعى ما حدث لبعض المهاجرين من مدن القناة أثناء الحرب مع إسرائيل حيث ذاب هؤلاء المهاجرون في مدن وريف مصر، بل وتزوجوا منهم وتقبلوا ثقافة هذه الجماعات التى هاجروا إليها.

ونفس الشئ بالنسبة للفلسطينيين الذين تركوا ديارهم رغم أنفهم بسبب الاحتلال الإسرائيلى، وذهبوا واستقروا في أقطار

عديدة، واندمجوا في بعضها وتزوجوا منها، وحدث ما نسـميه التمثل الاجتماعى.

العوامل المؤثرة في عملية التمثيل الاجتماعى:

من العوامـل التـى تؤثـر في عمليـات التمثـل الاجتمـاعى سـلباً وإيجاباً مايلى:

(١) التسامح.

(٢) التعصب.

(٣) العزلة والاندماج.

(٤) التشابه الحضارى.

(٥) التباعد الحضارى.

(٦) مـدى الإختلافـا أو التقـارب في السـمات الخلقيـة: كـاللون والطباع والعادات، والدين، والتقاليد... الخ.

(٧) الإختلاط البيولوجي: الزواج بين أفراد شعبين مختلفين.

(٨) مدى الشعور بالبعد الطبقى أو الاجتماعى.

(٩) تكافؤ الفرص في النشاط الاقتصادى.

(١٠) موقف السلطات المحلية.

(١١) التواصل والإعلام(١).

---

(١) توفيـق مرعى وأحمـد بلقيـس، الميسـر في علـم النفـس الاجتمـاعى، ط ٢، الأردن، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٤، ص ٨٧.

٥- التواؤم Sccomodation

وهو من العمليات الاجتماعية المجمعة، ويقصد به العملية التى تتم بها تهدئة الصراعات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات تهدئة وقتية، وقد تستمر لفترة قصيرة، أو تمتد لفترات طويلة من الزمن، وتحدث هذه العملية حين تدرك الأطراف الداخلة في الصراع أن من مصلحتها تهدئة هذا الصراع حتى تستطيع تحقيق أهداف حيوية لها، ويحل التواؤم محل الصراع بحيث يكون التفاعل سليماً بين الأطراف المتصارعة، ولكن دون حل نهائى لأسباب الصراع.

ويحدث التواؤم من خلال إجراءات معينة مثل الهدنة بين الدول أو المجموعات المتحاربة، واتفاقيات وقف اطلاق النار، ومثل الحلول الوسط، حيث يقبل كل من أطراف الصراع تحقيق جزء من أهدافه فقط مقابل إيقاف أو تأجيل الصراع، ومن هنا يكون تنازل كل طرف عن بعض أهدافه متناسباً مع قوته الفعلية في الصراع، فالطرف الأقوى يتنازل عن أهدف أقل بينما الأضعف يتنازل عن أهداف أكبر، ويعد التسامح خير مثال لصور التواؤم، حيث يتقبل كل طرف الآخر - دون إصرار - على تسوية الخلافات[١].

---

(١) سمير نعيم، أسس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٥٦.

٦- المزج الحضارى Acculturation

وتحدث هذه العملية بين عدد من المجتمعات ذات ا‍‍ـ ـ
المختلفة، إذا ما اتصلت ببعضها، فتتأثر كل حضارة بالأ‍ـ ـن
طريق الإعارة والاستعارة، دون أن تفقد أى من تلك الحـ ـت
مقوماتها ومظهرها الأصلى، ودون أن تندمج إحداها أو تـ ـر في
الأخرى انصهاراً كلياً.

ومن هنا تختلف عملية المزج الحضارى عن عملية التمثل في أن الأولى تسمح بإختلاط الأجناء المختلفة، بينما تلجأ الثانية إلى امتصاص الأجناس، هذا بالإضافة إلى أن عملية التمثل لا يمكن لها أن تنجح في العادة إلا إذا كان هناك اختلاط بيولوجى، بينما نجد أن عملية المزج الحضارى يمكن أن تتم بدون هذا الاختلاط البيولوجى، وفي نفس الوقت فعملية المزج الحضارى تعتبر مرحلة سابقة أو ممهدة لعملية التمثل، إذ أن ما يحدث خلال عملية المزج ما هو إلا مجرد حدوث تعديلات معينة في أى من الحضارتين أو في كليهما ولكن دون أن يحل محلها شكل جديد يغنى عن الشكلين الأولين كما يحدث في عملية التمثل حيث نجد أن الصفات الحضارية قد اندمجت تماماً بعضها ببعض، وانتهت بذلك إلى صفات حضارية جديدة[١].

---

(١) عبد الحميد لطفى، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٥٨.

٧- الاتصال:

يعتبر الاتصال من العمليات الاجتماعية الأساسية، حيث يستحيل فهم المجتمع دون الوقوف على جوانب تلك العملية، فهى لا تشتمل فقط على اللغة المنطوقة، وإنما أيضا على التلميحات والتعبيرات التى تقوم في بعض الأحيان بتوصيل بعض المعانى بشكل أكثر دقة من الكلمات نفسها.

وتنقسم عملية الاتصال إلى عنصرين أساسيين: أحدهما يؤدى إلى التماسك، والثانى يؤدى إلى التفكك، ويمكننا التسليم جدلاً بالعنصر الأول وهو أن عملية الاتصال تؤدى إلى التماسك والتكامل، ولكن الحقيقة الحرفية أن الناس في المجتمع يتحدثون بأكثر من لغة، ويبدوا ذلك واضحا عندما تكون الفروق الفردية في المجتمع حادة ومتدرجة، ولا توجد وسائل للتواصل بين أقليم وآخر، أو أن لغة التخاطب في إقليم ما تكون مفهومة بالنسبة لهذا الأقليم فحسب، وليست كذلك في الأقاليم الأخرى، غير أن الوظيفة المفرقة لعملية التواصل تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فمنذ عهد بعيد لاحظ "كونفوشيوس" أن المشكلات السياسية كانت ترجع إلى سوء فهم الكلمات والمعانى، بالإضافة الى جانب آخر أكثر سوءاً، وهو التشويه المتعمد للكلمات عن طريق جرأة رجال السياسة، والمتخصصين في الدعاية، والمتخصصين في اعداد المسرحيات والتعليقات والتمثيليات،

وكل ما يعرض في وسـائل الاتصـال الجمعى لاعطائها معـان جديـدة للتأثير في سلوك الجماعات، ولإشاعة العداوة والبغضاء بين الجماعات والشعوب(١).

ثانياً: العمليات المفرقة:

١- *التنافس*:

عرف "بيرجس ومارك" التنـافس بأنـه "عمليـة أساسية يتوقـف عليها نظام التوزيع في المجتمع سواء ما تعلـق بهـذا التوزيـع بـالدخول، اعداد الأفراد، المهنى، كما يؤثـر التنـافس علـى نظـام تقسـيم العمـل وكذلك تنظيمات الأفراد.

أو هو "محاولة الأفراد أو الجماعات في تحقيـق أهدافهـم المحـددة بالنسبة لمجموع الطلب عليها عن طريق جهودهم المتعارضة.

أو هو "سباق للحصول علـى شئ لا يتعـادل العـرض فيـه مـع كثرة الطلب عليـه، فمثـلاً: تظهـر المنافسـة في بعـض المجتمعـات التـى تتميز بوفرة في عدد الأفراد القادرين على العمل، ولكن فرص العمـل المتاحة بهذا المجتمع أقل كثـيرا مـن أن تسـتوعب كـل هـؤلاء الأفـراد فيها"(٢).

---

(١) محمد عبد السميع عثمان وعلى الكاشف، علم الاجتمـاع العـام، القـاهرة، ١٩٩٤، ص ١٦٤.

(٢) أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٩٩.

ويظهر التنافس نتيجة ندرة السلع المطلوبة، وقلة المراكز والخدمات المرغوبة، وتدعم العادات والقانون النضال من أجل الحصول على هذه السلع النادرة أو شغل المراكز المحدودة، وتضع هذه العادات والتقاليد القيود أمام التنافس المطلق، وغير المطلق وغير المقيد بل نادراً ما يحدث مثل هذا النوع من التنافس حتى في الأفعال الاقتصادية، يحرم على أعضاء المجتمع التنافس بلا قيود ولا ضوابط إذ تحدد بعض القيود الاجتماعية اطار عملية التنافس.

والتنافس عملية محببة الى النفوس، لأنها تؤدى إلى اطلاق القوى الكامنة في الأفراد واعمال قدراتهم المبتكرة والخلاقة، واستغلالها في أكمل صورة، ولهذا يعتبر التنافس منشطا للقوى والامكانات، دافعا الى الرقى والازدهار مادام في حدود المعقول، أما اذا خرج عن حدوده انقلب الى صراع مخيف، ويظل التنافس عملية سليمة العواقب مادامت ذات هدف واحد يخدم الجماعة، وينبع من تطلع الأفراد نحو الأفضل، أما لو انقلب التنافس لتحقيق أهداف فردية دون التزام بقيم الجماعة وأخلاقها ومصلحتها؛ أصبح منبعاً للشقاق والتفرقة ومن هنا يصبح عملية سلبية مفرقة، والتنافس موجود في كل أنشطة المجتمع كالتنافس بين الطلاب على المركز الأول، وبين الفرق الرياضية، وبين العلماء، وبين المصانع والشركات والمؤسسات المختلفة. ولكى يؤدى التنافس وظيفته الاجتماعية لابد

وأن يكون بين طرفين متعادلين، لأن عدم التكافؤ بين المتنافسين يؤدى إلى انتصار الأقوى واخراج الضعيف من الميدان دون مقاومة تذكر، ويترتب عليه احتكار الأقوى الميدان، ويتحكم في مصائر الناس وما ينتج عن ذلك من سلبيات على المجتمع.

وفي هذا الصدد فالكاتب يؤكد على دور التنشئة الاجتماعية في دفع الأفراد الى التعاون أو التنافس وذلك وفقا للعادات والاتجاهات والقيم التى تكسبها للأفراد، ففى مجتمع أمريكا يوجد التنافس في اشد صوره لجمع الثروات، بينما العكس عند بعض قبائل الهنود الحمر، حيث كانوا يتنافسون في انفاق ثرواتهم، بل ومن العار عندهم أن يموت الانسان غنيا.

أنواع التنافس:

١- منافسة انسانية (ايجابية) Instructive

وهى ما نشاهده في منافسات الفرق الرياضية، حيث لابد من التضامن والتعاون وتنسيق الجهود بين أفراد الفريق من أجل صالحهم العام، وذلك وفقا لقواعد وتقاليد تهيمن على مسيرة هذا التنافس، مع ملاحظة تقارب أطراف المنافسة حتى يكون احراز الانتصار لأحد الفريقين انتصارا نسبيا، لا يوقع ضررا بالغاً بالطرف المهزوم، وانما ينمى المهارات والقدرات.

٢- منافسة هدامة (سلبية) Destructive

وتوجد حينما يكون نجاح أحد المتنافسين على حساب هلاك الآخر والخلاص منه، وهنا يتحول التنافس من إسعاد للمجموع الى صراع من أجل التفوق، كما نشاهده أحيانا في حلبة الملاكمة.

٣- الصراع Conflict

وهو أخطر العمليات الاجتماعية نظرا لنتائجه السلبية الناجمة عنه لكونه تصادما بين القوى الاجتتماعية حينما تتحول المنافسة من انسانية ايجابية الى شكل هدام، ومن هنا يحاول المتنافسون القضاء على الخصم ومن ثم الانقياد للأهواء الجامحة التى تسيطر عليهم، بل ويحكمهم مبدأ البقاء للأقوى، ويستغل كل طرف جميع الوسائل والطرق المشروعة والمحرمة للقضاء على الطرف الآخر المتصارع معه، بما في ذلك القتل، والاغتيال، والدسائس، والمؤامرات، والخيانة، والتصنت، والفتن... الخ.

ويعرف الصراع بأنه "العملية التى من خلالها يرغب كل فرد أو جماعة لتحقيق أهدافه الخاصة عن طريق ابعاد الخصم أو تحطيمه والقضاء عليه والذى يرغب في تحقيق الأهداف نفسها".

سماته:

(١) معرفة الخصم جيداً.

(٢) التحديد الدقيق للموقف القائم على تقييم الخصم من خلال المتناقضات الموجودة بين رغبات وأهداف كل من الطرفين.

أسباب الصراع:

(١) الرغبة في السيطرة والنفوذ والثروة.

(٢) تعارض المصالح لطرفين متنافسين.

(٣) تأصل الذاتية والأنانية وسيطرتها على الغيرية.

أشكال الصراع:

١- *الصراع الذاتي:*

يوجد هذا النمط في نفس الفرد، عندما يجد نفسه في موقفين متناقضين يتطلب أحدهما سلوكا معينا، ويتطلب الآخر سلوكا آخر غير منسجم مع السلوك الأول وقد يكون التنافس جسديا أو اجتماعيا أو نفسيا.

مثال ذلك: الصراع الداخلي لدى الإبن بين رغبته في الاستقلال ورغبته في الاعتماد على والديه وإرضائهما، أو الصراع بين شهواته المتعددة والخوف من الضمير.

٢- *الصراع بين الاشخاص:*

ويحدث بين فردين بينهما كراهية وعداء بسبب أو بدون سبب، ومن ثم يحاول كل طرف تدمير الطرف الآخر والقضاء عليه، بل وإذلاله بشتى الوسائل.

٣- **الصراع الطبقي:**

هذا النوع يوجد في المجتمع الواحد، بين الطبقات المتفاوته، حينما تشعر إحدى الطبقات أنها أكثر رقيا وحضارة من الأخرى، الأمر الذى يدفعها للتخلص من الطبقة الأدنى حتى تتقى شرها أو على الأقل تسخيرها لخدمتها.

٤- **الصراع السياسي:**

يوجد هذا النوع على المستويين المحلى داخل الدولة الواحدة كما هو مشاهد من صراع الأحزاب السياسية المتصارعة، أو على المستوى الدولى بين دولة وأخرى ويتمثل مظاهر النوع الثانى في الحملات الدعائية، وتبادل التهديدات والحروب الصغيرة والكبيرة والحصار الاقتصادى... الخ.

٥- **الصراع الديني:**

وهذا النوع عرفته المجتمعات البشرية عبر المراحل التاريخية القديمة حتى الآن، على سبيل المثال الحروب الصليبية، والفتن الطائفية، وصراع طوائف الأديان.

٦- **الصراع العرقي (الاجناس):**

ويحدث هذا النوع حينما يشعر أحد الأجناس بأنه أكثر تفوقا على جنس آخر (البيض والزنوج) ومن ثم تتولد أشكال الاضطهاد

المختلفة، وعلى سبيل المثال: العزلة، التميز اللونى، المظاهرات، الحروب الأهلية... الخ.

النتائج المترتبة على الصراع الاجتماعى:

(١) التفكك والخلخلة داخل المجتمع ككل.

(٢) احداث التماسك داخل كل جماعة من الجماعات المتصارعة وظهور التعاون بين أفرادها من أجل الانتصار على الجماعة الأخرى، بل ونسيان الخلافات الشخصية القائمة بين أفراد الجماعة الواحدة.

(٣) احداث التوافق الاجتماعى بين الفئات المتصارعة وذلك في حالة تقارب القوى المتصارعة، وعدم امكانية أن تحقق احداها مكاسب مهمة على الطرف الآخر.

(٤) السيادة والتفوق لأحد الأطراف نتيجة انتصاره على الطرف الآخر وتدميره والقضاء عليه.

(٥) تدمير الثروة وسفك الدماء كنتيجة حتمية للحروف والثورات.

أساليب مواجهة الصراع والتنافس:

(١) اعادة تنظيم الموقف بما يتناسب وتوقعات الطرفين.

(٢) اعادة النظر في التوقعات الخاصة بأحد طرفى النزاع بما يتناسب

والموقف.

(٣) اللجوء الى الحيل الدفاعية كالإسقاط Projection والتبرير Rationalization والإزاحة Displacement.

(٤) اختيار أحد الموقفين أو التوقعين أو السلوكين الذين يواجهانه والتخلي عن الآخر.

(٥) الانسجام والتوافق مع أحد الموقفين.

(٦) اللجوء إلى الأخذ بكليهما جزئيا كحل وسط.

(٧) تجنبهما والابتعاد عنهما كليهما.

(٨) الثقة: حيث يلعب هذا العامل دوراً كبيراً في حل المشكلات الناتجة من الصراع والتنافس وازالة التوتر الناجم عنها.

(٩) التهديد: وهو من الأساليب الشائعة لدى الأفراد والجماعات والأمم في وضع حد للصراع، فالتهديد يسهم في إزالة التوتر إذا كان مدعوماً بالقوة من جانب واحد أو من الجانبين كما هو الحال في سباق التسلح والتهديدات المتبادلة بين الدول.

(١٠) المفاوضات والتواصل في التخفيف من حدة الصراع والتنافس.

الفرق بين الصراع والتنافس - والتعاون والمواءمة:

في الصراع: يوجه الأفراد طاقتهم نحو هدم وايذاء الآخرين بل والخلاص منهم.

اما في التنافس: غالبا يتبع الأفراد سبلاً متوازية من العمل موجهة نحو

نفس الهدف المشترك بقصد تحقيق الحصول على أكبر قدر منه، أو كله.

في التعاون: لا يتضمن ما تتضمنه المنافسة من غيره، بل يمثل مجهودا متناسقا متكاملا بين فردين لتحقيق غاية محددة.

أما المواءمة: تشير إلى انهاء الصراع، إما عن طريق اخضاع الفريق الآخر واما عن طريق المصالحة وايجاد حل وسط يتلاءم مع تطلعات الفرقاء(١).

٣- الخلل الاجتماعي:

وهو مجموعة من العمليات الاجتماعية المؤدية الى سيطرة الأعمال والنشاطات الخارجة عن القواعد والمعايير الاجتماعية السائدة، نتيجة لتخطبها للحد الأعلى من الأشياء غير المسموح بها، مهددة بذلك أسس عمليات الحياة المجتمعية. وتتمثل مظاهر الخلل الاجتماعى في خلل النظم الاجتماعية وعدم أدائها لمهامها التى أنشئت من أجل تأديتها، وفي ضعف ميكانيزمات الضبط الاجتماعى الرسمى وغير الرسمى، وفي عدم استقرار معايير التقييم، وفي ظهور نماذج للسلوك تتناقض مع النماذج المعترف بها والمقبولة من المجتمع.

---

(١) توفيق مرعى وأحمد بلقيس، مرجع سابق، ص ٨٣.

الظواهر المرتبطة بالخلل الاجتماعي:

(١) انتشار السلوك الجنسي المرفوض من المجتمع، كالدعارة والخيانة الزوجية وارتفاع نسبة الاغتصاب، والعلاقات الجنسية الشاذة.. الخ.

(٢) انتشار المخدرات وادمان الخمور بصورة تهدد كيان المجتمع.

(٣) ارتفاع مستوى وحجم الجريمة بكل أنواعها في المجتمع.

(٤) زيادة شعور الأفراد بالخطر وعدم الأمن.

(٥) ظهور الأزمات العصبية والنفسية والأمراض العقلية ونحوها.

أسباب عمليات الخلل الاجتماعي:

(١) الفقر المفاجئ نتيجة كوارث الفيضانات، الحرائق، سيول، زلازل... الخ.

(٢) استمرار الحروب والأزمات السياسية، وامتداد الثورات لفترات طويلة من الزمن.

(٣) انخفاض فعالية وتأثير نظم وأشكال الضبط الاجتماعي.

(٤) الاستعداد الشخصي الفردي كالأمراض البدنية، أو التخلف العقلي، أو الأمراض النفسية[1].

---

(١) جمال مجدى حسانين، مرجع سابق، ص ٢٣١.

المبادئ العامة في العمليات الاجتماعية:

خلق الله سبحانه وتعالى الكون من كل شئ زوجين: الذكر والأنثى، وخلق الأضداد: الخير والشر، الحار والبارد، الموجب والسالب... الخ، حتى في العمليات الاجتماعية وجدت الموجبة (المجمعة) والسالبة (المفرقة)، وما تم عرضه للكاتب ليس كل العمليات، بل هى نماذج لمجموعة كبيرة - رئيسية وفرعية - من العمليات، تحكمها جميعاً مجموعة من المبادئ العامة وهى مايلى:

(١) يناضل جميع الناس في كل مكان للحصول على مطالبهم الأساسية والاشتراك في النضال مع الآخرين (التعاون) أو النضال ضدهم (التنافس) وهذا يعتبر أحد الصور المكتسبة للسلوك.

(٢) تظهر رواسب التنافس والتعاون عند الأطفال خلال السنة الأولى من حياتهم وحتى سن السادسة.

(٣) الاصلاح الاجتماعى للسلوك يتأثر عند تغير موقف اجتماعى معين من التعاون الى التنافس.

(٤) اذا سادت علاقات الصداقة، والقربى، والزمالة والتى يحيط بها سياج المحبة والعطف سادت عملية التعاون، والعكس يسود التنافس والصراع.

(٥) التنافس بين الجماعات يشجع التعاون داخل الجماعة الواحدة.

(٦) التنافس يشجع تقسيم العمل في المجتمع.

(٧) التوافق يمهد الطريق إلى التمثل.

(٨) المتشابهات في الثقافة توصل إلى التمثل.

(٩) لا يوجد مجتمع في الوجود به تنافس كامل، أو تعاون كامل.

(١٠) اذا كانت الأهداف أو القيم نادرة في أى ثقافة، يصبح طابع السلوك في الغالب تنافسيا، واذا كانت وفيرة يصبح طابع السلوك في الغالب تعاونيا.

(١١) العمليات المجمعة هى أساس الاستقرار والتكامل والرقى، والتنافس يحث على الاجتهاد والعمل، أما الصراع من دعائم الحركة الاجتماعية والتطور رغم نتائجه السلبية في بعض الأحيان.

(١٢) الصراع له متعة الاستمرار المتقطع، بينما التنافس مستمر بصورة متتالية، وهاتان العمليات تشجعان على التمايز الطبقى والمهنى والاقتصادى.

(١٣) هناك توازن بين فاعلية كل من العمليات الاجتماعية المجمعة والمفرقة على حد سواء، وبينهما تأثير متبادل، وكلها تفاعلات ونماذج للتفاعلات الاجتماعية الضرورية للمجتمع[1].

---

(١) انظر في ذلك:

- محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢١٥.
- أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(هـ) الضبط الاجتماعى

يقصد " بالضبط الاجتماعى " الطريقة التى يتطابق بها النظام الاجتماعى ككل للحفاظ على هيكله ومقدماته ثم كيفية تقبل الأفراد والفئات الاجتماعية لهذه الطريقة ولما تمارسه قوى الضبط من ضغوط،

ويشير مفهوم " الضبط الاجتماعى " إلى القوى التى يمارسها المجتمع على أفراده والطرق اوالمعايير التى يفرضها للهيمنة والاشراف على سلوكهم وأساليبهم فى التفكير والعمل ، وذلك لسلامة البنيان الاجتماعى والحرص على أوضاعه ونظمه والبعد عن عوامل الانحراف ، ومن ثم تبدو أهمية الضبط لتقرير العلاقة بين النظام الاجتماعى والفرد أو العلاقة بين الوحدة والمجموع .

تستلزم دراسة الضبط الاجتماعى الوقوف على الوسائل التى يشكل بها المجتمع سلوك افراده والأجهزة التى يضعها لصيانة النظام الاجتماعى .

وهناك ثمة خصائص للضبط الاجتماعى يمكن ايضاحهما من خلال الحقائق التالية :-

١- أن النظام الاجتماعى خاضع لقوانين شأنه فى ذلك شأن النظام الطبيعى ، غير أنه بالنسبة للقوانين الاجتماعية بالرغم أنها قوانين آمرة إى أنها ليست حتمية ، أى أنه من الممكن الخروج عليها ، ومن الممكن تغييرها ، لأنها فى حقيقة الأمر عبارة عن قواعد تنظيمية ارتضتها الجماعات لتنظيم العلاقات بين أفرادها وألزمتهم بضرورة الخضوع لها ، وهى قواعد معيارية نسبية تعبر عن الاتجاه العام أو المستوى العام فى منطقة معينة ، وليس هناك مايمنع من حدوث انحرافات أو مواقف تخرق هذه المعايير أو تشذ عنها . ومن هنا تبدو أهمية الضبط الاجتماعى ، إذ يتعين على المجتمع أن يقوم بالعمل المباشر ضد هذه الانحرافات حتى يحفظ للنظام العام والمعايير المتفق عليها هيبتها ووظيفتها الاجتماعية وذلك عن طريق مايسمى " بالضبط الاجتماعى "

٢- الضبط الاجتماعى هو القوة الفاصلة بين طغيان الأنانية على الغيرية ، فالضبط الاجتماعى يمارس ضغطا للحد من الصراع بين الفرد والجماعة وفقا للحدود التى يرسمها المجتمع .

التحليل العلمى لمفهوم الضبط الإجتماعى وأهم عناصره :

يرى علماء الاجتماع أن الوحدة الأولى فى موضوع علم الإجتماع الجماعة لا الفرد مثلما أن الوحدة الأولى فى علم النحو هى

الكلمـة لا الحـرف ، والوحـدة الأولـى فـى الفيزيـاء هـى المـادة لا العنصر .لذلك تنصب دراسة علم الاجتمـاع علـى الجماعـات باعتبـارها المصدر الأول لجميع الظواهر الاجتماعية فالجماعة بهذا المعنـى هـى الحقيقة الاجتماعية الموجودة التـى تفرض وجـودا علـى وجـود الفـرد وتجعله يتأثر بكل ظواهرها تأثيرها ينعكس فى تفكيره بحيث يأتى هذا التفكير معبرا عن تأثير الجماعة بينما يحسب الفـرد أن ذاتيتـه الفرديـة هى مصدر التفكير .

ولكن هناك من يقولون أن الجماعة تتكون مـن الأفـراد وإذن هـى ليست سوى عدد من الأفراد قليل أو كثير ، وهذا خطـأ فـى نظـر علـم الاجتمـاع لأن أى عـد حسـابى مـن الأفـراد لايكـون جماعــة . وإنمـا الجماعة فى نظر علم الاجتماع هى التى تتكون مـن عـدد مـن الأفـراد متحدين اتحادا كاملا من ناحية العلاقات التى تربط بينهـم والأغـراض التى توجههمجميعا بحيث تعلو هذه الأغراض علـى أغـراض كـل فـرد منهـم وحـده . ويشـبه علمـاء الاجتمـاع هـذا الاتحـاد باتحـا الأكسـجين والأيدروجين اتحادا كيميائيا لكى يتكون منهما الماء فالمـاء شئ جديـد فى صفاته ووظائفه بالنسبة لأوصاف كل من الأكسجين والأيدروجيـن على حدة . كما يشبه علماء الاجتماع هـذا الاتحـاد بيـن الأفـراد بمثـال آخر يقتبس من علم النفس (عند الجشطلت) وذلك أنــه إذا أخذنـا خطـا واحدا مثل (ا) فإنه لايكون أكثر من خط له طوله وليـس لـه عـرض

كما يقول علماء الهندسة ولكن إذا كررنا هذا الخط نفسه بحيث تكون بينه وبين ثلاث من أمثاله من الخطوط الأخرى علاقة معينة نشأ شكل جديد هو المربع الذى له صفات هندسية ووظائف ليست موجودة فى الخط الواحد ومع ذلك فإن الخط الواحد مهم فى هذا الشكل الجديد المربع □ بحيث لو اختفى خط واحد منه لانعدم الشكل الهندسى إذ لن يبقى مربعا .

فالمجتمع فى نظر بعض علماء الاجتماع تركيب جديد غالب على كل الأفراد الموجودين فيه وذلك لأن المهم فى هذا التركيب هو العلاقات التى تربط بين هؤلاء الأفراد وتجعلهم كلا واحدا متماسكا متجها إلى غاية واحدة هى بقاء المجتمع وازدهاره .

وهذا الكل قد تضعف فيه الذوات الفردية من ناحية فرديتها ولكنها تقوى من ناحية وجودها الاجتماعى الذى يمنحها الوجود والحياة ، وكل المقومات الإنساية والحضارية ومن هنا كان للمجتمع سلطان على الأفراد كافة منذ الميلاد وذلك بإدخالهم فى قوالب النظم الاجتماعية التىكونها المجتمع لنفسه . فالمجتمع هو الذى يعطى كل مقومات وجود الفرد منذ ميلاده حتى آخر العمر ، فهو الذى يمنحه إسمه ولغته ودينه وتقاليده وقيمه الاجتماعية واخلاقه وعمله وأدواته التى يستعملها ووسائل الإنتاج ونظمه وعلاقته ، وطرق النقل والإتصال ، ونوع السلطة الحاكمة وعلاقتها بالمحكومين .

والواقع أن المجتمع بوسائل الضبط الاجتماعى وهى (التربية المقومات الاجتماعية المختلفة والعادات والتقاليد والدين والقانون) تعمل على إدماج الأفراد فى وحدة كلية متماسكة تعمل بإرادة واحدة ذلك عن طريق توحيد القالب الاجتماعى العام الذى يصب فيه جميع الأفراد. ولكن ليس معنى ذلك أن يكون جميعهم نسخة واحدة لايتميز بها فرد وإنما يترك المجتمع للأفراد حرية التعبير عن مواهبهم وبذلك تظهر فى المجتمع الابتكارات وأنواعها والخطوات التى تعمل على تغيير المجتمع وتساعد على تقدمه فالمجتمع يعمل على توحيد الطابع العام دون أن يطمس الطابع الخاص للأفراد أى أنه يؤكد الجماعية دون أن يقضى على الفردية فالمجتمع لايقيد حرية التفكير والتعبير عن الرأى الخاص إلا فى حدود بعض المقدسات التى يحرص المجتمع على بقائها . وتختلف هذه الحرية من مجتمع إلى آخر وماعدا هذا المقدسات فإن المجتمع يبيح للأفراد التفكير المنطقى الذى يستهدف الإصلاح للمجتمع كله .

وهناك أفراد يتميزون بمواهب عليا فى الذكاء والإرادة والقيادة والفن أو حل المشكلات السياسية فهم بما يملكون من حماية وتضحية ورغبة فى الإصلاح يقودون المجتمع نحو تغيير الجمود الذى يغلب على شكله العام .

ويلاقى هؤلاء الزعماء مقاومة من الأفراد العاديين الذين يفضلون البقاء للنظم الاجتماعية القائمة ويرفضون كل تغيير . ولكن مايلبث بعض الأفراد أن ينضموا إلى الزعماء فى دعوتهم فإذا استطاع هؤلاء الرواد أقناع الأغلبية بأخلاصهم فإن الاصلاح يصبح مطلبا جماهيريا وبذلك تتحقق ارادة المجتمع فىالتغيير .

وينظر المجتمع إلى الزعماء نظرة خاصة فانه يطالبهم بأن يسيروا على نفس المنهج الذى ارتضاه المجتمع لنظمه أى الطابع العام ويتساهل معهم بعض التساهل فيما يتصل بالأمور التى لاتؤثر على رسالته . ولكنه من جهة أخرى يطالبهم بالكمال فيما يتصل بمقدساته مقابل مايغدقه عليهم من تشريف ، خاصة وانه ينظر اليهم بأعتبارهم رمزا له وتعبيرا عن آماله فى المستقبل .

ويعرف البعض القيادة بأنها (صورة سلوكية بين الأفراد تنطوى على السيادة من طرف والخضوع والقبول من الطرف الآخر بناء على عملية التأثير المتبادل التى تقود نشاط المجتمع وذلك باستغلال النجاح فى الظروف الفردية المناسبة وتوجيههافى سبيل تحقيق غاية اجتماعية). وتقوم القيادة على عوامل اساسية هى :

الهدف : وهو العنصر المشترك بين القائد والأتباع أذ أن القيادة مسئولية يضطلع بها القائد لتحقيق مايصبو اليه المجتمع الذى يقوده ،

فإذا تخلى عن مسئوليته فلن يستطيع أن يقود مجتمعه إلا بالسلطة أى يصبح دكتاتورا لاقائدا .

القائد : وهو شخص أهلته مواهبه وقدراته الفردية وحاجة شعبه لقيادته إلى تحقيق غاية يشعرون بها شعروا غامضا وعلى مقدار مايحقق القائد من نجاح لأفكاره ووعوده بكون تعلق الأتباع به .

الاتباع : وهو الذين يقبلون زعامة القائد لأنه يحقق لهم أو لمجتمعهم ما لايستطيعون أو لايستطيع غيره تحقيقه ومع ميلهم إلى الخضوع للقائد فإنهم ينظرون اليه كجزء من وجودهم الاجتماعى فهو فرد يمثل السلطة الأبوية التى يحبونها ويشعرون بضرورتها لأنها تعمل لمصلحتهم .

المواقف الاجتماعية التى تتطلب القيادة :

وكلما تأزمت الأحوال التفت الناس حولهم فى انتظار مايفعله القائد ويكونون أكثر استجابة له كلما تعقدت الأزمة وتحير الناس فى طريقة التغلب عليها .

ولهذا يشترط فى القائد شروط كثيرة أهمها :

- أن يمثل الصورة المثلى التى يطبعها المجتمع فى ابنائه .
- ان يكون ملما بظروف مجتمعه وأهدافه وأمكانياته .

- أن يكون على مستوى عـال من القدرات الفردية مثل الذكاء والشجاعة وسرعة التصرف وسعة الاطلاع والصبر والروح الديمقراطية .

- وأن يكون مؤمنا بمجتمعه واثقا من قراراته ومن تأييده له عارفا طريق القوة وتكاليفها .

- وأن يكون متصفا بإنكار الذات والتضحية المثالية بل مايطمع فيه الأفراد العاديون .

والمرونة واتساع الأفق الرغبة الزائدة فى التعلم والاستفادة من كل من يستطيع الاستفاد منهم من مواطنيه أو بتعبير أخر حسن اختيار مساعديه ووضعهم فى الاماكن المناسبة لهم .

وتجنب الغرور وعدم التمادى فيما يغرى به النجاح السهل والارتباط الدائم بالمجتمع والرجوع اليه وتحميله المسئولية حتى يشعر بالمشاركة فى ممارسة السلطة .

وليست تلك الشروط مطلقة ولكنها نسبية لتطور المجتمعات ففى كل طور من أطوار المجتمعات يتطلب المجتمع نوعا معينا من القيادة يصلح لتحقيق الإغراض التى يتطلع اليها المجتمع أو يوجه مجتمعه نحو أهداف جديدة كان من الواجب أن يتجه اليها المجتمع .

الفصل الحادي عشر

علم الاجتماع ودراسة بعض مشكلات التنمية

١- المشكلات المرتبطة بالتخلف الاقتصادى.

٢- مشكلات التحديث والنقل التكنولوجى.

بعض المشكلات المرتبطة بالتخلف الاقتصادي

المشكلة الديموجرافية في مصر :

تعتبر المشكلة السكانية إحدى المشكلات الأساسية التى تجابه الجهد التنموى فى البلاد الآخذة فى النمو مثل مصر ، وبصفة عامة فإن البلاد العربية تموج فى الوقت الحاضر بالكثير من ألوان التحديات والصراع، ومن هذه التحديات ، التحدى الخاص بالنمو السكانى السريع فى كثير من البلدان العربية ، الذى قد يكون بغير نظير فى العالم ، وما كان هذا النمو السكانى يبدو كمشكلة أمام كثير من البلاد العربية لو أن تنميتها الإقتصادية والإجتماعية صارت بمعدلات مرتفعة تعوض عن كل زيادة جديدة فى السكان ، وقد حالت الزيادة الكبرى فى عدد المستهلكين دون خفض معدلات الإستهلاك المرتفع ، أو حتى ضبط هذا الإستهلاك وأبقت متوسط إنتاج الفرد متوسط دخله ضعيفين .

ومن ثم فالمشكلة السكانية تعتبر بمثابة المشكلة الأم التى انبثق عنها العديد من المشكلات الأخرى فى البلاد النامية بصفة عامة ، وفى مصر بصفة خاصة .

هذا وتعتبر مصر واحدة من اكثر بلاد العالم كثافة سكانية ، وذلك على الرغم من أنها من البلاد التى يغلب عليها النشاط الزراعى .

مظاهر المشكلة السكانية فى مصر :

وإذا قسمنا بلاد العالم حسب الكثافة ودرجتها وكذلك حسب درجة النمو السكانى رأينا أنها يمكن أن تصنف على أساس أربعة أنماط تعتمد على الكثافة والنمو .

النمط الأول : نمط الكثافة المنخفضة والنمو المعتدل .

النمط الثانى : نمط الكثافة المنخفضة والنمو السريع .

النمط الثالث : نمط الكثافة المرتفعة والنمو المعتدل .

النمو الرابع : نمط الكثافة المرتفعة والنمو السريع .

ويعتبر النمط الأخير هو أكثر الأنماط خطورة لأنه يجمع بين الكثافة المرتفعة من جهة ، وبين النمو السكانى السريع فى جهة اخرى ، وتنتمى مصر إلى هذا النمط الرابع من الأنماط العالمية .

وتشير الأرقام والمعدلات إلى أن معدلات النمو السكانى فى مصر فى إرتفاع مستمر

وتعتبر مشكلة انخفاض دخل الفرد لها خطورتها من جهه أخرى على مشكلة الزيادة السكانية ذاتها . إذ يرى البعض ان هذه المشكلة (إنخفاض دخل الفرد) ستكون سببا من أسباب إعاقة ضبط التكاثر فى المجتمعات الأكثر فقرا ، فعندما يشتد الفقر بالناس فإن ردود أفعالهم ترتد إلى ردود فعل الرجل البدائى حيث يصبح البحث عن الأولاد هو الشغل الشاغل للمرء وتختفى المسئولية الأسرية وبالتالى المسئولية عن الاطفال ويتحمل المجتمع وحده عبئهم ، وإن كان للوالد فى أولاده شيء فهو الغنم فقط الذى تدفع إليه الحاجة . كأن يكونوا مصدرا لدخل يأتيه من تسولهم أو مزاوله أعمال أخرى تقترب من ذلك . ومتى تجمدت مشاعر الأبوة على هذا النحو فشلت كل محاولة للاقناع بالاعتدال فى الانجاب وطغت اللامبالاة على كل دعوة للتعقل .

ولعل هذا المظهر الأخير للمشكلة السكانية هو الذى أضفى عليها الطابع التربوى فأصبحت التربية مسئولة عن خلق القيم الايجابية والمواكبه للأهداف التنموية فى مصر .

مشكلة العمالة

تعتبر مشكلة العمالة إحدى المشكلات التى انبثقت عن المشكلة السكانية واتسمت هذه المشكلة بالعديد من السمات بسبب عامل النمو المضطرد فى السكان ، وكان من أهم السمات التى اتصفت بها هذه المشكلة أن ظهرت أنواع من البطالة متعددة ، فظهر مايسمى " بالبطالة المقنعة " و " البطالة المكشوفة" و" العمالة الجزئية المقنعة" .

ولقد عرف لفظ " البطالة المقنعة " لأول مرة فى الدراسات الاقتصادية عام ١٩٣٧ عندما نشرت رينسون كتابها المشهور عن نظرية التوظف .

وتعبير البطالة المقنعة لاينطبق على العمال الأجراء ، أى الذين يحصلون على الأجر من صاحب العمل ، لأن المنظم للعمل لايدفع أجرا إلا إذا كانت هناك انتاجية حدية للعمل على الاقل تضمن الأجر المدفوع، وبناء على ذلك يمكن القول بأن هناك " بطالة مقنعة " إذا كان تحويل عدد معين من الأفراد الذين يعملون لحسابهم الخاص فى فرع معين من فروع النشاط الاقتصادى إلى فرع آخر لايؤدى إلى أى نقص فى الانتاج الكلى لفرع النشاط الذى سحب منه هؤلاء الأفراد حتى ولو لم تتم زياد فى رأس المال المستخدم فى هذا الفرع من النشاط ، ودون إدخال أى تحسينات أو تغييرات فنية ([٤]) .

---

[٤] - على لطفى - دراسات فى تنمية المجتمع . المطبعة الكمالية . القاهرة ١٩٧٣ ص ٢٢.

وخطورة البطالة المقنعة تكمن فى أن وجود هذا النوع من البطالة ى أى قطاع من قطاعات النشاط الاقتصادى يعنى أن الانتاجية الحدية، و الحد الأدنى للانتاج لبعض هؤلاء المشتغلين فى هذا القطاع منعدمة ، وبالتالى فانهم سوف يصبحون عالى على هذا القطاع .

وتنتشر البطالة المقنعة فى قطاع الخدمات بصفة خاصة ، حيث نجد أعداد كبيرة من العمال يؤدون أعمالا منخفضة الأنتاجية ، وباجور منخفضة ، أو اعمالا لاتتفق مع مؤهلاتهم وخبراتهم (مثال ذلك خريجو الجامعات الذين يشغلون وظائف كتابية لاتحتاج إلى إتمام الدراسة الثانوية).

ويبدو أن هذا النوع من البطالة ينتشر فى القطاع العام ، ويمكن أن نلاحظ وجود هذه البطالة المقنعة فى قطاع الخدمات غير الحكومية ، حيث نجد أن المهاجرين من المناطق الريفية ومن ينضمون إلى القوى العاملة لأول مرة يقبلون وظائف باجور منخفضة بصفة مؤقته إنتظارا لفرص أفضل للكسب فى القطاع الحديث .

والواقع ان انتشار ظاهرة " البطالة المقنعة " فى مصر والدول الآخذة فى النمو بصفة عامة يشكل عقبة كبيرة أمام هذه الدول للقضاء على التخلف الاقتصادى الذى تعانى منه هذه الدول وتزداد حدة هذه العقبة بصفة خاصة إذا اضفنا إلى ظاهرة " البطالة المقنعة " ظاهرة

"البطالة المكشوفة " والتى يمكن الحصول على مظاهرها من خلال الإحصاءات المتاحة فى هذا الصدد .

وترجع خطورة انتشار ظاهرتى " البطالة المقنعة " و" البطالة المكشوفة" إلى انتشار مثل هاتين الظاهرتين يؤدى الى تقليل معدل التكوين الرأسمالى للافراد الذين لايضيفون شيئا إلى الناتج الكلى ، أى الأفراد الذين يكونون فى حالة بطالة يقتسمون دخول الافراد المنتجين مما يؤدى إلى تقليل أو ربما أنعدام إدخار العاملين بقطاع الزراعة . وهذا يعنى أن القضاء على البطالة أو على الاقل التخفيف من حدتها يؤدى الى زيادة الإدخار أى زيادة معدل التكوين الرأسمالى .

وثمة نوع آخر من أنواع البطالة يعتبر على جانب كبير من الخطورة ايضا بالنسبة لعمليات التنمية وهو مايسمى بالعمالة الجزئية المقنعة .

وهذه تحدث للأفراد الذين يشتغلون العدد الكامل من ساعات العمل اليومية أو الاسبوعية فى وظائف أو أعمال احتياجتها من الجهد أو العمل أقل من طاقة وامكانيات العاملين فى هذا العدد من الساعات بحيث يمكن أن ينجز مثلا فى عدد أقل من ساعات العمل

ولعل هذا النوع الأخير من البطالة يتفق بصورة ما مع طبيعة العمل الزراعى فى الريف بصفة خاصة فى مصر والبلاد العربية بسبب

الإعتماد على أساليب الزراعة التقليدية البدائية ، والتى تعتمد على أدوات بدائية فى الانتاج الزراعى ، ولهذا فانها تبدو من حيث الشكل أن حاجاتها من العمل كبيرة بسبب استمرارا إعتمادها على المجهود الزراعى الذى يحتاج إلى ايد عاملة زراعية كثيرة نسبيا بالاضافة إلى الوقت الكبير الذى تحتاجه هذه العمالة لانجاز هذا العمل ، فى حين أنه لو أستخدمت أدوات زراعية تعتمد على الاساليب التكنولوجيا الزراعية الحديثة لما كان هذا الاستغراق لتلك العمالة البشرية الكبيرة والشعور بالمزيد من الحاجة إليها فضلا عن توفير الوقت المطلوب لانجاز الأعمال الزراعية المختلفة الأمر الذى قد يظهر العمالة الزراعية بصورة النقص والحاجة الى المزيد من العمالة .

ولاتزال الحركة التعاونية التى تمد العمل الزراعى بالميكنة الزراعية محدودة النطاق إلى حد كبير ، ومازال قاصرة إلى حد كبير فى إحداث تغييرات كيفية لها معنى فى عمليات الانتاج الزراعى الأمر الذى انعكس فى استمرارية بدائية الآلات المستخدمة وكذلك محدودية عدد الآلات الزراعية المستخدمة حيث بلغ متوسط نصيب الهكتار من الأراضى الزراعية المستغلة من الحصان الميكانيكى حوالى ٠٩ر٠ ، هذا فى الوقت الذى أثبتت فيه دراسات منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة أن الحد الادنى المطلوب للميكنة الزراعية يجب ألا يقل من ٥ر٠ حصان ميكانيكى للهكتار، أى أن نصيب الأرض الزراعية لايتعدى ٢٠٪ من الحد الأدنى من الجررات فى الظروف الحالية .

وقد كان من آثار عدم انتشار استخدام الآلات الزراعية الحديثة فى العمل الزراعى أن ظهر الشعور بأهمية العمل اليدوى فى العمل

الزراعى ، ونظرا لاجتذاب المدينة للعمالة الزراعية لعديد من الأسباب الإقتصادية والإجتماعية ، منها إرتفاع الأجور الخاصة بالعمالة فى المدن عن القرية ، وكذلك السعى للتمتع بالمزيد من الخدمات الإجتماعية التى قد تنفرد بها المدينة دون القرية . فلهذه الأسباب فإنه قد يبدو أن العمل الزراعى فى الريف بصفة خاصة يعانى من الأيدى العاملة الزراعية ، الأمر الذى إدى إلى إرتفاع أجور هذه العمالة الزارعية ارتفاعا كبيرا عما ذى قبل .

وفى هذا الصدد يشير تقرير مكتب العمل الدولى إلى انه فى خلال أكثر فصول السنة ازدحاما بالعمل الزراعى من يونية حتى سبتمبر يضطر الفلاحون إلى تكثيف قوة العمل وقتيا فيلجأون إلى الإستعانة بالأطفال وصغار السن فى العمل الزراعى .

ويالرغم من أن كثافة العمل والعمالة بالنسبة للفدان الواحد كبيرة إلا أن بدائية الأدوات الزراعية المستخدمة أدى إلى خفض الإنتاجية الزراعية ما أظهر نوعا من النقص فى قوة العمل الزراعية .

ومن ثم فإن المظاهر المختلفة لمشكلة البطالة مع اختلاف اسبابها وتنوعها تؤدى إلى المزيد من العراقيل امام الجهود التنموية خاصة فى البلاد الآخذة فى النمو . واتساع حجم هذه المظاهر يفضى بالضرورة إلى زيادة حجم المشكلة التنموية لذلك فإن هذه المشكلة تعتبر من المشكلات ذات الأهمية الخاصة التى يجب أن تعالج تربويا حتى يمكن أن تساهم فى خلق معدلات أكبر من التنمية .

مشكلة الأمية

تعتبر مشكلة الأمية من أعتى التحديات التى تواجه التنمية فى البلاد النامية . ولاشك فى أن ثمة ارتباط كبير بين الأمية والتخلف . فالأمية ها صلة وثيقة بالتخلف بكل مظاهره الإجتماعية والإقتصادية والثقافية ومن المسلمات الواضحة أن المرحلة الأساسية فى تنمية الموارد لبشرية لأى إطار للتنمية إنما يتمثل فى القاعدة العريضة لتنمية الرموز لأولية للمعرفة ، قراءة وكتابة وحسابا ، ولا يستطيع أن يستخدمها ، نما هو فاقد لحاسة من الحواس ، الأمر الذى يعوقه عن التواصل عن طريقها مع من حوله من الناس . ومع ماحوله من أمور الحياة فى لمجتمع الحديث . الأمر الذى يعوق جهود الحضارة الإنمائية المشاركة فى صنعها والإستمتاع بثمراتها .

وبينما تحاول البلاد المتقدمة صناعيا أن تقضى على آخر معاقل لأمية فيمها تشير بعض التقديرات إلى أنه فى افريقيا وفى الاقطار لعربيةيوجد شخص واحد فقط يستطيع القراءة والكتابة من بين كل ١٠ شخاص من نزيد أعمارهم على ١٥ سنة .

ومن يتحليل واقع الأمية بين بلاد العالم المختلفة يتضح الإرتباط السالب بين الأمية وبين مستوى التنمية ،فالمناطق المتقدمة مثل أمريكا الشمالية واوربا تبلغ نسبة الأمية فيها ٥ر١٪ ، ٦ر٣٪ على التوالى . بينما هى فى افريقيا ٧ر٧٣٪ وفى آسيا ٥ر٤٦٪ وتصل نسبة الأمية

إلى ٩ر٨٨٪ فى موريتانيا ٨١٪ وترتفع نسبة الأمية بين الإناث فى الوطن العربى كله لتصل إلى ٧ر٨٥٪ .

وبالنسبة للجهود التى تبذل فى سبيل القضاء على الأمية فى دول العالم الثالث لايزال معظمها جهودا تقليدية بدليل أن نسبة الأمية مازالت مرتفعة سواء داخل جمهورية مصر العربية أو على مستوى الوطن العربى . وعلى الرغم من الوعى بخطورة مشكلة الأمية واعاقتها لجهود التنمية والجهود التى تبذل فى سبيل القضاء عليها . فبعض التقديرات تشير إلى أن الوطن العربى يحتاج إلى أكثر من ٤٢سنة لمحو الأمية إذا استمرت المعدلات الحالية لمكافحة الأمية ومع التغلب على مشكلتى الإستيعاب والتسرب فى المرحلة الإبتدائية . كا تشير التقديرات إلى أن الفصول التى تفتح لاتستوعب إلا ٨ فقط من بين كل ألف أمى وأن الجهود المبذولة لاتمحو سوى أمية خمسة فقط من بين كل الف دارس ، ويقال إن الأمر يتطلب ١٢٠ سنة لمحو الأمية فى بعض الأقطار العربية حسبا المعدلات الحالية (٢٣-ص٢٥) .

ولاشك أن هذه الحقائق تظهر لنا مدى حجم المشكلة سواء بالنسبة لجمهورية مصر العربية أو على مستوى الوطن العربى . كما يتضح لنا من خلال هذه الحقائق ايضا مدى ارتباط الأمية بالآثار السلبية على التنمية لأن هذه المشكلة تمتد أبعادها وآثارها فى كل إتجاه .

إذ أن أخطارها الإقتصاديـة تؤثـر علـى مسـتوى الدخـل القومـى والفـردى، كمـا أن اخطارهـا الإجتماعيـة قـد تتجـه فيمـا تتجـه اليـه إلـى إنجاب المزيد من البشر فتصطدم بـالعديد مـن المشـكلات السـكانية كمـا تذهب هذه الأخطار الإجتماعية إلى حـد المقاومـة الإجتماعيـة للأهـداف المجتمعية المتعلقة بالجهود التنموية إلى غير ذلك من الأخطار.

بعض الأسباب المرتبطة بظاهرة الأمية

تعتبر مشكلة الإستيعاب إحدى المشكلات الأساسية التى تنبثق عنها مشكلة الأمية ويعتبر التعليم الإبتدائى المصدر الرئيسى للمشكلة ، فلو استطاع التعليم الابتدائى أن يستوعب جميع الأطفال ممن هم فى سن هذا التعليم وأن يصل بهم إلى المستوى التعليمي الذى لايرتدون بعده إلى الأمية لأختفت المشكلة فى فترة من الوقت .

وإذا حللنا واقع الأمية يمكن ملاحظة أن فئات الأميين فى المجتمع المصرى تقع فى ثلاث فئات رئيسية ، الفئة الأولى وتشمل الأفراد الذين فاتتهم فرصة التعليم فى المدرسة الإبتدائية بسبب ظروفهم الإقتصادية والإجتماعية وبسبب عجز الدولة وتقصيرها عن إتاحة فرص التعليم لهم فى سن المرحلة الإبتدائية ، والفئة الثانية فئة المتسربين من الأطفال الذين يتركون المدرسة الإبتدائية قبل الإنتهاء من الدراسة بها للعديد من الأسباب الاجتماعية والاقتصادية .

وأما الفئة الثالثة فتشمل اولئك المرتدين إلى الأمية بعد أن محيت أميتهم الأولية والمتسربين من فصول محو الأمية ذاتها ، ومن ثم فإنه عند الحديث عن الأسباب المرتبطة بظاهرة الامية يجب التعرض لأوضاع التعليم الإبتدائى .

والمعروف أن المدرسة الإبتدائية فى مصر هى التى تستقبل الأطفال من سن السادسة إلى الثانية عشرة . وبمعنى أنها تمتد على مدى ستة سنوات من عمر الطفل .

وتسمى المدرسة الإبتدائية بهذا الأسم لأنها تأتى فى أول السلم التعليمى وهى بهذه الصفة تحتل اهمية كبرّى ومكانة هامة فى النظام التعليمى ، وذلك أن الخبرات التى تتحقق للطفل فى السنوات الأولى من مره هى بمثابة الدعامة لكل ماسيتعلمه فى المستقبل .

وقد عدل اسم المدرسة الأبتدائية تحت أسم مدرسة التعليم الاساسى لتشمل المدرسة الإبتدائية والإعدادية معا .. ومن ناحية أخرى فإن الخبرات الى يكتسبها الطفل فى السنوات الأولى من حياته تعتبر بمثابة خبرات جوهرية يتعلق بعضها بتعليم الألفاظ ورموز الكتابة ، ويعتبر تعليم هاتين الأخيرتين على جانب كبير من الاهمية ايضا نظرا لأن الكتابة والقراءة تعتبران هما الوسيلة الأساسية التى عن طريقها تحتفظ البشرية بخبراتها فى المجالات المختلفة ،بل هى الوسيلة الوحيدة لحفظ هذه الخبرات ، ولايتم تعليم هذه الخبرات الأساسية إلا من خلال مؤسسة متخصصة مثل المدرسة الإبتدائية ، فإنه من ثم تحتل المدرسة الإبتدائية تلك الأهمية الكبرى .

هذا فضلا عن أن المدرسة الإبتدائية تعتبر مدرسة الزامية ، أى أن الإلتحاق بها يعتبر إجباريا باعتباره مدرسة المجتمع ، وقد ظهر مبدأ

الإلزام عندما اتضح للمجتمعات الحديثة أن المواطنـة تحتاج إلى عديد من المهارات حتى يصبح المواطن صالحا كعضو فيه يؤدى واجباته ويعرف حقوقه ، ومن ثم كانت هناك ثمة ضرورة فى أن يكون هناك قدر من التعليم الإلزامى الإجبارى المتمثل فى التعليم الإبتدائى .

وطالما أن هذا القدر من التعليم يكون إلزاميا فإنه يسير على نظرية الحد الأدنى بمعنى أن يكون ممثلا للحد الأدنى الذى تفترض الجماعة أنه ضرورى لحياتها بحيث لايكون ثمة استقرار للحياة بدونه.

والحد الأدنى أمر نسبى يختلف باختلاف المجتمعات ، وهذا هو الذى يفسر اختلاف سنوات التعليم الإبتدائى بين المجتمعات ، فبينما تقتصر هذه السنوات على خمس سنوات الآن فى جمهورية مصر العربية ثم ستعود إلى ست سنوات مرة أخرى حسبما كانت فيما مضى نجدها تصل فى مجتمعات أخرى مثل الأردن وتونس وليبيا إلى خمس عشرة سنة . ولمبدأ الإلزام ثلاث ركائز أساسية هى الدولة والأسرة والإدارة المدرسية والمعلمين . فالدولة ملزمة من جانبها بتوفير التعليم الإلزامى للجميع غير أنه فى كثير الأحيان تعجز الدولة عن الوفاء بذلك ، ولذلك فإن وجود قانون بإلزام جميع الأطفال بالحضور إلى المدارس سوف لايمكن تنفيذه بسبب عجز الدولة نفسها عن توفير العدد الكافى من أماكن الدراسة لهؤلاء الملزمين .

وإذا نظرنا إلى عدد الإطفال الذين يبلغون سن الإلزام فى جمهورية مصر العربية نجد مايربو على مليون طفل سنويا ، ولاتستوعب فصول الصف الأول بالمدرسة الإبتدائية منهم إلا ثلاثة ارباع المليون ، ومعنى ذلك أن هناك مايربو على ربع مليون طفل يضافون إلى رصيد الأمية كل عام .

ومن ثم يلاحظ أنه كلما استوعب النظام التعليم المدرسى كل الأطفال ممن هم فى سن التعليم الإبتدائى ، كلما قلت أو خفت حدة ظاهرة الأمية.

وتتضح الركيزة الثانية وهى الأسرة ، وتنشأ ظاهرة الأمية بسبب عوامل تتعلق بالأسرة حيث أن الأسرة قد تكون سببا فى احجامهم عن دخول المدرسة أساسا ، وذلك لبعض الظروف التى قد تخص الأسرة . وبهذه الطريقة تساهم الأسرة فى تفشى ظاهرة الأمية .

وبالنسبة لركيزة الثالثة وهى الإدارة المدرسية والمعلمون فإنهم قد يكونون سببا من أسباب زيادة الأمية وذلك بسبب سوء المعاملة أو بسبب استعمال وسائل غير تربوية تدفع الى المزيد من التسرب الذى يفضى إلى الأمية .

وهكذا يلاحظ أن لظاهرة الأمية العديد من الأسباب المتشابكة والمتداخلة والتى يساهم كل منها بقدر ما فى حدوث الظاهرة . ولذلك

فإنه عند محاولة علاج هذه الظاهرة يجب أن توضع كـل هـذه الأسـباب محل الاعتبار كأسباب متكاملة ومتضامنة فى اخراج الظاهرة .

مشكلة نقل التكنولوجيا

تعتبر مشكلة نقل التكنولوجيا إحدى المشكلات المرتبطة بعدم لتوازن بين النمو الاقتصادى والنمو الاجتماعى التربوى الذى قد فضى الى فجوة حضارية تؤدى الى ظهور الخلل الإجتماعى الإقتصادى.فى كيان الدولة .

وقبل التحدث عن اهم مظاهر مشكلة نقل التكنولوجيا إلى مصر البلاد الآخذة فى النمو يجب إلقاء الضوء على مفهوم التكنولوجيا ، كذلك تطور الإهتمام بهذا المفهوم .

مفهوم التكنولوجيا :

تتنوعت أوجه النظر فى معنى " التكنولوجيا فثمة إتجاه يذهب إلى أن التكنولوجيا هى استخدام المعرفة العلمية فى التطبيق العلمى ، ووجهة نظر اخرى تفهم التكنولوجيا على انها مصدر المخترعات الحديثة والآلات النافعة التى تحقق مطالبنا وتلبى رغباتنا مثل والراديو والتليفزيون والثلاجة والكمبيوتر وغيرها . فالتكنولوجيا بهذا المعنى تعنى استخدام الوسائل الميكانيكية المختلفة التى تساعد على خلق ظروف حياتية أفضل تؤدى إلى توفير الوقت والجهد والوصول إلى مستوى معين من التقدم .

كما أن مفهوم " التكنولوجيا " قد يعنى أساليب العمل الفنية البسيطة منها والمعقدة ، وتطور هذه الأساليب وغيرها مع تقدم المعرفة الذى يؤثر بدوره على كثير من الظواهر الإجتماعية .

ويمكن أن تعرف التكنولوجيا على انها القدرة على التوظيف الواعى للمعارف العلمية والفنية والمهارت والخبرات الفردية والجماعية والنظم الإدارية المتطورة وتطويع كل ذلك فى نظام متكامل ومتناسق بهدف تطوير وابتكار وسائل وأساليب توفر الخدمات وتحسنها فى شتى المجالات ، وصنع سلع مبتكرة أو تطوير سلع قائمة ، أو أستخدام أنماط إقتصادية لزيادة إنتاج سلع معينة .

كما أنه يوجد إرتباط بين تطور اساليب العمل فى القطاعات الإنتاجية المختلفة وتغير الآلات المستخدمة مما دفع البعض إلى إعتبار التكنولوجيا تكمن فى اسلوب استخدام الآلة .

تطورالأهتمام بمفهوم التكنولوجيا :

إذا نظرنا إلى التكنولوجيا بمنظور زمنى وآخر مكانى فإنه سوف تتكشف حقيقتان كل واحدة منها ذات دلالة، فالبعد الزمنى يكشف عن أن التكنولوجيا كانت فى جميع المراحل المبكرة للتقدم الإنسانى تتقدم وتتطور ببطء شديد للغاية ، فى حين يتزايد معدل تقدمها وتطورها بسرعة كبيرة متزايدة فى المراحل المتأخرة .

أما البعد المكانى فإنه يكشف عن أن التكنولوجيا كانت فى بدايتها مقتصرة فى وجودها على عدد قليل من المناطق ، على عكس ماهى عليه فى الوقت الحاضر حيث تنتشر فى أماكن كثيرة ومناطق متعددة من العالم ، ويرجع ذلك الإنتشار إلى ماأحرزته وسائل النقل والإتصال والإنتقال من تطور وتقدم (٥).

ولاشك أن لكل شعب تقنياته المحلية منذ فجر التاريخ وكانت الشعوب بل الطوائف داخل الشعوب تحرص على الإحتفاظ بأسرار تقنياتها باعتبارها من العوامل الرئيسية لتميزها وتفوقها على غيرها من الشعوب، إلا أنه منذ عصر الثورة الصناعية فى اوربا بدأ الإنسان الغربى يتخذ العلم اسلوبا فى حياته ونمطا سائدا فى تفكيره وتصرفاته وأداة فعالة فى تنمية تقنياته ، ووظائف هذه التقنيات فى تنمية قدراته السياسية والعسكرية ، واستغل هذه القدرات فى السيطرة والتحكم فى كثير من موارد الشعوب التى تخلفت عنه فتزايدت هذه القدرات وتزايدت معها معدلات تنمية تقنياته ، وكان معدل هذا التزايد رهيبا فى القرن العشرين ، وخاصة فى العقود الأخيرة منه بحيث أصبحت شعوبه ودوله محتكرة لمصادر التقنيات مالكة لأهم مفاتيحها مما زاد فى اتساع الفجوة الاقتصادية والاجتماعية بينها وبين الدول المتخلفة وكذلك الدول

---

٥ - حامد مصطفى أبو جمرة : التطور التكنولوجى والتنمية الاجتماعية والاقتصادية - دراسات سكانية ، جهاز تنظيم الاسرة والسكان - ع - ٤٦ ١٩٧٨ ص ٣ .

الآخذة فى النمو (٢٥-ص٣)٠

ومن ثم فقد أصبحت عملية نقل التكنولوجيا والاكتشافات العلمية موضوعا على جانب كبير من الاهمية فى تكوين العلاقات بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة والدول الآخذه فى النمو ومصدر هذه الاهمية لايرجع فقط الى تأثير التقدم العلمى والتكنولوجى على الطاقة الانتاجية للمجتمع وإنما ترجع بالدرجة الأولى إلى الجهود التى تبذلها دول العالم الثالث لتغلب على تأخرها وتدعيم استقلالها الاقتصادى وهى لاتستطيع أن تحقق هذا وبدون أن تستوعب خبرة البلدان التى تحتل مركز الصدارة فى مجال التقدم العلمى والتكنولوجى وبدون أن تطور انتاجيتها عن طريق الأسس العلمية والفنية التى تعتمد عليها فى وسائل الانتاج .

بعض معوقات الاستخدام التكنولوجى :

على الرغم من الاهمية الكبرى التى تدعو إلى تطوير الاستخدام التكنولوجى فى وسائل الحياة المختلفة بالنسبة للقطاعات الاقتصادية المختلفة ، الا ان عملية ادخال الأساليب التكنولوجية الحديثة تعترضها الكثير من الصعوبات وخاصة فى القطاع الزراعى الذى يعتبر أحوج القطاعات إلى استخدام هذه الاساليب وبصفة خاصة فى الدول الآخذة فىالنمو مثل مصر ، فهناك العديد من المعوقات التى تحد من استخدام تلك٠ الأساليب التكنولوجية بالاضافة إلى تلك التى تمنع إمكانية استخدامها الاستخدام الامثل نذكر منها على سبيل المثال :

١- عدم وجود التشريعات الفعالة التى تحقق التوازن بين المعطيات المحلية وتلك الأجنبية .
٢- عدم الارتباط بين أجهزة البحث العلمى وجهات التطبيق .
٣- القصور فى الاجهزة التنفيذية للعلم والتكنولوجيا .
٤- عدم توفير الأمكانيات اللازمة لاجراء البحوث العلمية وتطويرها.
٥- نقص العمالة المدربة .
٦- قصور التعليم الفنى .
٧- تفتييت الملكيات .
٨- القصور فى تجميع الزراعات لإمكان استخدام الميكنة .
٩- استخدام طرق الرى القديمة .
١٠- عدم وجود ورش الصيانة الضرورية ([٦]).

وبالرغم من هذه العوائق وتلك العقبات فإن مصر وغيرها من الدول لاتتوقف فى سعيها نحو نقل الأساليب التكنولوجية المختلفة ، وفى إحدى دراسات هيئة الأمم المتحدة وجد أن البلاد النامية كانت تدفع فى أواخر العقد السابع ١٥٠٠ دولار ، سنويا لشراء براءات الإختراع الفنية ، وقد قرر مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية أن هذا الرقم سيصل الى ٩٠٠٠ مليون دولار فى نهاية هذا العقد .

---

[٦] - المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى والتكنولوجيا -نقل التكنولوجيا فى مجال الانتاج الزراعى ، القاهرة ، بدون تاريخ ص٣

ومازالت المسائل المتصلة بنقل التكنولوجيا موضوع مناقشات محتدمة فى المجال الدولى وخاصة فى اطار الأمم المتحدة ، وتقدم فى هذا الصدد اقتراحات تتراوح بين دراسة الإلتزام بميثاق دولى للسلوك فيما يتعلق بنقل التكنولوجيا عن طريق إعادة النظر فى ميثاق باريس للملكية الصناعية بحيث تمنح الدول النامية نوعا من الرعايا الخاصة فى هذا المجال ، وبين الإعداد لمؤتمر يعقد تحت رعاية الأمم المتحدة يكون موضوعه " العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية ".

ولقد تقدمت ١١٠ دولة من الدول الاعضاء فى الأمم المتحدة بأوراقها الوطنية وذلك خلال مؤتمر الأمم المتحدة للعلم والتكنولوجيا من اجل التنمية والذى عقد فى فينا من ٢٠-٣١ اغسطس ١٩٧٩ لكى تعرض لظروف العلم والتكنولجيا فى بلادها وأقاليمها وتطرح مقترحاتها من أجل نهوضها بدور رئيسى فى عملية التنمية .

ولقد صدر اعلان هذا المؤتمر متضمنا العديد من النقاط منها مايلى:

١- أعرب المجتمع العالمى عن اهتمامه الشديد وقلقه لما يسود العالم من عدم مساواة الظروف السيئة التى تعيشها مئات الملايين من أبناء الشعوب المحرومة .

٢- قدم المجتمع العلمى العالمى اقتناعا بأن الظروف الراهنة تمثل خطرا على الإنسانية كلها ، فإن تزايد عدم المساواة فى الثروات واحتمالات التزايد الكبير فى سكان العالم يحملان نذرا رهيبة

بالنسبة للغذاء ، وتوفير المأوى وغير ذلك من المشكلات ذات الصبغة العالمية التي لايمكن أ، تحل عن طريق البلاد فرادى ، وإنما يتطلب جهدا عالميا مكثفا إذا أريد للانسانية البقاء في اطار من الكرامة والظروف المادية المعقولة .

- أكد المؤتمر على الحاجة إلى أن تقوم بعض البلاد المتقدمة بإنشاء وتمويل مؤسسات وطنية ذات أغراض دولية للتوجيه بالقيام بالبحوث التي تخدم مشكلات التنمية على اتساعها ، وأعطى المؤتمر اهتماما خاصا لإنشاء عديد من معاهد التنمية التكنولوجية في العالم الثالث من أجل تكوين فنيين على مستوى عال ، كما تدارس بعض الاساليب التي يمكن للبلاد الصناعية وعلمائها ومهندسيها أن يساعدوا في ذلك وكذلك تدارس المؤتمر بعض الأساليب التي يمكن أن تغرس في الناشئة التعلق بالعلم والتكنولوجيا في البلاد النامية إلى جانب تلك التي تشبع الاهتمام بالعلم وإمكاناته ازاء تحقيق الاحتيجات الوطنية .

وفي الاجتماع الاقليمي لمؤتمر الأمم المتحدة للعلم والتكنولوجيا من أجل التنمية الذي عقد بالقاهرة في الفترة من ٢٢-٢٩اغسطس ١٩٧٨ ، أعرب رئيس جمهورية مصر العربية عن قلقه ازاء عملية نقل التكنولوجيا إلى مصر والدول النامية بصفة عامة ، وذلك من خلال

الكلمة التى جاءت على لسان رئيس الوزراء فى هذا الاجتماع ، حين قال فى افتتاح هذا المؤتمر :

" أن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية المتشابكة التى تواجهها البلاد النامية والتى تقلقها على المستوى الفردى والجماعى نأمل أن نجد لها حلولا عن طريق العلم والتكنولوجيا ، وهو ماتفقده معظم البلاد النامية ".

" ولاعادة التوازن المفقود فإن على حكومات العالم الثالث أن تعالج هذا الخلل من خلال المطالبة بأن تجرى التغيرات المطلوبه تحت نظام دولى جديد "

واستجابة للحاجة الملحة أخذت جمهورية مصر العربية تعتبر موضوع التخلف التكنولوجى إهتماما كبيرا فبادرت إلى التوسع فى برامجها المختلفة من أجل التنمية الصناعية والزراعية والصحية والثقافية وغيرها ، وأضحت لها تجارب مختلف فى مجال نقل التكنولوجيا فى مختلف القطاعات الإقتصادية ، غير أن هذه التجارب قد صادفها الكثير من العقبات والسلبيات التى أعاقت إلى حد ما تحقيق أهدافها ونذكر على سبيل المثال بعض السلبيات التى واجهت التجربة المصرية فى هذا الصدد فى مجال التنمية الصناعية ، فقد اسفرت التجربة المصرية فى مجال التنمية الصناعية مايلى :

١- أن الهياكل الإنتاجية لم تتخط مرحلة نقل المصنع إلى مرحلة التوطين أو التطوير لنقل التكنولوجيا بمعناهاا الصحيح وبالتالى لم تنجح فى توطين أو تطوير الصناعة المستوردة .

٢- أن حجم معدلات النجاح أو الفشل كانت متفاوته للغاية بين القطاعات الصناعية المختلفة داخل القطاع نفسه .

٣- أن التوازن بين القطاعات الصناعية المختلفة فيما بينها وبين القطاع الصناعى ككل والقطاعات الأخرى (الزراعة والخدمات) لم يكن متوفرا .

٤- أن الهياكل الانتاجية والإقتصادية وأجهزة الخدمات والبحث العلمى والتطوير لم تعمل فى ترابط وتكامل بل عملت معظمها فى غيبة كاملة عن بعضها البعض .

٥- أن نسبة الاستثمارات إلى قيمة الانتاج كانت أقل بكثير من معدلها حيث بلغت فى مصر ١:٧ علما بأن المعدل العالمى حوالى١ : ٢ أو ١ : ٣ .

٦- إن نسبة الزيادة فى الاجور (٨٠) أعلى من نسبة الزيادة فى الانتاج(٥٢).

٧- إن نسبة الصادرات إلى الواردات مازالت أقل من المعدل المستهدف .

٨- إن دور بيوت الخبرة الإستشارية والهندسية المصرية لم تؤد الدور المؤثر فى عمليات التنمية الصناعية .

٩- أن المعوقات التى تشير إليها تقارير القطاعات الصناعية فى مجملها تعبر عن معنى واحد مشترك وتتلخص فى الاتجاه إلى الإحلال والتجديد مع ضرورة نقص مستلزمات الإنتاج ، وتوافر العمالة الماهرة والتمويل وأن هناك مسيس الحاجة إلى الإحلال والتجديد مع ضرورة تطوير النظم الإدارية .

١٠- أن استراتيجية التصنيع لم تكن بالوضوح الكافى لاستغلال الموارد البشرية والطبيعية .

١١- أن العلاقات بين اساليب نقل التكنولوجيا الحديثة الحالية فى مصر وتنمية الإبتكارات وبراءات الإختراع والملكية الصناعية فى مصر لم تدرس بعناية تكفل تأصيل وتوثيق العلاقة بينهما وقد يرجع ذلك إلى عديد من العوامل أهمها مايلى :

١- أن التنمية الصناعية قد تمت خلال السنوات الماضية من خلال سياسة وأسلوب المصانع وليس بمفهوم نقل وتطوير التكنولوجيا .

٢- أن الإرادة السياسية لإحداث التغيير الاقتصادى والإجتماعى السريع لم يصاحبها الإعداد المطلوب واللازم لمقومات هذا التغيير لإحداث تغير ثورى وفورى فى نظم التعليم والتدريب وإعداد الفنيين -

الفصل الثانى عشر

بعض اتجاهات علم الاجتماع في دراسة البناء الطبقى

أ - دراسة المحددات الاجتماعى للبناء الطبقى.

ب- دراسة المحددات الاقتصادية للبناء الطبقى.

جـ- بعض الاتجاهات النظرية في دراسة البناء الطبقى.



اتجاهات علم الاجتماع في دراسة البناء الطبقى

تعددت دراسة اتجاهات علم الاجتماع في دراسة البناء الطبقى، ويطلق لفظ "الطبقة الاجتماعية" على كل فئة من الناس تعيش داخل المجتمع طبقا لنمط ثقافى معين يحملها تفرض المساواة بين افرادها بينما تفرض الاختلاف بينها وبين الفئات الأخرى.

وتختلف درجة الاحساس بالاختلاف بين الطبقة الاجتماعية وغيرها بحسب شعورها بالتعالى أو الخضوع بالنسبة للطبقات الأخرى.

ومن هنا كانت بعض الطبقات تجعل نفسها في حالة انغلاق بحيث لا تسمح لغيرها بالانتقال اليها، بينما تشعر الطبقات الأخرى بشئ من الانفتاح يسمح بالانتقال منها أو اليها.

وتتميز الطبقة الاجتماعية بطريقة معينة في السلوك والكلام والملبس والتعليم وعادات التعامل الاجتماعى. ولا شك أن سلوك الطبقة الذى يعبر عن القيم الاجتماعية التى يعطيها المجتمع معنى خاصا وتتخذها الطبقة أساسا للأساليب التى تحفظ لها حياتها وامتيازاتها، ولذلك تعمل الطبقة الاجتماعية على أن تبقى في مستوى معين من الحياة، وأن تختار لهذا المستوى نوعا معينا من التعليم يؤهل أفرادها لاحتراف مهن محددة وهكذا تعمل الثقافة الطبقية على بقاء الأوضاع كما هى. وقد تلجأ فى ذلك إلى سن القوانين أو إلى الدفاع عن هذه

الأوضاع بأساليب اجتماعية عنيفة ومن هنا كان اختلاف السلوك بين الطبقات نتيجة للحواجز بينها وهو في نفس الوقت مؤكد لقيام هذه الحواجز وبقائها.

ويشعر الأفراد داخل الطبقات بأنواع مختلفة من الشعور منها أن الفرد يشعر بأنه يكون مع طبقته على سجيته وأن سلوكه منسجم مع سلوك الآخرين وهو يشعر بالنقص بالنسبة للطبقات الأعلى من طبقته، كما يشعر بالرفعة بالنسبة للطبقات الأدنى من طبقته.

ولهذا يتخذ الأفراد في الطبقات التى تشعر بالرفعة بعض المظاهر التى تميزها عن غيرهم كالزى الخاص أو الشارات المميزة وقوة التضامن الطبقى والزواج الدخلى وتفضيل بعض الأعمال والافتخار بالطبقة ونسبة بعض المفاخر التاريخية اليها، ويتملكهم أحساس بالخوف من فقد المكانة الاجتماعية يقابله شعور من الطبقات الأخرى بالرغبة في الصعود إلى الطبقات الأعلى.

بعض المحددات الاجتماعية للبناء الطبقي:

أ- الأوضاع الحضارية وطبيعتها:

تحدد الأوضاع الحضارية التى مرت بها الشعوب طبيعة النظام الطبقى بها، ومن هذه الأوضاع الغزو الاستعمارى، فقد كانت الجيوش الاستعمارية التي تغزو مجتمعات تتخذ لنفسها نمطا ثقافيا خاصا يميزها عن بقية الشعب المغلوب، وبذلك تتكون من رؤساء

الجيش الغالب طبقة اجتماعية تعمل دائما على الاحفاظ بأمتيازاتها بوسائل كثيرة مثل الألقاب والأحياء الخاصة والترفع عن الشعب والزواج من بعضهم والزى الخاص ووسائل الأنتقال والعادات التقاليد واللغة الخاصة، والقيم التى تحدد أ الحدود الثقافية للطبقة .

ب- المحددات الاقتصادية وخصائصها :

تحدد طبيعة النظام الاقتصادى السائد شكل النظام الطبقى حيث ان الظروف الاقتصادية هى التى تحدد نوع التعليم الذى يمكن أن يتلقاه الفرد فى المجتع وبذلك يتحدد نوع المهن التى يحترفها وتحدد المهن اسلوب الفرد فى الحياة الاجتاعية ومركزه الاجتاعى العام . وليس الغنى والفقر وحدهما دليلا على الطبقة ، فإن الغنى يعنى حصول الانسان على دخل اكثر من متوسط دخل أفراد الطبقة ، وكذلك الفقر معناه أن الانسان يحصل على دخل اقل من متوسط دخل افراد طبقته.

وقد يحدد الدخل مستوى المهارة والتعليم الذى يحصل عليه الفرد داخل مهنته ولكن العامل الاقتصادى دو أثر فى تكوين الطبقات الاجتماعية من حيث أن امتلاك وسائل الإنتاج قد جعل بعض الناس يحصلون على دخل كبير نتيجة عمل الآخرين الذين لايملكون سوى قدتهم على العمل . ومن ثم فقد أدى فائض القيمة إلى تراكم الثروة عند مالكى وسائل الإنتاج بينما استمر الباقون فقراء. وبذلك تكونت فى كل مجتمع طبقتان متميزتان : طبقة الأغنياء ، وطبقة الفقراء وبفضل

قوانين الميراث وجمود النظم الإجتماعية اصبح الطفل يرث طبقته عن والديه وبالتالى يرث وضعه الإقتصادى والاجتماعى .

وكانت تنقسم طبقات المجتمع تنقسم إلى طبقة الملاك وطبقة الأرقاء ثم تحولت الأولى إلى طبقة البرجوازية ، وتحولت طبقة رقيق الأرض إلى طبقة العاملين فى الزراعة وهكذا أدى النظام الإقتصادى إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات تحددها فى الغالب علاقات الإنتاج عند ماركس.

بعض الاتجاهات النظرية فى دراسة البناء الطبقى :

لعل دراسات البناء الطبقى قد نتجت عن عدد من المصادر الفكرية للاتجاهات النظرية فى النباء الطبقى :

١ - اتجاه الماركسية التقليدية :

ويركز هذا الاتجاه على المادية التاريخية الذى يقوم على مفهوم المادية الجدلية ومؤداه انه " ليس وعى الناس هو الذى يحدد وجودهم ولكن على العكس ، أن وجودهم الاجتماعى هو الذى يحدد وعيهم . وتعنى هذه المقولة أن الحياة المادية للمجتمع بكل ماتتضمنه من اعتبارات فلسفية ، وأخلقية ، وقانونية ، ومشاعر ، وأمزجة ، وعادات، وأنماط ونظم انتاجية (بما تحدده من قوى منتجة وعلاقات انتاجية) .. هذه الحياة هى الوجود الاجتماعى الذى يترتب عليه بالتالى تحديد وعى الأفراد فى مجتمع ما . ويرتبط بالوعى انقسام

Parsons حيث قدما اسهامات – يصفها البعض بأنها – رائعة فى هذا المجال .

ويعتقد " سوروكين " أن التفاعل هو الوحدة التى ينبغى أن تحلل اليها الظواهر الاجتماعية . ويعنى التفاعل " أى حدث يؤثر فيه أحد الأطراف تأثيرا ملموسا على الأفعال الظاهرة أو الحالة الفعلية للطرف الأخر " . ويمكن أن تكون العناصر الداخلة فى التفاعل أما فرادا أو مجموعات منتظمة من الكائنات البشرية .

وعلى ذلك فان كل جماعة اجتماعية تمثل – من وجهة نظره – نسقا اجتماعيا . وتتمايز هذه الجماعات الى طبقات فى شكل هرمى ، ويتضح ذلك فى وجود طبقات عليا ودنيا . ويرجع التدرج فى جوهره – كما يرى – الى توزيع غير متساو للحقوق والامتيازات ، والواجبات والمسئوليات ، والغنى والحرمان الاجتماعى والقوة والنفوذ الاجتماعى بين اعضاء المجتمع .

ويؤكد " سوروكين " أن الطبقية أو التدرج فى المجتمع يتضح فى الجوانب الاقتصادية والسياسية والمهنية سواء كان المجتمع شيوعيا أو رأسماليا ، أو كان منصوصا فى دستوره على تساوى جميع افراده أو لا . ويرتبط بذلك أن اولئك الذين يشغلون الطبقة العليا فى مجال ما ، يشغلون نفس الطبقة فى مجال أخر ، والعكس بالعكس .

وتتضح حتمية ظاهرة التدرج فى قوله أن " المجتمع غير المتدرج، والذى يتساوى فيه اعضاؤه مساواة حقيقية هو " خرافة " لم تتحقق فى تاريخ البشرية .

أما " تالكوت بارسونز " فقد اختار " التقييم " معيارا للتدرج ، حيث تخضع له كل وحدات الأنساق سواء كانت مجتمعة أو منفردة ، كما أنه يؤدى الى استقرار الأنساق الاجتماعية .

وفى تفسيره لهذا المعيار - التقييم - يوضح " أننا حين نتعامل مع الرتب الاجتماعية فان التقييم المعنوى ، هو فى الحقيقة ، ذو السيطرة الضمنية ، ويعنى ذلك أن عملية الاحترام والقبول التى يحوزها شخص ما هى عملية معنوية بحتة .

ويشير مفهوم " الطبقة " عند بارسونز " الى انها " نوع من الوحدات المتقاربة ، لها مكانات يقتسمها اعضاؤها داخل اطار التدرج ، ويكون لهؤلاء الأعضاء مكانات متساوية تقريبا . وعلى هذا فان المكانة الطبقية للفرد هى تلك التى يشترك فيها مع الأعضاء الأخرين المنتمين الى وحدة متقاربة فعالة "

وعلى ذلك فلا مجال - فى رأيه - للصراع الطبقى - حيث تنتفى الحتمية المتعلقة بالعامل الواحد ، وتحل محلها فكرة تساند مجوعة المتغيرات . ويتحدد موقع المحك الاقتصادى أو ترتيب الأفراد طبقا

لمواقعهم من وسائل الانتاج مايسميه " بارسونز " البناء المقنن أو التنظيمى للأفكار المعنوية .

وهكذا تتحدد الطبقة فى البنائية الوظيفية على اساس عدد من المؤشرات كالمهنة ، التعليم ، ومستوى المعيشة ، الدخل ، الثروة ، الحقوق والواجبات .. الخ . كما أنها ظاهرة طبيعية فى جميع المجتمعات البشرية .

وإذا كان أنصار المدارس النقدية من علماء الاجتماع المعاصرين قد هاجموا الماركسية التقليدية، فقد هاجموا ايضا البنائية الوظيفية على اساس عدم قدرة مقولاتها على تفسير أحداث الصراع والتغير الاجتماعى فى المجتمعات الرأسمالية المعاصرة ، وعلى تفسير احوال مجتمعات العالم الثالث، وبنظرتها الى مسالة الطبقات الاجتماعية نظرة طبيعية ومن ثم فانها تؤدى الى اقرار الانساق ، وبتقليلها من قيمة المتغير الاقتصادى كمحدد طبقى .

المراجـــع

المراجع العربية:

١- أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى، مدخل لدراسة المجتمع، ط ١، الاسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥.

٢- أحمد رأفت عبد الجواد: مبادئ علم الاجتماع. دار الشروق ١٩٨٢.

٣- أحمد فؤاد الأهوانى: القيم الروحية في الاسلام، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، وزارة الأوقاف، ١٩٦٢.

٤- أميرة حلمى مطر: مقدمة في علم الجمال، دار النهضة العربية، بدون تاريخ.

٥- بطرس بطرس غالى، خيرى محمود عيسى: المدخل في علم السياسة، الأنجلو المصرية، ١٩٦٦.

٦- بو تومور: تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهرى وآخرون، ط ٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١.

٧- توفيق مرعى وأحمد بلقيس: الميسر في علم النفس الاجتماعى، الأردن، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٤.

٨- جان سنيو وآخرون: حول نمط الانتاج الأسيوى، ترجمة جورج طرابيش، المكتبة الاشتراكية، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٣.

٩- جمال مجدى حسانين: مبادئ علم الاجتماع، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٠.

١٠- ج. اسيبوف: قضايا علم الاجتماع، دراس سوفيتية نقدية، علم الاجتماع الرأسمالى، ترجمة سمير نعيم أحمد وفرج أحمد، دار المعارف، ١٩٧٠.

١١- حامد مصطفى أبو جمرة: التطور التكنولوجى والتنمية الاجتماعية والاقتصادية، دراسات سكانية، جهاز تنظيم الأسرة والسكان، ١٩٧٨.

١٢- حسن الساعاتى وآخرون: تعاطى الحشيش كمشكلة اجتماعية، أعمال الحلقة الثانية، المركز القومى للبحوث، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٣.

١٣- سمير نعيم أحمد: أسس علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٩٨٠.

١٤- سناء الخولى: مدخل إلى علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.

١٥- عبد الباسط عبد المعطى: البحث الاجتماعى، محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.

١٦- عبد الباسط عبد المعطى: في نظرية علم الاجتماع، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٣.

١٧- عبد الباسط محمد حسن: أصول البحث الاجتماعى، مكتبة وهبة، ١٩٨٠.

١٨- عبد الحميد لطفى: علم الاجتماع، القاهرة، دار المعارف، ط ١٠، ١٩٨٧.

١٩- عبد الهادى الجوهرى: أصول علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٤.

٢٠- عطية محمود هنا: القيم دراسة تجريبية مقارنة، كتاب قراءات فى علم النفس الاجتماعى لويس كامل مايكه، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة.

٢١- على لطفى: دراسات في تنمية المجتمع، المطبعة الكمالية، القاهرة، ١٩٧٣.

٢٢- غريب سيد أحمد وآخرون: المدخل إلى علم الاجتماع، الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٥.

٢٣- فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، مع دراسة ميدانية، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩.

٢٤- محمد ابراهيم كاظم: القيم السائدة بين الشباب من معلمى المرحلة الابتدائية في جمهورية مصر العربية، ١٩٧٠.

٢٥- محمد أحمد بيومى: محاضرات في علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠.

٢٦- محمد عاطف غيث: علم الاجتماع، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣.

٢٧- محمد عاطف غيث: علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤.

٢٨- محمد على محمد: تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٣.

٢٩- محمد عبد السميع عثمان: دور التربية في مواجهة تغيرات القيم الاجتماعية المرتبطة بتنظيم الأسرة في المجتمع الريفى، دراسة حالة، المركز الدولى الاسلامى للدراسات والبحوث السكانية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٩.

٣٠- محمد عبد السميع عثمان، وعلى الكاشف: علم الاجتماع العام، القاهرة، ١٩٩٤.

٣١- محمد محمود الجوهرى، عبد الله الخريجى: طرق البحث الاجتماعى، دار الثقافة للتوزيع والنشر، القاهرة، ١٩٨٢.

٣٢- مصطفى الخشاب وآخرون: أصول علم الاجتماع، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربى، ١٩٦٢

٣٣- مصطفى الخشاب: المدخل الى علم الاجتماع، الكتاب الثانى، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦.

٣٤- مصطفى الخشاب: دراسة المجتمع، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٦٨.

٣٥- مصطفى فهمى: التوافق الشخصى والاجتماعى، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٧٩.

٣٦- مصطفى فهمى: الصحة النفسية، دراسات في سيكولوجية التكيف، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٧٦.

الوثائق:

٣٧- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء، زيادة السكان في الجمهورية وتحدياتها للتنمية، مرجع رقم ١٦/٢٠٠٦ نوفمبر ١٩٨٦.